

الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَدَائِيُّ وَالنَّهْائِيُّ

١٢٣٤

الجزء الرابع عشر

الطبعة السابعة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

مكتبة المعارف

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستائة

استهلت والخليفة الحاکم العباسي وسلطان البلاد المنصور لاجين ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي حسام الدين الرازي، والمالكي والحنبلي كما تقدم. وفائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخطيب بدر الدين بن جماعة.

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سويس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاء كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك ونصب مشانق لمن تأخر بمغز أو غيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجق ومحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة فدعت له العامة وكانوا يحبونه، واستمر الجيش سائرین قاصدين بلاد سويس، فلما وصلوا إلى حصص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الامراء أن السلطان قد تغلت خاطره بسبب صهي منكوتمر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبتة له، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم، فساقوا من حصص فيمن أطاعهم، وهم قبجق وبزلي ويكتمر السلحدار والايلى، واستمروا ذاهبين. فرجع كثير من الجيش إلى دمشق، ونخبط الامور وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة فانا لله وإنا اليه راجعون.

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى محمد بن قلاوون

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريدية وأخبروا بقتل السلطان الملك المنصور لاجين ونائبه سيف الدين منكوتمر، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادى عشره، على يد الأمير سيف الدين كرجى الاشرفي ومن وافقه من الامراء، وذلك بحضور القاضى حسام الدين الحنفى وهو جالس فى خدمته يتحدثان، وقبل كانا يلعبان بالشطرنج، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم فبادروا إلى السلطان بسرعة جهره ليلة الجمعة فقتلوه وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة وألقى على مزبلة، واتفق الامراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأرسلوا وراؤه، وكان بالكرك وفادوا له بالقاهرة، وخطاب له على المنابر قبل قدومه، وجاءت الكتب إلى نائب الشام قبجق فوجدوه قد قرّ خوفًا من غائلة لاجين، فسارت إليه البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين، من أعمال ماردين، وتفرط الحال ولا قوة إلا بالله.

وكان الذى شمر العزم وراهم وساق ليردم الأمير سيف الدين بلبلان، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش، والأمير سيف الدين جاعان، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة، وكان منهم جمال الدين يوسف الرومى محتسب البلد، ونظر المارستان، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه، واحتيط أيضاً على سيف الدين جاعان وحسام الدين لاجين وإلى البر، وأدخل القلعة، وقتل بمصر الأمير سيف الدين طنجى، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام، وكرجى الذى تولى قتل لاجين قتلًا وألقيا على المزابل، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتأملون صورة طنجى، وكان جميل الصورة، ثم بعد الدلال والمال والملك وأرثهم هناك قبور، فدفن السلطان لاجين وعند رجليه نائبه منكوتمر، ودفن الباقون فى مضاجعهم هنالك.

وجاءت البشائر بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الاولى، وكان يومًا مشهودًا، ودقت البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة، وبويع بحضرة علم الدين أرجواش، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلمة الخليفة، والجيش معه مشاة، فضربت البشائر أيضاً. وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة وفيها الرقى بالرايا والأمر بالاحسان إليهم، فدعوا له، وقدم الأمير جمال الدين آقوش الافرم نائباً على دمشق، فدخلها يوم الأربعاء قبل العصر ثانى عشرين جمادى الأولى، فنزل بدار السعادة على المادة، وفرح الناس بقدومه، وأشعلوا له الشموع، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة. وبعد أيام أفرج عن جاعان ولاجين وإلى البر، وعادا إلى ما كانا عليه، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أنابكا للمساكر المصرية، والأمير

سيف الدين سلال نائباً بمصر، وأخرج الأعرس في رمضان من الحبس وولى الوزارة بمصر، وأخرج قراسنقر المنصوري من الحبس وأعطى نيابة الصببية، ثم لما مات صاحب حمة الملك المظفر نقل قراسنقر إليها.

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلاد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفى، فلم يحضر فنودى في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حمة المسماة بالحوية، فانتصر له الأمير سيف الدين جامعان، وأرسل يطلب الدين قاموا عنده فاخفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون. فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر في قوله تعالى [وإنك لعل خلق عظيم] ثم اجتمع بالقاضى إمام الدين يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ومجئوا في الحوية وناقشوه في أماكن فيها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضي إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً.

وفيها وقف علم الدين منجر الدويدار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن المطار وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قراسنقر. وفي يوم السبت حادى عشر شوال فتح مشهد عثمان الذى جده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماليه، وجعل له إماماً راتباً، وحاكياً به مشهد على بن الحسين زين العابدين. وفي العشر الأولى من ذى الحجة عاد القاضي حسام الدين الرازى إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام. وفيها في ذى القعدة كثرت الأراجيف بقصد التفر بلاد الشام والله المستعان.

ومن توفى فيها من الأعيان. الشيخ نظام الدين

أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحصرى^(١) الحنفى، مدرس النورية ثامن الحرم، ودفن في تاسعة يوم الجمعة في مقابر الصوفية، كان فاضلاً، ناب في الحكم في وقت ودرس بالنورية بعد أبيه، ثم درس بعده الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان بن النقيب.

المفسر الشيخ العالم الزاهد

جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان بن حسن بن الحسين البلخى، ثم المقدسى الحنفى، ولد في النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستائة بالقدس، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الأزهر ودرس في بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القدس فاستوطنه إلى أن مات في الحرم منها، وكان

(١) في الشنرات: ابن الحصر.

شيوخاً فاضلاً في التفسير ، وله فيه مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير ، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به .

الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقدس

كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي وابن سبعين ، توفي في الحرم من هذه السنة .

التقي توبة الوزير

تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الرعي التكريتي ، ولد سنة عشرين وستمائة يوم عرفة بعرفة ، وتنقل بالخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة ، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وصلى عليه غدوة بالجامع وسوق الخليل ، ودفن بترتبه تجاه دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وباشر بعده نظر الدواوين نحر الدين بن الشيرجي ، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة .

الأمير الكبير

شمس الدين بيمسرى ، كان من أكابر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرا ، توفي في السجن بقلعة مصر ، وعمل له عزاء بالجامع الأموي ، وحضره نائب السلطنة الأفرم والقضاة والأعيان .

السلطان الملك المظفر

تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وابن ملوكها أكابر عن كابر ، توفي يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة ، ودفن ليلة الجمعة .

الملك الأوحد

نجم الدين يوسف بن الملك داود بن المعظم فاخر القدس ، توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة ودفن برباطه عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحساناً إلى الضعفاء .

القاضي شهاب الدين يوسف

ابن الصالح محب الدين بن النحاس أحد رؤساء الحنفية ، ومدرس الزنجانية والظاهرية ، توفي ببستانه بالمرزة ثالث عشر ذي الحجة ، ودرس بعده بالزنجانية القاضي جلال الدين بن حسام الدين .

الصاحب نصر الدين أبو الغنائم

سالم بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن مصري التغلبي ، كان أحسن حالاً من أخيه القاضي نجم الدين ، وقد سمع الحديث وأمعنه ، كان صدراً معظماً ، ولى نظر الدواوين ونظر الخزانة ،

ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون ، وعمل عزاءه بالصاحبية .
ياقوت بن عبد الله

أبو الدر المستعصمى الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومى ، كان فاضلاً مليح الخط مشهوراً بذلك ، كتب ختماً حسناً ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله شعر رائع ، فنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه :

تجدد الشمس شوقى كلما طلعت * إلى محياك يا صمى وبابصرى
وأسهر الليل فى أنس بلاونس * إذ طيب ذكرك فى ظلماته يسرى
وكل يوم مضى لا أراك به * فلست محتسباً ماضيه من عرى
ليلي نهاراً إذا مادرت فى خلدى * لأن ذكرك نور القلب والبصر
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثمانئة

وفىها كانت وقعة قازان ، وذلك أن هذه السنة استهلّت والخليفة والسلطان هما المذكوران فى التى قبلها ، ونائب مصر سلار ، ونائب الشام آقوش الأفرم ، وسائر الحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً ، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو المائتى درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء ثمانى المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر قاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق فى مطر شديد وحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أقام بغزة قريباً من شهرين ، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام ، قهياً لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة ، وزينت له البلدة ، وكثرت له الأذعية وكان وقتاً شديداً ، وحالا صعباً ، وامتلأ البلد من الجافانين النازحين عن بلادهم ، وجلس الأعمرو وزير الدولة وطالب العمال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأمرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة ، وأخذ الناس فى الدعاء والقنوت فى الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالادعية .
وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادى الخزندار عند وادى سلمية ، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هارباً فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، وقعد فى المعركة قاضى قضاة

الخنفية ، وقد صبروا وأبلاوا بلاء حسناً ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً ، فولى المسلمون لابلوى أحد على أحد ، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للمتقين ، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع ، وأبواب دمشق مغلقة ، والقلمة محصنة والغلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر ، كالقاضي إمام الدين الشافعي ، وقاضي المالكية الزواوي ، وناج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي وإلى البر ، وجمال الدين بن النحاس وإلى المدينة ، والمحاسب وغيرهم من التجار والعوام ، وبقي البلد شاغراً ليس فيهم حاكم سوى نائب القلمة .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حية ، وتفرقوا في البلد ، وكانوا قريباً من مائتي رجل ، قهقروا ما قدروا عليه ، وجاءوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد ، فتفرقوا حيث شاؤوا لا يقدر أحد على ردهم ، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلموا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان ، هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد على واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لاهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند الذبك ، وكلمه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين والله الحمد . ودخل المسلمون ليلتئذ من جهة قازان فنزلوا بالبدرانية وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكر سلطاناً في خطبته ، وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرن . وحضر الفرمان بالامان وطيف به في البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة ، ونثر شيء من الذهب والفضة . وفي ثاني يوم من المناداة بالامان طلبت الخيول والسلاح والاموال الخبأة عند الناس من جهة الدولة ، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية ، وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصوري فنزل في الميدان واقترب جيش التتر وكثر العيث في ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلت الاسعار بالبلد جداً ، وأرسل قبجق إلى نائب القلمة ليسلها إلى التتر فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع ، فجمع له قبجق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبههم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تطرف ، فان الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلمة يقول له ذلك ، ولم يبق فيها

الإحجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمقل الذي جعله الله حرزا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم . وفي يوم دخول قبحق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلا را إلى مصر كما جاءت البطاقة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر بها أقوى جأش الناس بعض قوة ، ولكن الأمر كما يقال :

كيف السبيل إلى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونها خوف

الرجل حافية ومالي مركب * والكف صغر والطريق مخوف

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعى له على السدة بعد الصلاة وقرئ عليها مرسوم بنبابة قبحق على الشام ، وذهب إليه الأعيان فهنؤه بذلك ، فأظهر الكرامة وأنه في تعب عظيم مع النتر ، ونزل شيخ المشايخ محمود بن علي الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها واحترق جامع التوبة بالعقبيية ، وكان هذا من جهة الكرج والارمن من النصارى الذين هم مع التتار قبحقهم الله . وسبوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الحنابلة فاحتاطت به التتار فحماء منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى في الساكن مال له صورة ثم أتحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نكب دير الحنابلة في ثاني جمادى الاولى قتلوا خلقا من الرجال وأسروا من النساء كثيرا ، ونال قاضى القضاة تقي الدين أذى كثير ، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريبا من أربع مائة ، وأسروا نحو من أربعة آلاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصرى والضيائية ، وخزانة ابن البرورى ، وكانت تباع وهى مكتوب عليها الوقفية ، وفعلوا بالمرزة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا وبغيرها ، وتحصن الناس منهم في الجامع بداريا ففتحوه قسرا وقتلوا منهم خلقا وسبوا نساءهم وأولادهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وخرج الشيخ ابن تيمية في جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك النتر وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به ، حجه عنه الوزير سعد الدين والرشد مشير الدولة المسلماني ابن يهودى ، والتزموا له بقضاء الشغل ، وذكر له أن النتر لم يحصل لكثير منهم شيء إلى الآن ، ولا بد لهم من شيء ، واشتهر بالبلد أن النتر يريدون دخول دمشق فانزعج الناس لذلك وخافوا خوفا شديدا ، وأرادوا الخروج منها والحرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الاسواق

كل سوق بحسبه من المال ، فلا قوة إلا بالله . وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، وغلقت أبوابه ونزل التتر في مشاهدته يحرسون أخشاب المجانيق ، وينهبون ماحوله من الأسواق ، وأحرق أرجوان ماحول القلعة من الابنية ، كدار الحديث الأشرفية وغير ذلك ، إلى حد العادلية الكبيرة ، وأحرق دار السعادة أثلا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها ، ولزم الناس منازلهم لئلا يسخروا في طم الخندق ، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل ، والجامع لا يصل في فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زهم ثم يعود سريعاً ، ويظن أنه لا يعود إلى أهله ، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

والمصادرات والتراسيم والعقوبات عمالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً ، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف ، كالجامع وغيره ، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بخزائن السلاح وإلى الحجاز ، وقرئ ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع في ناسع عشر جمادى الأولى ، وفي ذلك اليوم توجه السلطان قازان وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق ، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل ، وفي عزمننا العود إليها في زمن الخريف ، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها ، وقد أمجرتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، وخرج سيف الدين قبجق لتوديع قطلوشاه نائب قازان وسار وراه وضربت البشائر بالقلعة فرحا لرحيلهم ، ولم تفتح القلعة ، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبجق القلعية إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعاً سالمين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمي ، وهو فخر الدين محمد ابن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي ، وجاءت الرسل من قبجق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا أنفسكم وافتحوا دكا كينكم وتبيتوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبجق ، فخرج الناس إلى أما كنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئاً كثيراً .

قال الشيخ علم الدين البرزالي : ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستمائة ألف درهم ، والاصيل بن النصير الطوسي مائة ألف ، والصفى السخاوي ثمانون ألفاً ، وعاد سيف الدين قبجق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عشرين جمادى الأولى ومعه الالبيكي وجماعة ، وبين يديه السيوف مسلة وعلى

رأسه عصاة قنزل بالقصر ونودي بالبلد نائبيكم قبجق قد جاء فافتحوا دكا كينكم واعملوا معاشكم ولا يفرر أحد بنفسه هذا الزمان والاسعار في غاية الغلاء والقلة ، قد بلغت الفرارة إلى أربع مائة ، واللحم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين ، والجنين الأوقية بدرهم ، والبيض كل خمسة بدرهم ، ثم فرج عنهم في أواخر الشهر ، ولما كان في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشائر بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالمصائب في البلد والشاويشية بين يديه ، وجهاز نحواً من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشى الملوك في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر :

يالك من قنبرة عمري * خلاك الجو فيضي واصفري * ونقري ما شئت أن تنقري
ثم إنه ضمن الخارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم ، وهي التي دمرته ومحقت آثاره وأخذ أموالاً آخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فساداً ، ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خربوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقاً من أطفالها ، وجي لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبهم ، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق خطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيسلكوا مع نائبيها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة ، فكلموه وبالغوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض الله وجهه .

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فخلعهم على المناصحة للدولة الحمودية - يعني قازان - فخلعوا له ، وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم عادوا من عنده فשלحوا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وعمائمهم ورجعوا في شرحالة ، ثم بعث في طلبهم فاخفى أكثرهم وتغيّبوا عنه ، ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام ، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر وانشروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فعاثوا في تلك النواحي فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد ، وقد أراح الله عز وجل

شرم عن العباد والبلاد ، ونادى قبجق في الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشلم من التتر أحد ، وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة ، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسي والتراكيش فيها الشباب ، وأمنت البلاد ، وخرج الناس للفرجة في غيض السفوح على عادتهم فماتت عليهم طائفة من التتر ، فلما رأوهم رجعوا إلى البلد هاربين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً منهم من ألقى نفسه في النهر ، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار ، وتقلق قبجق من البلد ثم إنه خرج منها في جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين ابن القلانسي ليلتقوا الجيش المصري وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام في تاسع رجب وجاءت البريدية بذلك ، وبقي البلديس به أحد ، ونادى أرجواش في البلد احفظوا الاسوار وأخرجوا ما كان عندهم من الاسلحة ولا تهملوا الاسوار والابواب ، ولا يبيتن أحد إلا على السور ، ومن بات في داره شق ، فاجتمع الناس على الاسوار لحفظ البلاد ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر وفرح الناس بذلك ، وكان يخطب لقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . وفي بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخانات والحانات فكسروا آنية الخور وشققوا الظروف وأراقوا الخور ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ، وفرح الناس بذلك ، ونودي يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، وفرح الناس بذلك وانفجروا لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامي محبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران قحس الدين قراسنقر المنصوري وسيف الدين قطلبك في تيجل . وفي هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالأمينية عوضاً عن أخيه قاضي القضاة إمام الدين توفى بمصر ، وفي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر محبة نائب مصر سيف الدين سلاار ، وفي خدمته الملك المعادل كتبغا ، وسيف الدين الطراخي في تيجل باهر ، ونزلوا في المرج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفي يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضي بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين ، ولبس معه في هذا اليوم أمين الدين المعجمي خلعة الحسبة ، وفي يوم سابع عشره لبس خلعة نظر الدواوين تاج الدين الشيرازي عوضاً عن نخر الدين بن الشيرجى ،

ولبس أقبحا شد الدواوين في باب الوزير فممس الدين سنقر الأعسر ، وبأشر الأمير عز الدين أيبك الديودار النجيبى ولاية البر ، بمدما جعل من أمراء الطبلخانة ، ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملى كافي بأم الصالح عوضاً عن جلال الدين القزوينى يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان ، وفى هذا اليوم ولّى قضاء الحنفية فممس الدين بن الصفى الحريرى عوضاً عن حسام الدين الرومى ، فقد يوم المعركة فى ثانى رمضان ، ورفعت الستائر عن القلعة فى ثالث رمضان . وفى مستهل رمضان جلس الأمير سيف الدين سلال بدار العدل فى الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت ، وفى السبت الآخر خلع على عز الدين القلانسى خلمة سنية وجعل ولده حماد الدين شاهداً فى الخزانة . وفى هذا اليوم رجع سلال بالمساكر إلى مصر وانصرفت المساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها . وفى يوم الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفى بن أبى القاسم البصراوي الحنفى بالمدينة المقدمية .

وفى شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالتر و يؤذى المسلمين ، وشنىق منهم طائفة وصحر آخرون وكمل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة . وفى منتصف شوال درس بالدولمية قاضى القضاة جمال الدين الزرعى نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجرى ، وفى يوم الجمعة العشرين منه ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأفرم فى جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان ، وخرج الشيخ تقى الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المنطوعة والحوارنة لقتال أهل تلك الناحية ، بسبب فساد نيتهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروا التروهر بوا حين اجتازوا ببلادهم ، وثبوا عليهم ونهبهم واخذوا أسلحتهم وخبولهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقى الدين بن تيمية فاستنابهم وبين للكثير منهم الصواب وحصل بنفك خير كثير ، وانتصار كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ، ولم يكونوا قبل ذلك يدخلون فى طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله . وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى طريق بعلبك وسط النهار . وفى يوم الأربعاء سادس عشره نودى فى البلد أن يعلق الناس الأسلحة بالأكاكين ، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الاماجات فى أماكن كثيرة من البلد ، وعلقت الأسلحة بالسواق ، ورسم قاضى القضاة بعمل الاماجات فى المدارس ، وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال العدو إن حضر ، وبالله المستعان .

وفى الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه ، وفى الخميس رابع عشرينه عرضت الأشراف مع قبيهم نظام

الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوداً. ومما كان من الحوادث في هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده يوم عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجاعة، ولم تطل مدته إلا شهوراً ثم عاد الحموي إلى بلده وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن والله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان القاضي حسام الدين أبو الفضائل

الحسن بن القاضي تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن الحسن أنوشروان الرازي الحنفي، ولي قضاء ملطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فولبها مدة، ثم انتقل إلى مصر فولبها مدة، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سليمة خرج معهم فقعد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده بأقيس من بلاد الروم في الحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة قد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل يومئذ عدة من مشاهير الأمراء ثم ولي بعده القضاء قيس الدين الحريري.

القاضي الإمام العالي

إمام الدين أبو الممالى عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقرر في مدارس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وسبعين، وناب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق كثير الإحسان رئيساً، قليل الأذى، ولما أوفى قدوم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يبق بها سوى أسبوع وتوفي ودفن بالقرب من قبة الشافعي عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافاً إلى ما يسه من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمينية.

المسند المعمر الرحلة

شرف الدين أحمد بن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وجمع الحديث وروى، توفي خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة.

الخطيب الإمام العالم

موفق الدين أبو الممالى محمد بن محمد بن الفضل النهراني القضاعي الحموي، خطيب حجة، ثم خطب بدمشق عوضاً عن الفاروق، ودرس بالغزالية ثم عزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق علم قازان فمات بها.

الصدر شمس الدين

محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم ، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة ، ودرس بالمصرونية ، توفي وقد جاوز الثمانين ، كان من الكتاب المشهورين المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم .

الشيخ جمال الدين أبو محمد

عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباجري الشافعي ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفقه ، ثم قدم دمشق عام قازان فمات بها ، وكان قد أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالقليجية والدولية ، وناب في الخطابة ودرس بالفزالية نيابة عن الشمس الأيكي ، وكان قليل الكلام مجموعا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويمكنون على ما كان يمكن عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور بجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة النبوية

استهلت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بهام المذكورون في التي قبلها ، غير الشافعي والحنفي ، ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جميع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جدا . وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألباهم ، وشرع الناس في الحرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيع ، فبلغت الحجارة إلى مصر خمسمائة وبيع الجمل بألف والحجار بمخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرص الناس على القتال ، وصاق لهم الآيات والاحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الاسراع في الفرار ، ورغب في إيفاق الاموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في أجرة الحرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيرا ، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكرة ، وتابع المجالس في ذلك ، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جاشهم ، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالعساكر ودقت البشائر لخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن مصري وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة .

وفي أول ربيع الآخر قوى الارجاج بأمر التتر ، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودي

في البلد أن تخرج العامة مع المسكر، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك، فاستعرضوا في أثناء الشهر
فعرض نحو خمسة آلاف من العامة بالمعدة والاسلحة على قدر طاقتهم، وقتلت الخطيب ابن جماعة
في الصلوات كلها، واتبعه أئمة المساجد، وأشاع المرجفون بأن التتر قد وصلوا إلى حلب وأن نائب
حلب تهاجر إلى حماة، ونودي في البلد بتطبيب قلوب الناس وإقبالهم على معاشهم، وأن السلطان
والعساكر واصله، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموا، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به
وبقيت بواق على الناس الذين قد اختفوا ففي عما بقي، ولم يرد ما سلف، لاجرم أن عواقب هذه
الافعال خسروا ونكروا، وأن أصحابها لا يفلحون، ثم جاءت الاخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى
مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام، فكثرت الخوف واشتد الحال، وكثرت الامطار جداً، وصار
بالطرق من الاوحال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريده من الانتشار في الأرض والذهاب
فيها، فانا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالاً يتحملون بأهلهم وأولادهم، والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون، وجعلوا يحملون الصغار في الوحل الشديد والمشقة على الدواب والرقاب، وقد ضعفت الدواب
من قلة العلف مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله.
واستهل جمادى الاولى والناس على خطة صعبة من الخوف، وتأخر السلطان واقترب العدو،
وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب
الشام في المرج فثبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء، وتلا قوله
تعالى [ومن عاقب بمنزل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصره الله إن الله لعفو غفور] وبات عند
العسكر ليلة الاحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والامراء أن يركب على البريد إلى مصر
يستحث السلطان على الجي فساق وراء السلطان، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدركه
إلا وقد دخل القاهرة وتفارط الحال، ولكنه استحثهم على تجميع العساكر إلى الشام إن كان
لهم به حاجة، وقال لهم فيها قال: إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقننا له سلطاناً يحوطه ويحميه
ويستغله في زمن الأمن، ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، ثم قال لهم: لو قدر أنكم
لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه
ومرعايكم وأنتم مسؤولون عنهم، وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام، فلما
تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهلهم
وأموالهم، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر، وتحقق عود السلطان إلى مصر، ونادى ابن النحاس
منولى البلد في الناس من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق، فتصايح النساء والولدان، ورهق الناس

ذلة عظيمة وخمسة ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغدت الاسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على التقاء جيش التتر فكيف به الآن وقد عزم على الحرب ؟ ويقولون : ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس إلى البراري والقفار والمنع بأهاليهم من الكبار والصغار ، ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلق بالجيوش قد أقرب وصول التتر ، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريزي وابن صصري وابن منجا ، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر ، وجاءت الاخبار بوصول التتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبارة إلى نائب السلطنة الاقرم ققوا عزمه على ملاقة العدو ، واجتمعوا بمهنا أمير العرب فحرضوه على قتال العدو فأجابهم بالسبع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلا من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلمة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الاسعار بدمشق جدًّا ، حتى بيع خاروفان بخمسة مائة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الاخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات واجماعه ذلك لضعف جيشه وقلة عديم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم منشرحين آمنين مستبشرين . ولما جاءت الاخبار بعدم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخبأ في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وتراجع الناس إلى أوطانهم : وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لفنية مدرستها كمال الدين بن الشريشي بالكرك هاربا ، ثم عاد إليها في رمضان ، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولية حوذا عن جمال الدين الزرعي لفنيته . وفي يوم الاثنين قرئت شروط القمة على أهل القمة وأئتمروا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهات ، وأخذوا بالصغار ، ونودي بذلك في البلد وألزم النصراني بالهائم الزرق ، واليهود بالصفر ، والسلمرة بالحمر ، فحصل بذلك خير كثير ونمىزوا عن المسلمين ، وفي عاشر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبجا في نيابة القلعة ، وأن يركب كل واحد منهما يوما ، ويكون الآخر بالقلعة يوما ، فامتنع أرجواش من ذلك . وفي شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجد حوذا عن علاء الدين القونوي بحكم إقامته بالقاهرة ، وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة عزل قيس الدين بن الحريزي عن قضاء الحنفية بالقاضي جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه ، وذلك باتفاق من

الوزير شمس الدين سنقر الأعسر ونائب السلطان الأفرم . وفيها وصلت رسل ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوا بالقلعة ثم ساروا إلى مصر .

ومن توفي فيها من الأعيان : الشيخ حسن الكردي

المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته ويطعم من ورده عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعتين ، ثم توفي رحمه الله يوم الاثنين الرابع . جمادي الاولى ، وقد جاوز المائة سنة .

الطواشي صفى الدين جوهر التنفليسي

الحديث ، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء . وكان حسن الخلق صالحاً بين الجانب رجلاً حامياً زكياً ، ووقف أجزائه التي ملكها على المحدثين

الأمير عز الدين

محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهيدبائي الأربلي متولى دمشق ، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر وجمع شيئاً في ذلك ، وكان يسكن بدرب شعور فعرف به ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء ، وهو أول منزل نزلائه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبع مائة ، ختم الله لي بخير في عافية آمين ، توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المحاضرة .

الأمير جمال الدين آقوش الشريفي

والى الولاية بالبلاد القبلية ، توفي في شوال وكانت له هبة وسطة وحرمة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبع مائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والأمير سيف الدين سلاار بالشام ، ونائب دمشق الأفرم ، وفي أولها عزل الأمير قطلبك عن نيابة البلاد الساحلية وتولاها الأمير سيف الدين استدر ، وعزل عن وزارة مصر شمس الدين الأعسر ، وتولى سيف الدين أقبيا المنصوري نيابة غزة ، وجعل عوضه بالقلعة الأمير سيف الدين بهادر السيجري ، وهو من الرجة . وفي صفر رجعت رسل ملك التتار من مصر إلى دمشق فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامه ، وفي نصف صفر ولى تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البصراوي الحنفي عوضاً عن الشيخ ولى الدين السمرقندي وإنما كان وليها ستة أيام ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدر سليمان ، توفي وكان من كبار الصالحين ، يصلى كل يوم مائة ركعة ، وفي يوم الأربعاء التاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه الشمساطية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له بذلك ، ورغبهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي ، وفرحت الصوفية به

وجلسوا حوله ، ولم تجتمع هذه المناصب لغيره قبله ، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا : القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ . وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن الثقفى بالديار المصرية ، حكم فيه القاضى زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشرية واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضة المشتبهات بعضها ببعض ، يذكر عنه أنه كان يحمل المحرمات من الاواط والحجر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجبلية ، هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ، وبرته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث الكاملية بين القصرين استغاث بالقاضى تقي الدين بن دقيق العيد فقال : ما تعرف مني ؟ فقال : أعرف منك الفضيلة ، ولكن حكك إلى القاضى زين الدين ، فأمر القاضى للوالى أن يضرب عنقه ، فضرب عنقه وطيف برأسه في البلد ، ونودي عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله . قال البرزالي في تاريخه : وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيهما يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى ، سباع وحيات وعقارب وطيور وممّز ونساء ، ورجال في أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بمحضر عند قاضى الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضى حماة . وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شنق الشيخ على الحويرالى بواب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندى . وفي النصف منه حضر القاضى بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشى ، وذلك أنه ثبت محضر أنها لقاضى الشافعية بدمشق ، فانتزعها من يد ابن الشريشى . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسي على أهله من التتر بعد أسر سنتين وأياماً وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف حتى نخلص منهم ورجع إلى أهله ، وفرحوا به .

وفي سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر ب وفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وأن ولده ولي الخلافة من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، ولقب بالمستكني بالله ، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة ، ودفن بالقرب من الست نفيسة ، وله أربعون سنة في الخلافة ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريري الحنفي ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر ، واستمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضى جلال الدين بن حسام الدين باذن نائب السلطنة . وفي يوم الجمعة ناسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكني بالله وترحم على والده بجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشى وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرد الاشجار حتى

صارت مثل المصى ، ولم يعهد مثل هذا ، وفي هذا الشهر عقد مجلس لليهود الخيابة وألزموا بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله (ص) بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة ، والتواريخ المحبطة ، والاحسن الفاحش ، وحاققهم عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبين لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه مزور مكذوب ، فأنابوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية . قلت : وقد وقفت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خير ، وقد توفي سعد قبل ذلك بنحو من سنتين ، وفيه : وكتب على بن طالب وهذا لمن لا يصدر عن أمير المؤمنين على ، لأن علم النحو إنما أسند إليه من طريق أبي الاسود الدؤلى عنه ، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً ، وذكرت ما جرى فيه أيام القاضي الماوردى ، وكتاب أصحابنا في ذلك العصر ، وقد ذكره في الحاوى وصاحب الشامل في كتابه وغير واحد ، وبينوا خطأه والله الحمد والمنة .

وفي هذا الشهر نار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويمزق ويحلق رؤس الصبيان ، وتكلم هو أيضاً فيمن يشكونه ذلك ، وبين خطأهم ، ثم سكنت الأمور . وفي ذى القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سويس عنوة ، ففتحها المسلمون والله الحمد . وفيه قدم عز الدين بن ميسر على نظر الدواوين عوضاً عن ابن مزهر . وفي يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة حضر عبد السيد بن المذهب ديان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلوا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة وأمر أن يركب بخلة وخلفه الدبادب تضرب والبوقات إلى داره ، وعمل ليلتند ختمة عظيمة حضرها القضاة والعلماء ، وأسلم على يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين ، وأكرمهم الناس إكراماً زائداً . وقدمت رسل ملك التتار في سابع عشر ذى الحجة فتنزلوا بالقلمة وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام وبعد مسيرهم بيومين مات أرجواس ، وبعد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سويس وقد فتحوا جانباً منها ، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم ، وخرج الناس للفرجة على العادة ، وفرحوا بقدومهم ونصرهم .

ومن توفي فيهما من الأعيان أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله

أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمي العباسي البغدادى المصرى ، بويى بالخلافة بالدولة الظاهرية في أول سنة إحدى وستين وستمائة ، فاستكمل أربعين سنة في الخلافة ، وتوفي ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه وقت صلاة العصر بسوق الخليل ، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبى الربيع سليمان .

خلافة المستكفي بالله

أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي

لما عهد إليه كتب تقليده بذلك وقرئ بمحضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الإسلامية

وتوفى فيها : الأمير عز الدين

أبيك بن عبد الله النجبي الدويدار والى دمشق ، وأحد أمراء الطبلخانة بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون ، توفى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

الشيخ الأمام العالم شرف الدين أبو الحسن

على بن الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليوناني البعلبكي وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه ، ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة فأسمه أبوه الكثير ، واشتغل وتفقّه ، وكان عابداً عاملاً كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب فجعل يضربه بعصا في رأسه ثم يسكين فبقي متعرضاً أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله يوم الخميس حادى عشر رمضان ببعلبك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعمله وحفظه الأحاديث وتودده إلى الناس وتواضعه وحسن سمته ومرورته تغمده الله برحمته .

الصدر ضياء الدين

أحمد بن الحسين بن شيخ السلامة ، والد القاضي قطب الدين موسى الذي تولى فيما بعد نظر الجيش بالشام وبمصر أيضاً ، توفى يوم الثلاثاء عشرين ذى القعدة ودفن بقاسيون ، وعمل عزاءه بالرواحية

الأمير الكبير المرباط المجاهد

علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصوري ، نائب القلعة بالشام ، كان ذاهبية وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام قازان ، وعصت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدى هذا الرجل ، فانه التزم أن لا يسلمها إليهم مادام بها عين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية ، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثاني والعشرين من ذى الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فصلى عليه وحضر نائب السلطنة فن دونه جنازته ، ثم حمل إلى سفح قاسيون ودفن بترتبه رحمه الله .

الأبرقوهي المسند المعمر المصري

هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقية السلف شهاب الدين أبوالمعالى أحمد بن إسحاق بن محمد ابن المؤيد بن على بن إسماعيل بن أبي طالب ، الأبرقوهي الهمداني ثم المصري ، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخات ، وكان شيخاً حسنًا لطيفاً مطبقاً ، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله . وفيها توفي :

صاحب مكة

الشریف أبو نبي محمد بن الأمير أبي سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى صاحب مكة منذ أربعين سنة ، وكان حليماً وقوراً ذا رأى وسياسة وعقل ومروءة . وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المصري الشافعي عفا الله عنه ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمائة من الهجرة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس ، وكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل ، فجاءتها المراكب من الديار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، ففتحت والله الحمد نصف النهار ، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين ، وأسروا قريبا من خمسمائة ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها . وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر ب وفاة قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضي القضاة ابن جماعة ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته قنبا لذلك ، ولما خرج خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد ، وأعيان الناس ليودعوه ، وستانى ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات ، ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراما زائدا ، وخلع عليه خلمة صوف وبغلة تساوئ ثلاثة آلاف درهم ، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول ، ووصلت رسل التنار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، وباشر شرف الدين الفزارى مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضا عن شرف الدين الناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارسي ، توفي بهامن سبعين سنة ، وكان فيه بر ومعروف وأخلاق حسنة ، رحمه الله .

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درسا مفيدا وحضر عنده جماعة من الأعيان ، وفي يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى خاع على قاضي القضاة نجم الدين بن مصري بقضاء الشام عوضا عن

ابن جماعة ، وعلى الفارق بالخطابة ، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس الملاوى بشد الدواوين وهنأهم الناس ، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسماع الخطبة ، وقرئ تقليد ابن مصرى بعد الصلاة ثم جلس فى الشباك الكالى وقرئ تقليده مرة ثانية ، وفى جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضى قمحس الدين بن الحريرى وجماعة من الأمراء وأغواص الدين يباب السلطنة ينصحون التتر ويكاتبونهم ، ويريدون تولية قبجق على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم ، وكذلك كمال الدين بن المطار ، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مفتعل ، ففحص عن واضعه فإذا هو فقير كان مجاوراً بالبيت الذى كان مجاور محراب الصحابة ، يقال له اليمفورى ، وآخر معه يقال له أحمد الفنارى ، وكاتبا معروفين بالشر والفضول ، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب ، فتحقق نائب السلطنة ذلك ففزع را تعزيراً عنيفاً ، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذى كتب لها هذا الكتاب ، وهو التاج المنادى . وفى أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى إلى نياحة القلعة عوضاً عن أرجواش .

عجيبة من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه : قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبية الخلق من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطبارى والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كأذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، ينفلى فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة ، رقبته مثل غلظ التنين المحشوتيناً ، وفها وشفتاها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر فى عرض أصبعين ، وفى فها ثمان وأربعون ضرساً وسن مثل بياض الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتيها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجمد ، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافر مثل أظافر الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً وفى بطنها ثلاثة كروش ، ولحها أحمر وزفر مثل السمك ، وطعمه كالحم الجمل ، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضره إلى بين يدي السلطان بالقلعة وحشوه ثبناً وأقاموه بين يديه والله أعلم .

وفى شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جداً ، وقت الخطيب فى الصلوات وقرئ البخارى ، وشرع الناس فى الجفل إلى الديار المصرية

والكرك والحصون المنيعه ، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف . وفي شهر رجب بأشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سليمان ، وفي يوم السبت ثالث شعبان بأشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين عبد السلام ، وكان جمال الدين الزرعي يسه الوظيفة إلى هذا التاريخ . وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخدولين ، وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الاسلام فيهم استندرو بهادر أخى وكجكن وغرلو العادلى ، وكل منهم سيف من سيوف الدين فى ألف وخمسمائة فارس ، وكان التتار فى سبعة آلاف فاقتلوا وصبر المسلمون صبراً جيداً ، فنصرهم الله وخذل التتر ، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وولوا عند ذلك مدبرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خميس النصارى .

أوائل وقعة شقحب

وفى ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والامير حسام الدين لاجين المعروف بالاستادار المنصورى ، والامير سيف الدين كراى المنصورى ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأبيك الخزنदार ققويت القلوب واطمان كثير من الناس ، ولكن الناس فى جنل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي وتقهر الجيش الحلبى والحموى إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتر فجاءوا قتلوا المرج يوم الاحد خامس شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبمليك وعاثوا فى تلك الاراضى فسادا ، وقلق الناس قلقاً عظيماً ، وخافوا خوفاً شديداً ، واختبئ البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس لاطاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بقاء التتار لكثرتهم ، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالاراجيف فاجتمع الامراء يوم الاحد المذكور بالبيدان وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجعوا أنفسهم ، ونودى بالبلدان لا يرحل أحد منه ، فسكن الناس وجلس القضاء بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال ، وتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى المسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم فى القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الامراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقى الدين بن تيمية يحلف للامراء والناس إنكم فى هذه الكرة منصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وكان يتأول فى ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى . [ومن بنى عليه لينصرنه الله] .

وقد تكلم الناس فى كيفية قتال هؤلاء التتر من أى قبيل هو ، فانهم يظهر ون الاسلام وليسوا

بفاة على الامام، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه . فقال الشيخ تقي الدين : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بأقامة الحق من المسلمين ، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، فتفطن العلماء والناس لذلك ، وكان يقول للناس : إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني ، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم والله الحمد .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية نجحت على الجسورة من ناحية الكسوة ، ومعهم القضاة ، فصار الناس فيهم فريقين فريق يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعاً للقتال فان المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال ، وقال فريق : إنما ساروا لتلك الجهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان . فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة فقويت ظنون الناس في هربهم ، وقد وصلت التتار إلى قارة ، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيعة ، فانزعج الناس لذلك شديداً ولم يبق حول القرى والحواضر أحد ، وامتلات القلعة والبلد وازدحمت المنازل والطرقات ، واضطرب الناس وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة ، ومحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه ، فظنوا أنه إنما خرج هاربا فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت منعتنا من الجفل وها أنت هارب من البلد ؟ فلم يرد عليهم وبقى البلد ليس فيه حاكم ، وجاس الصوص والحرافيش فيه وفي بساطين الناس يخرجون وينهبون ما قدروا عليه ، ويقطعون الشمس قبل أوانه والباقلاء والقمح وسائر الخضراوات ، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش ، وانقطعت الطرق إلى الكسوة وظهرت الوحشة على البلد والحواضر ، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المآذن ينظرون يمينا وشمالا ، وإلى ناحية الكسوة فتارة يقولون : رأينا غيرة فيخافون أن تكون من التتر ، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم ، أين ذهبوا ؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم ، فانقطعت الآمال وألح الناس في الدعاء والابتهاال وفي الصلوات وفي كل حال ، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان الناس في خوف ورعب لا يعب عنه ، لكن كان الفرج من ذلك قريبا ، ولكن أكثرهم لا يفاحون ، كما جاء في حديث أبي رزين « محب ربك من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب (١) » .

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير نغر الدين إلياس المرقبي أحد أمراء دمشق ، فبشر الناس بخير ، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية ، وقد أرسلني أكشف هل طرق

(١) في سنن ابن ماجه في كتاب السنة « ضحك ربنا الخ » والأزل : شدة القنوط .

البلد أحد من التتر، فوجد الأمر كما يجب لم يطررها أحد منهم، وذلك أن التتار عرجوا من دمشق إلى ناحية المساكر المصرية، ولم يشتغلوا بالبلد، وقد قالوا إن غلبنا فان البلد لنا، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به، ونودي بالبلد في تطيب الخواطر، وأن السلطان قد وصل، فاطمأن الناس وسكنت قلوبهم، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضي تقي الدين الحبلى، فان السماء كانت مغمية فعلمت القناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس. فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادلى فاجتمع بنائب القلعة ثم عاد سرىما إلى المعسكر، ولم يدبر أحد ما أخبر به، ووقع الناس في الارجيف والخوض صفة وقعة شقحب

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر، فأروا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية المعسكر والعدو، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد، وطاع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رؤوسهم وضج البلد ضجة عظيمة، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير، ثم سكن الناس، فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة. والتعزز على الأسوار فدعا الناس في المآذن والبلد، وانقضى النهار وكان يوما مزججا هائلا، وأصبح الناس يوم الأحد يتعدثون بكسر التتر، وخرج الناس إلى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شيء من المكاسب، ومعهم رؤس من رؤس التتر، وصارت كسرة التتار تقوى وتزايد قليلا قليلا حتى انضحت جملة، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر فيه باجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من العصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلا ونهاراً وأنهم هربوا وفرروا واعتصموا بالجبال والتلال، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل، فأمر الناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور، ونودي بعد الظهر باخراج الجبال من القلعة لأجل نزول السلطان بها، وشرعوا في الخروج. وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر. وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد، وفرح الناس به ودعوا له وهنؤه بما يسر الله على يده من الخير، وذلك أنه نذبه المعسكر الشامي أن يسير إلى السلطان يستجته على

السير إلى دمشق فسار إليه فنه على المجي^١ إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعا فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال ، فقال له الشيخ : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرص السلطان على القتال وبشره بالنصر وجعل يحاف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لتأليفاً . وألقى الناس بالفطر مدة قتلهم وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم لينتقوا وعلى القتال أفضل فيأكل الناس ، وكان يتأول في الشاميين قوله (س) « إنكم ملاقوا العدو غداً ، والفطرا أقوى لكم » فمزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري . وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان ، ولما اصطفت العساكر والنجم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً ، وأمر بجواده قعيد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي أستاذ دار السلطان ، وثمانية من الأمراء المتقدمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب مصر يومئذ ، واستظهر المسلمون عليهم والله الحد والمثنة . فلما جاء الليل لجأ التتر إلى اقتحام التلول والجبال والأكام ، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الحرب ، وبرهونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يجيشون بهم في الجبال فتضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فنجوا منهم قليل ، ثم كانوا ينساقطون في الأودية والمهاالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ، والله الحد والمثنة .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة ، وزينت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد^(١) ، فنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخلع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس ، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدغدي أمير علم ، وعزل صارم الدين إبراهيم وإلى الخصاص عن ولاية البر وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وعيد بدمشق .

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأقرم أن يولي عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفي الدين

(١) يعني من المسلمين واليهود والنصارى .

الهندي ، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام ، ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزينت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هجـم السنة ، وكان جمهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهمت الدور ومات خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وشرقت الحيطان ولم ير مثلها في هذه الأعصار ، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها .

وفي ذي الحجة باثر الشيخ أبو الوليد بن الحاج الأشبيلي المالكي إمام محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ قمحس الدين محمد الصنهاجي .

ومن توفي فيها من الأعيان ابن دقيق العيد

الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة يثـم من أرض الحجاز ، مع الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه ، وفاق أقرانه ورحل إليه الطلبة وحرس في أماكن كثيرة ، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومشيخة دار الحديث الكاملية ، وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقي يخاق مثلك ، وكان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم في ديانة ونزاهة ، وله شعر رائق ، توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر ، وصلى عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخليل وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودفن بالقراة الصغرى رحمه الله .

الشيخ برهان الدين الاسكندري

إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، مع الحديث وكان ديناً فاضلاً ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة . وبعد شهر بسواء كانت وفاة الصدر جمال الدين بن العطار

كاتب الدرج منذ أربعين سنة . أبو العباس أحمد بن أبي الفتح .

محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن فتیان الشيباني ، كان من خيار الناس وأحسنهم بنية ، ودفن بقرية لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لاحسانه إليهم رحمه الله .

الملك العادل زين الدين كتبغا

توفي بجمانة نائباً عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الاضحى ونقل إلى تربته بسفح قاسيون

غربي الرباط الناصري ، يقال لها العادلية ، وهي تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومأذنة ، وله عليها أوقاف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك ، وكان من كبار الامراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور ، ثم انتزع الملك منه لاجين وجلس في قلعة دمشق ، ثم تحول إلى صرخد وكان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماسة حتى كانت وفاته كما ذكرنا ، وكان من خيار الملوك وأعد لهم وأكثرهم برآ ، وكان من خيار الامراء والنواب رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث و سبعمائة

استملت والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي وخاع عليه وباشره مباشرة مشكورة ، وسأوى بين الناس وعزل نفسه في رجب منها . وفي شهر صفر تولى الشيخ شمس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأقام بها . ولما توفى الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الامور ، فلما قدم تكلموا معه في وظائف الفارقي فعين الخطابة لشرف الدين الفزاري ، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني ورسم بكتابة التواقيع بذلك ، وباشر الشيخ شرف الدين الامامة والخطابة ، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته ، فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول وصل البريد من مصر محبة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وقد سبقه مرسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي مضافا إلى ما بيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ففتح له باب دار الخطابة فترها وجاءه الناس يهنئونه ، وحضر عنده القراء والمؤذنون ، وصلى بالناس العصر وباشر الامامة يومين فأظهر الناس التألم من صلاته وخطابته ، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة وأقره على التدريس ودار الحديث ، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة ، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وخاع عليه بطرحة وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وباشرها في مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرسته الأولى ، وأظنهما المنراوية والشامية الجوانية .

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعادة السنجري إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندراتي نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموي ، توفي . وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر وأضيف إليها ألفان من دمشق وساروا وأخذوا

معه نائيب حمص الجوكندرانى ووصلوا إلى حماة فصحبهم نائيبها الأمير سيف الدين قبيق ، وجاء إليهم استدمر نائيب طرابلس ، وانضاف إليهم قراسنقر نائيب حلب وانفصلوا كلهم عنها وافترقوا فرقتين فرقة سارت محبة فيجق إلى ناحية ملطية ، وقلمة الروم ، والفرقة الأخرى محبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات وحاصروا تل حمدون فتسلوه عنوة في ثالث ذى القعدة بعد حصار طويل ، فذقت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع مع صاحب سبى على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ماوراء النهر إلى ناحيتهم لهم ، وأن يجعلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خلق من أمراء الارمن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدين منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية محبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر .

وفى أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا . وهوملك التتار قازان واسمه محمود بن أرغون بن أبقا ، وذلك فى رابع عشر شوال أو حادى عشره أو ثالث عشره ، بالقرب من همدان ونقل إلى تربته ببيرون بمكان يسمى الشام ، ويقال إنه مات مسموماً ، وقام فى الملك بعده أخوه خربندا محمد بن أرغون ، ولقبوه الملك غياث الدين ، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك البلاد .

وحج فى هذه السنة الأمير سيف الدين سلار نائيب مصر وفى محبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادى ، وتولى مكانه بالبركة ناصر الدين محمد الشينى ، وخرج سلار فى أبهة عظيمة جداً ، وأمير ركب المصريين الحاج إياق الحسامى ، وترك الشيخ صفى الدين مشيخة الشيوخ فوليا القضاى عبد الكريم بن قاضى القضاة محبى الدين ابن الزكى ، وحضر الخانقاه يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة وحضر عنده ابن صبرى وعز الدين القلانسى ، والصاحب ابن ميسر ، والمحتسب وجماعة .

وفى ذى القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الاسلام وهو الأمير بدر الدين جنكى بن البابا ، وفى محبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة فى الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأكرم وأعطى إمرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان يناصح السلطان ويكتبه ويطلعه على عورات التتر ، فلهدا عظم شأنه فى الدولة الناصرية .

ومن توفى فيها من الأعيان ملك التتر قازان .

الشيخ القدوة العابد أبو إسحاق

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد بن عبد الكريم الرقى الحنبلى ، كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالركة فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، واشتغل وحصل وممع شينامن

الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية في أسفلها بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع ، وكان معظماً عند الخاص والعام ، فصيح العبارة كثير العبادة ، خشن العيش حسن المجالسة لطيف الكلام كثير التلاوة ، قوى التوجه من أفراد العالم ، عارفاً بالتفسير والحديث والفقه والأصولين ، وله مصنفات وخطب ، وله شعر حسن ، توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم وصلى عليه عقيب الجمعة ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأقرم ودفن بتربته بميدان الحصا عند النهر . والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام

عرف بابن الحلبى ، كان من خيار الناس يتردد إلى عكا أياما حين ما كانت في أيدي الفرنج ، في فكك أسارى المسلمين ، جزاه الله خيراً وعنته من النار وأدخله الجنة برحمته .

الخطيب ضياء الدين

أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن علي بن أحمد بن عقيل السلمى خطيب بعلبك نحواً من ستين سنة ، هو والده ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة وسمع الكثير وتفرد عن القزويني ، وكان رجلاً جيداً حسن القراءة من كبار المدول ، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سطحات الشيخ زين الدين الفارقي

عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر^(١) بن الحسن ، أبو محمد الفارقي شيخ الشافعية ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفنى مدة طويلة ، وكانت له همة وشهامة وصرامة ، وكان يباشر الأوقاف جيداً ، وهو الذي عمر دار الحديث بعد خرابها بيد قازان ، وقد باشرها سبعة وعشرين سنة من بعد النواوى إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموى تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه ضحوة السبت ، صلى عليه ابن مصرى عند باب الخطابة وبسوق الخليل قاضى الحنفية فشمس الدين بن الحريرى ، وعند جامع الصالحية قاضى الحنابلة تقي الدين سليمان ، ودفن بتربة أهله شملى تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وباشر بعده الخطابة شرف الدين للفزارى ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل ، والشامية البرانية ابن الزملكاني وقد تقدم ذلك .

الأمير الكبير عز الدين أبيك الحموي

ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخد ، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيازة حمص ، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، ونقل إلى تربته بالسفح غربى زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب الحمام بمسجد القصب الذى يقال له حمام الحموى ، عمره في أيام نيابته .

(١) فى الشذرات فيروز . وذكر أنها عند الدرر الكامنة .

الوزير فتح الدين

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي الخزومي ابن القيسراني ، كان شيخاً جليلاً أديباً شاعراً مجوداً من بيت رياسة ووزارة ، ولي وزارة دمشق مدة ثم أقام بمصر موقماً مدة ، وكان له اعتناء بعلوم الحديث وسماعه ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى ، وقد خرج عنه الحافظ الدمياطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه ، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام . وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتاب المجيدين المتقنين ، له كتابة جيدة محررة جداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وأبوه محمد بن نصر بن صقر ولد بمكة قبل أخذ الفرنج لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فلما أخذت بمدا السبعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا التاريخ

وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوبن كثير بن ضوبن درع القرشي من بني حملة ، وهم ينتسبون إلى الشرف وأبيديهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المزني فأعجبه ذلك وابتهج به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي ، من قرية يقال لها الشركوين غربى بصرى ، بينها وبين أذرع ، ولد بها في حدود سنة أربعين وستمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بنى عقبة بصرى ، قرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جمل الزجلجى ، وعنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمرأى وقليل من الهجاء ، وقرر بمدارس بصرى ، نزل الناقية شمالى البلد حيث يزار ، وهو المبرك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك : ثم انتقل إلى خطابة القرية شرقى بصرى وتمذهب للشافعى ، وأخذ عن النواوى والشيخ تقي الدين الغزاري ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرنى شيخنا العلامة ابن الزملى كاتى ، فأقام بها نحواً من ثنتي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيلى القرية التى منها الوالدة ، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان يخطب جيداً ، وله مقول عند الناس ، ولكلامه وقع لذيائته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الإقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعِياله ، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وسميت

باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التفسير وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لي شيخنا ابن الزملاكاني ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فكث أياما ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سماني باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم الله من ساف وختم بخير لمن بقي ، توفي والدي في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعائة ، في قرية مجيدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها لأدركه إلا كالحلم ، ثم تحولنا من بعده في سنة سبع وسبعائة إلى دمشق محبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رقيقاً شفوفاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه في العلم فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه مايسر والله أعلم .

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في معجمه فيما أخبرني عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسي محرجه له ، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت ، وكذلك وقفت على خط الحافظ البرزالي مثله في السفينة الثانية من السفن الكبار : قال عمر بن كثير القرشي خطيب القرية وهي قرية من أعمال بصرى رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من الغزله همة وقوة . كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعائة بمجيدل القرية من عمل بصرى ، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشي خطيب القرية بها لنفسه في منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وسبعمائة :

نأى النوم عن جفني فبت مسهداً * أذا كلف حلف الصباية موجدا
سمير الثريا والنجوم مد لها * فن ولهي خلت الكواكب رعدا
طريحا على فرش الصباية والامسى * فما ضركم لو كنتم لي عودا
تقلبنى أيدي الغرام بلوعة * أرى النار من تلقائها لي أبردا
ومزق صبري بعد جيران حاجز * سمير غرام بات في القلب موقدا
فأمطرت دمي لعل زفيره * يقل فزادته الدموع توقدا
فبت بليلى نابي ولا أرى * على النأي من بعد الاحبة صعدا
فيالك من ليل تباعد فجره * على إلى أن خلته قد تخلدا
غراماً ووجداً لا يجد أقله * بأهيف معسول المراشف أعيدا
له طلعة كالبدن زان جمالها * بطرة شعر حالك اللون أسودا

يهزُّ من القدرِ الرشيقِ مثقفاً * ويشهرُ من جفنيه سيفاً مهيندا
 وفي وردٍ خديه وآسٍ عذاره * وضوءُ ثنابيه فنيتهُ تجلدا
 غدا كلُّ حسنٍ دونه متقاصرا * وأضحى له ربُّ الجمالِ موحددا
 إذا مارنا واهتزَّ عند لقائه * سباك، فلم تملكِ لساناً ولا يدا
 وتسجدُ إجلالاً له وكرامةً * وتقيمُ قدأُمسيته في الحسنِ أوحدا
 وربُّ أخى كفرٍ تأملَ حسنهُ * فأسلمَ من إجلاله وتشهدا
 وأنكرُ عيسى والصليبَ ومريماً * وأصبحَ يهوى بمدِّ بغضٍ محمدا
 أيا كنية الحسنِ التي طافَ حولها * فؤادي، أما للصّدِّ عندك من فدا
 قنيتُ بطيفٍ من خيالك طارقٍ * وقد كنتُ لأرضى بوضلك سرمددا
 فقد شغبت شوقي تجاوزَ حدهُ * وحسبك من شوقي تجاوزَ واعتدا
 سألتك إلا ما مررتُ بيمينا * بفضلِكَ ياربَّ الملاحة والنّدا
 لعلَّ جفوني أن تغيضَ دموعها * ويسكنَ قلبٌ مذ هجرتُ فما هدا
 غاظتُ بهجراني ولو كنتُ صابياً * لما صدّك الواشون عني ولا العددا
 وعدتها ثلاثة وعشرون بيتاً والله يغفر له ما صنم من الشعر ^(١)
 ثم دخلت سنة أربع وسبع مائة

استهات والخليفة والسلطان والحكام والمباشر من المذكور في التي قبلها ، وفي يوم الأحد ثالث
 ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري بجامع الحاكم
 بعد أن جده من خرابه بالزلزلة التي طرأت على دياره صرفي آخر سنة ثنتين وسبع مائة ، وجعل القضاة الأربعة
 هم المدرسين المذهب ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أمير الدين أبو حيان ، وشيخ
 القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي ، وشيخ إفاضة العلوم الشيخ علاء الدين القنوني . وفي جمادى
 الآخرة باشر الأمير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بكتمر ، وصاروا حاجبين
 كبيرين في دمشق . وفي رجب أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً
 متسعاً جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهيه الناس من كل
 جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بحاق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أظفاره وكانوا أطوالاً جداً ،
 وخف شاربه المسبل على فمه الخاليف للسنة ، واستنابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة
 وما لا يجوز من المحرمات وغيرها . وبعده استحضر الشيخ محمد الخباز البلاسي فاستنابه أيضاً عن كل

المحرمات ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعبير المنامات ولا في غير هاتين
علم له به . وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ وأمر أصحابه ومعهم
حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك
بها ، فزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً ، [و بهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة ، وكذلك
بكلامه بآبى عربى وأتباعه ، فحسد على ذلك وعودى ، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم ، ولا بالى ،
ولم يصلوا إليه بمكروه ، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ،
ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجلاء كما سيأتى ، وإلى الله إياب الخلق وعليه
حسابهم] ^(١) . وفي رجب جالس قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة
وعملت النخوت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها ،
وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزارى بوكالة بيت المال فلم يقبل ، وللشيخ كمال الدين بن
الزملكاني بنظر الخزانة قبل وخاع عليه بطرحة ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا
مع نجم الدين بن أبى الطيب توفى إلى رحمة الله . وفي شعبان سعى جماعة في تبطيل الوعيد ليلة
النصف وأخذوا خطوط العلماء في ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم ينفق ذلك ، بل أشعلوا
وصليت صلاة ليلة النصف أيضاً . وفي خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من
مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلمة سابع رمضان ، وحضر عند ابن مصرى بالشباك الكمالى .
وفي سابع شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشينى وقطاع إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن
مات في ذى القعدة ، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخاع عليه . وفي يوم الخميس
الثانى والعشرين من ذى القعدة حكم قاضى القضاة جمال الدين الزواوى بقتل الشمس محمد بن جمال
الدين بن عبد الرحمن الباجرى ، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن
كفر الباجرى المذكور ، وكان ممن شهد فيه عليه الشيخ محمد الدين التونسى النحوى الشافى ،
فهرب الباجرى إلى بلاد الشرق فكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كما سيأتى .
وفي ذى القعدة كان نائب السلطنة في الصيد فقصد في الليل طائفة من الأعراب فقاتلهم
الأمراء فقتلوا من العرب نحو النصف ، وتوغل في العرب أمير يقال له سيف الدين بها در نمر احتقارا
بالعرب ، فضر به واحد منهم برمح فقتله ، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقاً أيضاً ، وأخذوا
واحداً منهم زعموا أنه هو الذى قتله فصلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست . وفي ذى
القعدة تكلم الشيخ فحس الدين بن النفيب وجماعة من العلماء في الفتاوى الصادرة من الشيخ

علاء الدين بن المطار شيخ دار الحديث النورية والقوسية ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعي ، وفيها تخبيط كثير ، فتوهم من ذلك وراح إلى الحنفى فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المنكرين عليه ، ورسم عليهم ثم اصطالحوا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تثار الفتن بين الفقهاء . وفي مستهل ذى الحجة ركب الشيخ آقى الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستقنوا خلقاً منهم وأزموهم بشرائع الاسلام ورجع مؤيداً منصوراً .

ومن توفى فيها من الاعيان .

الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي

شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة مديدة ، وعنه تكتب إجازات الفقراء ، ودفن هناك عند سلفه بالبطائح

الصدر نجم الدين بن عمر

ابن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبي الكتائب بن محمد بن أبي الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولى في وقت نظر المارستان النورى وغير ذلك ، وكان مشكور السيرة رجلاً جيداً ، وقد سمع الحديث وروى أيضاً ، توفى ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بترتيم بباب الصغير .

ثم دخلت سنة خمس وسبع مائة

استلمت والخليفة المستنكى والسلطان الملك الناصر ، والمباشر من المذكورين فيما مضى ، وجاء الخبر أن جماعة من التتر كنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاد حلب بسبب ذلك . وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين القزوينى أخو قاضى القضاة إمام الدين نيابة عن ابن مصرى ، وفي ثانيه خرج نائب السلطنة بمن بقي من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية فى ثانى المحرم ، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتميمة فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقهم الضالة ، ووطئوا أراضى كثيرة من صنع بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق فى محبته الشيخ ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير ، وأبان الشيخ علماً وشجاعة فى هذه الغزوة ، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً . وفى مستهل جمادى الأولى قدم القاضى أمين الدين أبو بكر ابن القاضى وجيه الدين عبد العظيم بن الرافى المصرى من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضاً عن عز الدين بن مبشر .

ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية مع الأحدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة

وفي يوم السبت فاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأباقي وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما يمكن . ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولاً وفعلًا ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوال الشيطانية التي يتعاطونها في معاناتهم ، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام وليفصل جسده غسلًا جيدًا ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقًا ، ولو فرض أن أحدًا من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الدجاجة الخالفة للشرية إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك ، فابتدر شيخ المنيع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع ، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وصنف الشيخ جزءاً في طريقة الأحدية ، وبين فيه أحوالهم ومسالكهم وتخييلاتهم ، ومافي طريقته من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه وأخذ بدعتهم والله الحمد والمنة .

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد وعز الدين خطاب ، وسيف الدين بكندر مملوك بكتاش الحسامي بالأمرة ولبس التشاريف ، وركبوا بها وسلموا لهم جبل الجرد والكمران والبقاع . وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة ونصبوا هناك منبراً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلاً وخطبة عظيمة بليغة ، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك .

أول المجالس الثلاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، وحصل بحث في أمّا كن منها ، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني ، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفي الدين الهندي ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقيته لا طمت بحراً ، ثم اصطالحوا على أن يكون الشيخ كالدين بن الزملكاني هو الذي يحاqqه من غير مسامحة ، فتناظرا في

ذلك ، وشكر الناس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وجودة ذهنه وحسن بحثه حيث قاوم ابن تيمية في البحث ، وتكلم معه ، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة ، وعاد الشيخ إلى منزله معظماً مكرماً ، وبلغني أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القضاة على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء ، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك ، كان البناء على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف ، والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه ، وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقديمه عند الدولة ، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطاعة الناصر له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق ، وعلمه وعمله ، ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة ، وطلب القاضي جماعة من أصحاب الشيخ وعزر بعضهم ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المزي الحافظ قرأ فصلاً بالرد على الجهمية من كتاب أفعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخاري بسبب الاستسقاء ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضي الشافعي ابن مصري ، وكان عدو الشيخ فسجن المزي ، فبلغ الشيخ تقي الدين فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجه منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضي هناك ، فتقابلوا بسبب الشيخ جمال الدين المزي ، فخلف ابن مصري لا بد أن يعيده إلى السجن والإعزل نفسه فأمر النائب بإعادته تطيباً لقلب القاضي فحبسه عنده في القوصية أياماً ثم أطلقه . ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقي الدين ماجرى في حقه وحق أصحابه في غيبته ، فتألم النائب لذلك ونادى في البلد أن لا يتكلم أحد في العقائد ، ومن عاد إلى تلك حل ماله ودمه ورتبت داره وحانوته ، فسكنت الأمور . وقد رأيت فصلاً من كلام الشيخ تقي الدين في كيفية ما وقع في هذه المجالس الثلاثة من المناظرات . ثم عقد المجلس الثالث في يوم سابع شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة وفي هذا اليوم عزل ابن مصري نفسه عن الحكم بسبب كلام ممحه من بعض الحاضرين في المجلس المذكور ، وهو من الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، ثم جاء كتاب السلطان في السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن مصري إلى القضاء ، وذلك بإشارة المنبجي ، وفي الكتاب إنا كنا ممحنا بمقد مجاس للشيخ تقي الدين بن تيمية ، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس ، وأنه على مذهب السلف وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه ، ثم جاء كتاب آخر في خامس رمضان يوم الاثنين وفيه الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقي الدين بن تيمية في أيام جاغان ، والقاضي إمام الدين القزويني وأن يحمل هو والقاضي ابن مصري إلى مصر ، فتوجها على البريد نحو مصر ، وخرج مع الشيخ خالق من أصحابه وبكوا وخافوا عليه من أعدائه ، وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأفرم بترك الذهاب

إلى مصر، وقال له أناأ كاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا ، فامتنع الشيخ من ذلك ، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة ، ومصلح كثيرة ، فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة ، فيما بين دمشق والكسوة ، وهم فيما بين باك وحزين ومنفرج ومنزّه ومزاحم متغال فيه . فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غرة فعمل في جامعها مجلساً عظيماً ، ثم دخلاً معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة ، فدخل مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان ، وقيل إنهما دخلاها يوم الخميس ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة وأراد أن يتكلم على عادته فلم يتمكن من البحث والكلام ، وانتدب له الشمس ابن عدنان خصماً احتساباً ، وادعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت ، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه ، فقيل له أجب ماجئنا بك لتخطب ، فقال : ومن الحاكم في ؟ فقيل له القاضي المالكي . فقال له الشيخ كيف تحكم في وأنت خصمي ، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسماً عليه وحبس في برج أياماً ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجلب ، هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن .

وأما ابن صصري فإنه جدد له توقيع بالقضاء بإشارة المنبجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر ، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له ماقنة ، والنفوس منه فائرة ، وقرى وتقليده بالجامع وبعده قرى . كتاب فيه الخط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة ، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية ، وألزم أهل مذهبه بمخالفته ، وكذلك وقع بمصر ، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجي ، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والفقراء ، وجرت فتن كثيرة منتشرة ، ونعوذ بالله من الفتن ، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة ، وذلك أن قاضيهم كان قليل العلم مزجي البضاعة ، وهو شرف الدين الحرائي ، فلذلك نال أمحبابهم ما نالهم ، وصارت حالهم حالهم ، وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوي يستأذن السلطان في بيع طائفة من قناديل الحرم النبوي لينفق ذلك بيناء مأذنة عند باب السلام الذي عند المطهرة ، فرسم له بذلك ، وكان في جملة القناديل قنديلان من ذهب زنهما ألف دينار ، فباع ذلك وشرع في بنائها وولى مراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة فنشق ذلك على الروافض .

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذرعى الحنفى قضاء الحنفية عوضاً [عن شمس الدين ابن الحسينى معزولا وبتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزارى خطابة دمشق عوضاً] ^(١) عن عمه

الشيخ شرف الدين توفي إلى رحمة الله ، وخلق عليهما بذلك وباشرا في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان ، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وآثر بقاءه على تدريس البادرانية حين بلغه أنها طلبت لتؤخذ منه ، فبقي منصب الخطابة شاغراً ونائب الخطيب يصلى بالناس ويخطب ، ودخل عيد الاضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بالزامه بذلك ، وفيه : لعلنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرانية ، فباشرها القيسى جمال الدين ابن الرحي ، سمى في البادرانية فأخذها وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلاطاني ، فعزل الفزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على العزل وأنه لا يعود إليها أبداً ، وذكر أنه عجز عنها ، فلما تحقق نائب السلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتب له بها توقيعا بالعشر الأول من ذى الحجة وخلق على قيس الدين بن الخطيب بنظر الخزانة عوضاً عن ابن الزمكاني . وحج بالناس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .
ومن توفي فيها من الأعيان .

الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحي

ابن سابق بن الشيخ بونس القيسى ودفن بزاويتهم التي بالشرق الشمالي بدمشق غربى الوراثة والعزبة يوم الثلاثاء سابع المحرم .
الملك الاوحد

ابن الملك تقي الدين شادى بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى ، توفي بجبل الجرد في آخر نهار الأربعاء ثاني صفر ، وله من العمر سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالسفح ، وكان من خيار الملوك والدولة ، معظماً عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلوم ، ولديه فضائل .
الصدر علاء الدين

على بن معالى الانصارى الحراني الحاسب ، يعرف بابن الزريز ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفي في آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون ، وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيورى عنه .

الخطيب شرف الدين أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، الشيخ الامام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاثين ومممع الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح وابن السخاوى وغيرهما ، وتفقه وأفق وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذاً في

العربية واللغة والقراءات وإيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم ، وكان فصيح العبارة حلوا المحاضرة ، لامتثل بحالسته ، وقد درس بالطبية ، وبالرباط الناصري مدة ، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارق في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التاسع من شوال ، عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله ، وولى الخطابة ابن أخيه شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الديماطي

وهو الشيخ الامام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الديماطي ، حامل لواء هذا الفن - أعنى صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبر السن والتقدم ، وعلو الاسناد وكثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التأليف وانتشار التصانيف ، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق ، ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستائة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالاسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ ورحل وطاف وحصل وجمع فأوعى ، وامن مامنع ولا يخل ، بل بذل وصنف ونشر العلم ، وولى المناصب بالديار المصرية ، وانتفع الناس به كثيراً ، وجمع معجماً لمشايخه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزيدون على ألف وثلثمائة شيخ ، وهو مجلدان ، وله الأربعمائة المتبينة الاسناد وغيرها وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً ، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أفاد فيه وأجاد ، وجمع ما لم يسبق إليه ، وله كتاب الذكرو والتسبيح عقيب الصلوات ، وكتاب التسلية في الغتباط بثواب من يقدم من الافراط ، وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إنباع الحديث إلى أن أدركته وفاته وهو صائم في مجلس الاملاء عثى عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته يوم الاحد عاشر ذي القعدة بالقاهرة ، ودفن من الغد بمقابر باب النصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ست وسبعماية

استهلت والحكام هم المذكرون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل ، وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ شمس الدين إمام الكلاسة وذلك في ربيع الأول ، وهنى بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لغبية نائب السلطنة في الصيد ، فلما حضر أذن له فباشريوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة ، ثم خلع عليه وخطب بها يومئذ ، وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول باشر نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالدمشقي عوضا عن تاج الدين بن صالح بن تامر بن خان الجمبري ، وكان معمر أقدم الهجرة كثير الفضائل ، دينا

وزعاً، جيد المباشرة، وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخمسين وستمائة، فلما ولي ابن صصرى كره نيابته . وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضي شمس الدين الأزرعى الحنفى، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريرى فذهبوا ليهنئوه مع البريد إلى الظاهرية ، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالى فى قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرعى، فبطل القارئ وقام الناس مع البريدى إلى الأزرعى ، وحضرات كسرة وخدة على الحريرى والحاضرين . ووصل مع البريدى أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملى كفى إلى القاهرة ، فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه بسبب انتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فتلطف به نائب السلطنة ، ودارى عنه حتى أعفى من الحضور إلى مصر ، والله الحمد .

وفي يوم الخميس تاسع جمادى الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبه مائة فقير كلهم محلقى ذقونهم وموفرى شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤسهم قرون لباييد . ومعهم أجراس وكعاب وجواكين خشب ، فنزلوا بالمنيبع وحضروا الجمعة برواق الخنابلة ، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا ، ثم استأذنوا فى الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم ، فعادوا إلى دمشق فصاموا بها رمضان ثم انشعروا راجعين إلى بلاد الشرق ، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا ، وقد كان شيخهم براق روميا من بعض قرى دوقات من أبناء الأربعين ، وقد كانت له منزلة عند قازان ومكانة ، وذلك أنه ساء عليه نمرا فزجره فهرب منه وتركه ، فخطى عنده وأعطاه فى يوم واحد ثلاثين ألفا ففرقها كلها فاحبه ، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة ، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة ، وكان يزعم أن طريقه الذى سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه ، ويرى أنه زى المسخرة ، وأن هذا هو الذى يليق بالدنيا ، والمقصود إنما هو الباطن والقاب وعارة ذلك ، ونحن إنما نحكم بالظاهر ، والله أعلم بالسرائر .

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر مدرس النجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز المعجمى الحلبى ، عوضا عن الشيخ ضياء الدين الطوسى توفى ، وحضر عنده ابن صصرى وجماعة من الفضلاء ، وفى هذه السنة صليت صلاة الرغائب فى النصف بجماع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين ، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس العلائى ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتشد ، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس فى الطرقات وحصل للناس أذى كثير ، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط . وفى سابع عشر رمضان حكم القاضى تقي الدين الحنبلى بمقتن دم مجد الباجرى ، وأثبت عنده محضرا

بمداوة ما بينه وبين الشهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكي ، حين حكم باراقة دمه ، ومن شهد بهذه المداوة ناصر الدين بن عبد السلام و زين الدين بن الشريف عدنان ، وقطب الدين بن شيخ السلامة وغيرهم . وفيها باشر كمال الدين بن الزملاكاني نظر ديوان ملك الأمراء عوضا عن شهاب الدين الحنفي ، وذلك في آخر رمضان ، وخلع عليه بطيلسان وخلمة ، وحضر بها دار العدل . وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلالر نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء فالتقوا الشافعي والمالكي والحنفي ، والفقهاء الباجي والجزري والقمراوي ، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من الحبس ، فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطا بذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة وأرسلوا إليه ليحضر لينكلموا معه في ذلك ، فامتنع من الحضور وصمم ، وتكررت الرسل إليه ست مرات ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ولم يعدم شيئا ، فطال عليهم المجلس ففترقوا وانصرفوا غير مأجورين .

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفي ، فصلى الظهر يومئذ وخطب الجمعة واستمر بالإمامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة ، وفي مستهل ذي القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته . وفي مستهل ذي القعدة كل بناء الجامع الذي ابتناه وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصري بالصالحية ، ورتب فيه خطيبا يخطب يوم الجمعة وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومد صاحب شهاب الدين الحنفي سماطا بعد الصلاة بالجامع المذكور وهو الذي كان الساعي في عمارته ، والمنسحق عليها ، فجاء في غاية الاتقان والحسن ، تقبل الله منهم .

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن مصري القاضي صدر الدين ساجان بن هلال بن شبل الجعبري خطيب داريا في الحكم عوضا عن جلال الدين القزويني ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم ، وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفي الدين الحنفي البصراوي إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضا عن الأزرق ، مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية وخرج الناس لتلقيه وهنؤه ، وحكم بالنورية وقرىء تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية ، من جامع بني أمية . وفي ذي الحجة ولي الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية وإلى الولاة ، عوضا عن الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، بحكم ولايته شدد الدواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكالته للرئيس

عز الدين بن حمزة القلانسي عوضا عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك .

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ نقي الدين من الحبس الذي يقال له الحب فأرسل في طلبه فجيء به فقرأ على الناس فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئا لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الادارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشئ من ذلك .

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ نقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلاار ، وحضر ابن مخلوف المالكي وطال بينهم كلام كثير فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام ، وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة وصل على البريد من مصر نصر الدين محمد بن الشيخ نغر الدين بن أخي قاضي القضاة البصراوي ، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف الهجبي وخلع عليه بطليسان ولبس الخلعة ودار بها في البلد في مستهل سنة سبع وسبعمائة ، وفي هذه السنة عمر في حرم مكة بنحو مائة ألف . وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون .

ومن توفي فيها من الأعيان : القاضي تاج الدين

صالح بن أحمد بن خامد بن علي الجمعدى الشافعي نائب الحكم بدمشق ومفيد الناصرية ، كان ثقة ديناً عادلاً مرضياً زاهداً ، حكم من سنة سبع وخمسين وستمائة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسن الشكل والهيئة ، توفي في ربيع الاول عن ست وسبعين سنة ، ودفن بالسفح وناب في الحكم بعده نجم الدين الدمشقي .

الشيخ ضياء الدين الطوسي

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن علي الشافعي مدرس النجبية شارح الحاوي ، ومختصر ابن الحاجب كان شيخاً فاضلاً بارعاً ، وأعاد في الناصرية أيضاً ، توفي يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحمام تاسع عشر من جمادى الاولى ، وصلى عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر ، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصوفية ، ودرس بعده بالمدرسة بهاء الدين بن المعجمي .

الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي

المعروف بابن السوابلي ، والسوابل الطائسات . كان معظماً ببلاد الشرق جداً ، كان تاجراً كبيراً توفي في هذا الشهر المذكور .

الشيخ الجليل سيف الدين الرجيجي

ابن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليوفسية بمقامهم ، صلى عليه سادس رجب بالجامع ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جداً مخلوق الشعر ، وخلف أموالاً وأولاداً .

الأمير فارس الدين الروادي

توفي في العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك ، أو نحو هذا ، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

الشيخ العابد خطيب دمشق شمس الدين

شمس الدين محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلالطي إمام الكلاسة ، كان شيخاً حسناً بهي المنظر كثير العبادة ، عليه سكون ووقار ، باشر إمامة الكلاسة قريباً من أربعين سنة ثم طلب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها ستة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسن الصوت طيب النغمة عارفاً بصناعة الموسيقى ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثنتين وستين سنة ، وصلى عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلى عليه بسوق الخيل وحضر نائب السلطنة والأمراء والعامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفيح قاسيون رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وسبع مائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل في قلعة الجبل بمصر ، وفي أوائل المحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير ابن سلار والجاشنكير وامتنع من العلامة وأغلق القلعة ونحصر فيها ، ولزم الأميران بيوتهما ، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء وحوصرت القلعة وجرت خبطة عظيمة ، وغلقت الأسواق ، ثم راسلوا السلطان فتناطدت الأمور وسكنت الشرور على دخن ، وتنافر قلوب وقوى الأميران أكثر مما كانا قبل ذلك وركب السلطان ووقع الصلح على دخن . وفي المحرم وقعت الحرب بين التتار وبين أهل كيلان ، وذلك أن ملك التتار طلب منهم أن يجلبوا في بلادهم طريقاً إلى عسكره فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتار خبر بندا جيشاً كثيفاً من ألف من المقاتلة ، أربعين ألفاً مع قتلوشاه وعشرين ألفاً مع جوبان ، فأمهلم أهل كيلان حتى توسطوا بلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر ورموهم بالنفط ففرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يفلت منهم إلا القليل ، وكان فيمن

قتل أمير النمر الكبير قطلو شاه ، فاشتد غضب خر بندا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قطلو شاه فانه كان يريد قتل خر بندا فكفى أمره عنهم ، ثم قتل بعده بولاي . ثم إن ملك النمر أرسل الشيخ براق الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبلغهم عنه رسالة قتلوه وأراحوا الناس منه ، و بلادهم من أحسن البلاد وأطيبها لا تستطيع ، وهم أهل سنوآ أكثر حنابلة لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم .

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه ، فلما خرج أقسم عليه لياتين معه إلى دارسلار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدارسلار وجرت بينهم بحوث كثيرة . ثم فرقت بينهم الصلاة ، ثم اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقي الدين عند سلار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار ، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن رفع وعلاء الدين التاجي ، ونغر الدين بن بنت أبي سعد ، وعز الدين النراوى ، وشمس الدين بن عدنان وجماعة من الفقهاء وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، لمعرقهم بما ابن تيمية منطوى عليه من العلوم والادلة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه ، وقبل عذرهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وجاء الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلار بإقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه ، وينتفع الناس به ويستغلوا عليه . وكتب الشيخ كتاباً إلى الشام يتضمن ماوقع له من الأمور . قال البرزالي : وفي شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلموه في ابن هربى وغيره إلى الدولة ، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعى ، فمقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثت بمعنى العبارة ، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله ^(١) فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضي قد قلت له ما يقال مثله ، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزماً مباشرة ، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لمواطعهم ، فركب خيل

(١) المعروف في كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادي : أنه لا يجوز هذا . فليحرر .

البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من الغد يريد آخر فردوه وحضر عند قاضي القضاة ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : إن الدولة ماترضى إلا بالحبس ، فقال القاضي وفيه مصلحة له ، واستجاب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال : ما ثبت عليه شيء ، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال أنا مضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين الزواوي : يكون في موضع يصلح لمثله فقبل له الدولة ماترضى إلا بحسب الحبس ، فأرسل إلى حبس القضاة في المكان الذي كان فيه أتى الدين ابن بنت الأعرح حين سجن ، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه ، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنبجي لوجهته في الدولة ، فانه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد ، وغيره من الدولة ، والسلطان مقهور معه ، واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويوزرونه ، وتأتية الفتاوى المشكلة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة . ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالقاهرة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهاراً . وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملاكاني نظر ديوان المارستان عوضاً عن يوسف العجمي توفي ، وكان محتسباً بدمشق مدة فأخذها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بسنة أشهر ، وكان العجمي موصوفاً بالامانة . وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة وصين الجامع من الفوغاء والرعاغ ، وحصل بذلك خير كثير والله الحمد والمنة .

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي ومعه توقيع بنظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين الخطيرى مضافاً إلى ما بيده من الحسبة ، ووقع في أواخر رمضان مطر قوى شديد ، وكان الناس لهم مدة لم يمتطروا ، فاستبشروا بذلك ، ورخصت الأسعار ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر ، فصاروا بالجامع ، وحضر نائب السلطنة فصلى بالمقصورة ، وخرج المحمل ، وأمير الحج عائد سيف الدين بلبان البدرى التتري . وفيها حج القاضي شرف الدين البارزي من حماة . وفي ذى الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدؤه من الفرن نجاها الذي يقال له فرن العوتية ، ثم لطف الله وكف شرها وشررها .

قلت : وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكنا بدرب سمور الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة العتيقة عند الطوريين ، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين .

ومن توفي فيها من الأعيان الأمير ركن الدين بيبرس

المعجمي الصالحى ، المعروف بلجائق ، كان رأس الجدارية فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمره الملك الظاهر . كان من أكابر الدولة كثير الاموال ، توفي بالرملة لأنه كان فى قسم إقطاعه فى نصف جمادى الأولى ، ونقل إلى القدس فدفن به .

الشيخ صالح الأحمدى الرفاعى

شيخ المينبع ، كان التتر يكرمونه لما قدموا دمشق ، ولما جاء قتلوشاه نائب التتر نزل عنده ، وهو الذى قال للشيخ تقي الدين بن تيمية بالقصر : نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتر ، وأما عند الشرع فلا . ثم دخلت سنة ثمان وسبع مائة

استهلت والحكام المذكورون فى التتر قبلها ، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس ، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتملأوا وإسنتاء وغير ذلك . وفى مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ، فأخرج من البرج وسكن دار الأفرم بالقاهرة ، ثم كانت وفاته فى خامس رجب من هذه السنة . وفى أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء زين الدين الشريف ابن عدنان عوضا عن ابن الزملكاني ، ثم أضيف إليه نظر الجوامع أيضا عوضا عن ابن الخطيرى ، وتولى نجم الدين بن الدمشقى نظر الأيتام عوضا عن نجم الدين بن هلال . وفى رمضان عزل صاحب أمين الدين الرفاقى عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر . وفيها عزل كمال الدين ابن الشريشى نفسه عن وكالة بيت المال وصمم على الاستمرار على العزل وعرض عليه العود فلم يقبل ، وحملت إليه الخلفة لما خاع على المباشرين فلم يلبسها ، واستمر معزولا إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية ، فجدد تقليده وخلع عليه فى الدولة الجديدة .

وفيها خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصداً الحج ، وذلك فى السادس والعشرين من رمضان ، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردم ، ولما اجتاز بالكرك عدل إليها فنصب له الجسر ، فلما توسطه كسر به فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فلم ، وسقط من كان وراءه وكانوا خمسين فأت منهم أربعة ونهشم أكثرهم فى الوادى الذى تحت الجسر ، وبقي نائب الكرك الأمير جمال الدين آقوش خجلا يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل للسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا فلم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وما جرى له ولا صحابه ثم خاع على النائب وأذن له فى الانصراف إلى مصر فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير المملكة فى الكرك وحدها ، وكان يحضر دار العدل ويباشر الأمور بنفسه ، وقدمت عليه زوجته من مصر ، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات .

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بشيخ^(١) المنبجى عدوان تيمية لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الإقامة بها كتب كتابا إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ على قضاة الشام وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السلطنة في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين سلار ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوه وخطبوه بالملك المظفر ، وركب إلى القلعة وشوا بين يديه ، وجلس على سرير المملكة بالقلعة ، ودقت البشار وشارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان . وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادي إلى دمشق فاجتمع بنائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الابلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبتته القضاة وامتنع الحنبلى من إثباته وقال : ليس أحد يترك الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد ما تركه ، فمزل وأقيم غيره ، واستحلهم السلطان الملك المظفر ، وكتبت الدلالة على القلعة ، وألقاه على محال المملكة ، ودقت البشار وزينت البلد ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الأمراء بالقصر ، وفيه : إني قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك ، تباكى جماعة من الأمراء وبايعوا كالمكرهين ، وتولى مكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأمير سيف الدين بن على ، ومكان ترعى سيف الدين بنخاص ، ومكان بنخاص الأمير جمال الدين آقوش الذى كان نائب الكرك ، وخطب للمظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة في تاسع عشر ذي القعدة ، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضى محيى الدين بن فضل الله بالقصر بحضرة الأمراء ، وعليهم الخلع كلهم . وركب المظفر بالخلعة السوداء الخليفية ، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع يوم السبت سابع ذي القعدة ، والصاحب ضياء الدين النسائى حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة فى كيس أطلس أسود ، وأوله : إنه من سلمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقال إنه خلع فى القاهرة قريب ألف خلعة ومائتى خلعة ، وكان يوما مشهوداً ، وفرح بنفسه أياما يسيرة ، وكذا شيخه المنبجى ، ثم أزال الله عنهما نعمته سريعا . وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة وباشر الشيخ علاء الدين القونوى تدريس الشريفة .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الصالح عثمان الحلبوني

أصله من صعيد مصر ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية ، ومكث مدة لا يأتى كل الخبز ، واجتمع عليه جماعة من المريدين وتوفى بقرية برارة فى أواخر الحرم ، ودفن بها وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان .

(١) كذا فى الأصل . ولعلها « بسى » أو نحوها .

الشيخ الصالح

أبو الحسن علي بن محمد بن كثير الحراني الحنبلي إمام مسجد عطية ، ويعرف بابن المقرئ روى الحديث وكان فقيها بمدارس الحنابلة. ولد بجران سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفي بدمشق في العشر الأخير من رمضان ، ودفن بسفح قاسيون ، وتوفي قبله الشيخ زين الدين الحراني بغزة ، وعمل عزائه بدمشق رحمهما الله .

السيد الشريف زين الدين

أبو علي الحسن بن محمد بن عدنان الحسيني نقيب الاشراف ، كان فاضلا بارعا فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال ويباحث الامامية ، وينظر على ذلك بحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظر الجامع ونظر ديوان الأفرم ، توفي يوم الخامس من ذي القعدة عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بترتيم بباب الصغير .

الشيخ الجليل ظهير الدين

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادى ، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكة ، وبعد وفاة عمه ، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي .

ثم دخلت سنة تسع وسبعماية

استهات وخليفة الوقت المستكنى أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وفأثبه بمصر الأمير سيف الدين سلالر ، وبالشام آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها . وفي ليلة سابع صفر توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية من القاهرة إلى الاسكندرية محبة أمير مقدم ، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسع الأكفاف ، فكان الناس يدخلون عليه ويشغلون في سائر العلوم ، ثم كان بعد ذلك بحضور الجماعات ويعمل المواعيد على عادته في الجامع ، وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه تألم وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه المنبجى ، فنضاضه له الدعاء ، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الاسكندرية ، فضاقت له الصدور ، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجى . وكان سبب عداوته له أن الشيخ تقي الدين كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجى ، ويقول : زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقرب انقضاء أجله ، ويتكلم فيهما وفي ابن عربى وأتباعه ، فأرادوا أن يسيره إلى الاسكندرية كهيئة المنفى لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة ، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقرباً منه وانتفاعاً به واشتغالاً عليه ، وحنوا وكرامة له . وجاء كتاب من أخيه يقول فيه : إن الأخ الكريم قد نزل بالنصر المحروس على نية الرباط ، فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا يكيدونه بها ويكيدون الاسلام وأهله ،

وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فاقبلت عليهم مقاصدم الخبيثة وانمكنت من كل الوجوه ، وأصبحوا وأسوا ومازالوا عند الله وعند الناس العارفين بسود الوجوه ينقطعون حسرات ، وتندما على ماضوا ، وانقلب أهل النفر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له وفي كل وقت يفشرون كتب الله وصلة رسوله ماتت به أعين المؤمنين ، وذلك شجى في حلق الأعداء وانفق أنه وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبعينية والعريضة فزق الله بقدومه عليهم شملهم ، وشقت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم ونضحهم ، واستتاب جماعة كذيرة منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفتية ، ومفتى وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأغمار الجهال ، مع الذلة والصغار - محبة الشيخ وتمظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فمات كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سرا وجهرا وباطنا وظاهرا ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنبجي المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذل مالا يعبر عنه ، وذكر كلاما كثيرا .

والمقصود أن الشيخ تقي الدين أقام بنصر الاسكندرية ثمانية أشهر مقبلا ببرج متسع مليح نظيف له شبا كان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء ، يقرؤن عليه ويستفيدون منه ، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر .

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كمال الدين بن الزمكاني عن نظار المارستان بسبب انتماؤه إلى ابن تيمية بإشارة المنبجي ، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيرى . وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولي قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الامام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد ابن مسعود بن زين الدين الحارثي ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي . وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى البلاد السواحلية بإبطال الخور وتخريب الحامات ونفى أهلها ، ففعل ذلك وفرح المسلمون بذلك فرحاشديدا . وفي مستهل جمادى الآخرة وصل بريد بتولية قضاء الحنابلة بدمشق للشيخ شهاب الدين أحمد بن شريف الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى ، عوضا عن التقي سليمان بن حمزة بسبب تسكلمه في نزول الملك الناصر عن الملك ، وأنه إنما نزل عنه مضطهدا بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال . وفي عشرين جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضا عن الرستمي فلم يقبل ، وبنظر الخزانة للأمير عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المروفي بابن القلانسي ، فباشرها وعزل عنها البصراوي محتسب البلاد . وفي هذا الشهر باشر قاضي القضاة ابن جماعة مشيخة سعيد السعداء

بالقاهرة يطلب الصوفية له ، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة ، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الايكي ، لأنه عزل منها الشهود ، فناروا عليه وكتبوا في حقه محاضر بأشياء قاذحة في الدين ، فرسم بصرفه عنهم ، وعومل بنظير ما كان يعامل به الناس ، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الاسلام ابن تيمية واقتراؤه عليه الكذب ، مع جهله وقلة ورعه ، فمجل الله له هذا الخزي على يدي أصحابه وأصدقائه جزاء وفاقا .

وفي شهر رجب كثرا لخوف دمشق وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من السكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك ، وقد ملأه جماعة من الأمراء وكتابه في الباطن وناصحوه ، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدث الناس بسفر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجم الفقير ، فاضطرب الناس ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر وجددوا البيعة للملك المظفر ، وفي آخر النهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر وازدحم الناس بباب النصر وحصل لهم تعب عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثر الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الحان ، فانزعج نائب الشام لذلك وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه الاميران ركن الدين بيبرس الخنوز ، وبيبرس العلمى ، وركب إليه الامير سيف الدين بكتمر حاجب الحجاب يشير عليه بالرجوع ، ويخبره بأنه لا طاقة له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيف الدين بها درا يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى السكرك ، فسكن الناس ورجع نائب السلطنة إلى القصر ، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم ، واستقروا بها .

صفة عود الملك الناصر

محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك وزاول دولة المظفر الجاشنكير
بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلوي

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدم الملك الناصر إلى دمشق ، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلو بك والحاج بهادر إلى السكرك ، وحضاه على الحجى . إليها ، واضطرب نائب دمشق وركب في جماعة من أتباعه على المهجن في سادس عشر شعبان و معه ابن صبيح صاحب شقيف أربون ، وهيئت بدمشق أبهة السلطنة والاقامات اللائقة به ، والعصائب والكوسات ، وركب من السكرك في أبهة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأفرم ، ودعاه المؤذنون في المأذنة ليلة الاثنين سابع عشر شعبان ، وصبح بالدعاء له والسرور بذكركه ، ونودي في الناس بالأمان ، وأن يفتحوا دكاكينهم

و يأمنوا في أوطانهم ، و شرع الناس في الزينة و دقت البشار و نام الناس في الاسطحة ليلة الثلاثاء ليتفرجوا على السلطان حين يدخل البلد ، و خرج القضاة ، و الامراء و الأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : و كنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أبهة عظيمة و بسط له من عند المصلى و عليه أبهة الملك و بسطت الشقاق الحرير تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، و الجدد على رأسه و الامراء الساحدارية عن يمينه و شماله ، و بين يديه ، و الناس يدعون له و يضجون بذلك ضجيجا عاليا ، و كان يوما مشهودا . قال الشيخ علم الدين البرزالي : و كان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء ، و كاوثة حمراء ، و كان الذي حمل الفاشية على رأس السلطان الحاج بهادر و عليه خلمة معظمة مذهبة بفرو فاخم . و لما وصل إلى القلعة نصب له الجسر و نزل إليه فأنبأها الأمير سيف الدين السنجري ، فقبل الأرض بين يديه ، فأشار إليه إلى الآن لا أنزل ههنا ، و سار بفرسه إلى جهة القصر الأتلق و الامراء بين يديه ، فخطب له يوم الجمعة .

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأقرم نائب دمشق مطيما للسلطان ، فقبل الأرض بين يديه ، فترجل له السلطان و أكرمه و أذن له في مباشرة النيابة على عادته ، و فرح الناس بطاعة الأقرم له ، و وصل إليه أيضا الأمير سيف الدين قبحق نائب حماة ، و الأمير سيف الدين استدمر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان ، و خرج الناس لتلقيهما ، و تلقاهما السلطان كما تلقى الأقرم . وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الحنابلة و عودته إلى اتقى الدين سليمان ، و هنأه الناس و جاء إلى السلطان إلى القصر فسلم عليه و مضى إلى الجوزية فحكم بها ثلاثة أشهر ، و أقيمت الجمعة الثانية بالميدان و حضر السلطان و القضاة إلى جانبه ، و أكبر الامراء و الدولة ، و كثير من العامة . وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب و خرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان ومعه القضاة و القراء وقت العصر ، و أقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضا ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفي صحبته ابن صصري و صدر الدين الحنفي قاضي العساكر ، و الخطيب جلال الدين ، و الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، و الموقعون و ديوان الجيش و جيش الشام بكاله قد اجتمعوا عليه من سائر مدنه و أقاليمه بنوا به و أمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أبهة عظيمة ، و تلقاه الأمير سيف الدين بهادر هو و جماعة من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الامراء من مصر إلى السلطان و أخبروه بذلك ، فطابت قلوب الشاميين و استبشروا بذلك و دقت البشار و تأخر محي البريد بصورة الناصري .

واففق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالمقضى في السناجق إلى المصلى على العادة ، واستناب في البلد الشيخ مجد الدين التونسي ، فلما وصلوا إلى المصلى وجدوا خطيب المصلى قد شرع في الصلاة فنصبت السناجق في محن المصلى وصلى بينهما تقي الدين المقضى ثم خطب ، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى ، فمعد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يتفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم لسار أن يسافر إلى الشوبك ، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكنتمر الجوكندار الذي كان نائب صند ، وبالشام الأمير قراستقر المنصوري ، وذلك في العشرين من شوال ، واستوزر الصاحب نغر الدين الخليلي بعدها بيومين ، وبأشر القاضي نغر الدين كاتب الممالك نظر الجيوش بمصر بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفر الحلي ، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال ، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار ، وقدرى شيئا من الحديث ، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخند وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبغا رأس نوبة الجندارية شد الدواوين ، وأستاذ دار الاستادارية عوضا عن سيف الدين أقجبا ، وتغيرت الدولة وانقلبت قلعة عظيمة . قال الشيخ علم الدين البرزالي : ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الاسكندرية معززا مكرما مبعجلا ، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خلق من الاسكندرية بدعوته ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقاه ومشى إليه في مجاس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، والناس يترددون إليه ، والأمراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتصل بما وقع منه ، فقال أنا حالت كل من أذاني .

قلت : وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي ، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلا ، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي المساكر ، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس ، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول مارآه ، ومشى له إلى طرف الايوان واعتنقا هناك هنية ، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فيها شبك إلى بستان فجلسا ساعة يتحدثان ، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر ، وعن يساره ابن

الخليلي الوزير، ونحته ابن صصرى، ثم صدر الدين على الخنفي، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته، وتكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمام البيض بالعلماء، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مائة ألف في كل سنة، زيادة على الحالية، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جعلتهم ابن الزملكاني. قال ابن القلانسي: وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة، فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فبقي الشيخ تقي الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا، وجعل يرفع صوته والسلطان يتسلافاه ويسكنه بترقي وتؤدة وتوقير. وبالف الشيخ في الكلام وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، وبالف في التشفيع على من يوافق في ذلك. وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصرف فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذ رد ملكك إليك، وكبت عدوك ونصرك على أعدائك فذكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائباً لك، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك، وجرت فصول يطول ذكرها. وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين، وزينه وزينته وقيامه بالحق وشجاعته، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذك أنت أيضاً، وأخذ يحثه بذلك على أن يقتله في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجدد بعدهم مثلهم، فقال له إنهم قد آذك وأرادوا قتلك صرارا، فقال الشيخ من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرصنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويحببهم بالكتابة والقول، وجاء الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال: قد جعلت الكل في حل، وبعث الشيخ كتابا إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخيره الكثير، ويطلب منهم جملة من كتب

العلم التي له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي ، فانه يدري كيف يستخرج له ما يريد من الكتب التي أشار إليها ، وقال في هذا الكتاب : والحق كل ماله في علو وازدياد وانتصار ، والباطل في انخفاض وسفول واضلال ، وقد أذل الله رقاب الخصوم ، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجيبهم إلى مطالبهم حتى يصير المشروط معمولاً ، والمذكور مغفولاً ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم ، وذكر كلاماً طويلاً يتضمن ما جرى له مع السلطان في قمع اليهود والنصارى وظلم ، وتركهم على ما هم عليه من الذلة والصغار والله سبحانه أعلم .

وفي شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميراً ، وفي سادس عشر شوال وقع بين أهل حوران من قيس وبين فقتل منهم مقتلة عظيمة جدا ، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء ، وهم يسمونها السويداء ، ووقعة السويداء ، وكانت الكسرة على بن فهر بوا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق في أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفاً من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فأتاه الله وإنا اليه راجعون .

وفي يوم الأربعاء سادس القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائباً على حلب فقتل القصر ومعه جماعة من أمراء المعريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهباً إلى طرابلس نائباً والفتوحات السواحلية عوضاً عن الأمير سيف الدين استمدر ، ووصل جماعة ممن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر في ذى القعدة منهم قاضي قضاة الحنفية صدر الدين ، ومحيي الدين بن فضل الله وغيرهما ، فقامت وجلست يوماً إلى القاضي صدر الدين الحنفي بعد مجيئه من مصر فقال لي أنجب ابن تيمية ؟ قلت : نعم ، فقال لي وهو يضحك : والله لقد أحببت شيئاً مليحاً ، وذكر لي قريباً مما ذكر ابن القلانسي ، لكن سياق ابن القلانسي أتم .

مقتل الجاشنكير

كان قد فر الخبيث في جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأمير سيف الدين قراسنقر المنصوري من مصر متوجهاً إلى نيابة الشام عوضاً عن الافرم ، فلما كان بغزة في سابع ذى القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع في وسطها الجاشنكير في ثلاثمائة من أصحابه فأحيط بهم وتفرق عنه أصحابه فأمسكوه ورجع معه قراسنقر سيف الدين بهادر على الهجن ، فلما كان بالخطارة تلقاهم استمدر فقتل منهم

و رجعا إلى عسكرهم ، ودخل به استمدر على السلطان فعاتبه ولامه ، وكان آخر العهد به ، قتل ودفن بالقرافة ولم ينفعه شيخه المنبجي ولا أهواله ، بل قتل شر قتلة ودخل قراسنقر دشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة فنزل بالقصر ، وكان في صحبته ابن صصرى وابن الزملكاني وابن القلانسي وعلاء الدين بن غاتم وخلق من الامراء المصريين والشاميين ، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قبلهم يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة على عادته ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بجامع دشق القاضي بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلي عن إذن نائب السلطنة ، وقرأ تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضرة القضاة والاكابر والأعيان ، وخلع عليه عقيب ذلك خلعة سنية ، واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الآتية .

وفي ذى الحجة درس بكل الدين بن الشيرازي بالمدرسة الشامية البرانية ، انتزعها من يد الشيخ بكل الدين بن الزملكاني ، وذلك أن استمدر ساعده على ذلك . وفيها أظهر ملك التتر خر بندا الرنض في بلاده ، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكروا في خطبتهم إلا على بن أبي طالب رضى الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيب بلاد الازج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديداً وبكى الناس معه ونزل ولم يتمسكن من إتمام الخطبة ، فأقيم من أتمها عنه وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فانالله وإنا إليه راجعون . ولم يجمع فيها أحد من أهل الشام بسبب تخبيط الدولة وكثرة الاختلاف «ومن توفى فيها من الاعيان»

الخطيب ناصر الدين أبو الهدى

أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب المقيمية بداره بها وقد باشر نظر الجامع الاموى وغير ذلك ، توفي يوم الاربعاء النصف من المحرم ، وصلى عليه بجامع المقيمية ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وقد روى الحديث وباشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان .

قاضي الحنابلة بمصر

شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحراني ولد بجران سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث وقدم مصر فباشر نظر الخزانة وتدريس الصالحية ثم أضيف إليه القضاء ، وكان مشكور السيرة كثير المسكارم توفي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الاول دفن بالقرافة ، وولى بعده سعد الدين الحراني كما تقدم .

الشيخ نجم الدين

أبوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بـؤذن النجيبى ، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق و نقيب الخطباء ، وكان حسن الشكل رفيع الصوت ، واستمر بذلك نحواً من خمسين سنة إلى أن توفى فى مستهل جمادى الأولى . وفى هذا الشهر توفى .

الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري

تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معاً ، وبأشر شد الدواوين بالشام مرات ، وله دار وبستان بدمشق مشهوران به ، وكان فيه نهضة وله همة عالية وأموال كثيرة ، توفى بمصر .

الأمير جمال الدين آقوش بن عبدالله الرسيمي

شاد الدواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك والى الولاية بالجبهة القبلية بعد الشريفي ، وكانت له سطوة توفى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى ودفن ضحوة بالقبة التى بناها تجاه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة . وبأشر بعده شد الدواوين أقبحاً . وفى شعبان أوفى رجب توفى .

التاج ابن سعيد الدولة

وكان مسلمانياً وكان سفير الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب صحبته لنهر المنبجى شيخ الجاشنكير ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفى تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير .

الشيخ شهاب الدين

أحمد بن محمد بن أبى المكرم بن نصر الاصمهاى رئيس المؤذنين بجامع الأموى ، ولد بدمشق اثنتين وستائة ، وسمع الحديث وبأشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفى ليلة الثلاثاء خامس ذى القعدة ، وكان رجلاً جيداً والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة

استقامت وخليفة لوقت المنكفى بالله أبو الربيع سامان العباسى ، وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، والشيخ تقى الدين بن تيمية مقيم بمصر معظماً مكرماً ، ونائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، وقضاته هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى الحنبلى فانه سعد الدين الحارثى ، والوزير بمصر نحر الدين الخليلى ، وناظر الجيوش نحر الدين كاتب الممالك ، ونائب الشام قرا سنقر المنصورى ، وقضاة دمشق هم ، ونائب حاب قبجق ، ونائب طرابلس الحاج بهادر والأفم بصرخد .

وفى محرم منها بأشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبى الدرين وكيل بيت المال إمام مسجد هشام تدر يس الشامية الجوانية ، والشيخ صدر الدين سامان بن موسى الكردي تدر يس العنزاوية ، كلاهما

انتهزها من ابن الوكيل بسبب إقامته بمصر ، وكان قد وفد إلى المظفر فألزمه رواتب لانتائه إلى المنبجى ، ثم عاد بتوقيع ساطع إلى مدرسته ، فأقام بهما شهراً أو سبعة وعشرين يوماً ، ثم استعادها منه ورجعنا إلى المدرسين الأولين : الأمين سالم ، والصدر الكردي ، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر المحرم ، وعزل عنها البدر بن الحداد ، وبأثر صاحب شمس الدين نظر الجامع والأسرى والأوقاف قاطبة يوم الاثنين ، ثم خلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن مصرى في نظر الجامع ، وكان ناظره مستقلاً به قبلها . وفي يوم عاشوراء قدم استندمر إلى دمشق متولياً نيابة حماة ، وسافر إليها بعد سبعة أيام .

وفي المحرم بأثر بدر الدين بن الحداد نظر المارسى نازحاً من شمس الدين بن الخطيرى ووقعت منازعة بين صدر الدين بن المرحل وبين الصدر سليمان الكردي بسبب العذراوية ، وكتبوا إلى الوكيل محضراً يتضمن من التبائع والنضائع والكفريات على ابن الوكيل ، فبادر ابن الوكيل إلى القاضى آقى الدين سليمان الحنبلى ، فحكم بإسلامه وحقن دمه ، وحكم بإسقاط التعزير عنه والحكم بمعدلاته واستحقاقه إلى المناصب . وكانت هذه هفوة من الحنبلى ، ولكن خرجت عنه المدرستان العذراوية لسليمان الكردي ، والشامية الجوانية الأمين سالم ، ولم يبق معه سوى دار الحديث الاشرفية . وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البصرى من مصر متولياً الوزارة بالشام ، ومعه توقيع بالحسبة لآخيه نجر الدين سليمان ، فباشرا المنصبين بالجامع ، ونزلا بدرب سفون الذى يقال له درب ابن أبى الهيجاء ، ثم انتقل الوزير إلى دار الاعسر عند باب البريد ، واستمر نظر الخزانة لمر الدين أحمد بن القلانسى أخى الشيخ جلال الدين .

وفي مسهل ربيع الأول بأثر القاضى جمال الدين الزرعى قضاء القضاة بمصر عوضاً عن ابن جماعة ، وكان قد أخذ منه قبل ذلك فى ذى الحجة مشيخة الشيوخ ، وأعيدت إلى الكرم الايكى ، وأخذت منه الخطابة أيضاً . وجاء البريد إلى الشام يطلب القاضى شمس الدين بن الحريرى لقضاء الديار المصرية ، فسار فى العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه ، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه وولاه قضاء الحنفية وتدريس الناصرية والصالحية ، وجامع الحاكم ، وعزل عن ذلك القاضى شمس الدين السروجى فكث أياماً ثم مات .

وفى نصف هذا الشهر مسك من دمشق سبعة أمراء ومن القاهرة أربعة عشر أميراً . وفى ربيع الآخر أهتم السلطان بطالب الأمير سيف الدين ملار فخر هو بنفسه إليه فعاتبه ثم استخاص منه أمواله وحواصله فى مدة شهر ، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحيوان والأموال والأسلحة والمماليك والبغال والحمير أيضاً والرباع شيئاً كثيراً ، وأما الجواهر والذهب والفضة فشئ لا يحصى

ولا يوصف في كثرته ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين
تجري إليه ، ويقال إنه كان مع ذلك كثير العطاء كريماً محبباً إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين
هذا الشهر ، ودفن بترابته ليلة الخميس بالقرافة ، ساجداً لله . وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس
الدين بن المعز الحنفي بالظاهرية عوضاً عن شمس الدين الحريري ، وحضر عنده خاله الصدر على قاضي
قضاة الحنفية وبقية القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين استدمر قد قدم
دمشق لبعض أشغاله ، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر
دار الحديث وتدريس المدرسية ، فلم يباشر ذلك حتى سافر استدمر ، فانفق أنه وقعت له بعد
يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنه وجد عنده شيء من المنكرات ، واجتمع عليه جماعة
من أهل الصالحية مع الحنابلة وغيرهم ، وبلغ ذلك نائب السلطنة فكان في جواب بمنزله
عن المناصب الدينية ، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقي بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك ، فلما
كان في آخر رمضان سافر إلى حلب فقرر له نائبها استدمر شيئاً على الجامع ، ثم ولاه تدريساً هناك
وأحسن إليه ، وكان الأمير استدمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جهادى الآخرة عوضاً عن
سيف الدين قبجق توفى ، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على بن
عمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخد إلى
نيابة طرابلس عوضاً عن الحاج بهادر . وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كمال الدين
ابن الزملى مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضاً عن ابن الوكيل ، وأخذ في التفسير والحديث
والفقه ، فذكر من ذلك دروساً حسنة ، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً حتى انتزعها منه كمال الدين
ابن الشريشى فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضان . وفي شعبان رسم قراستقر نائب الشام
بتوسعة المقصورة ، فأخرجت سدة المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة الفسر ، ومنعت الجنائز
من دخول الجامع أياماً ثم أذن في دخولهم .

وفي خامس رمضان قدم نجر الدين إياس الذي كان نائباً في قلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين
عوضاً عن زين الدين كتبغا المنصوري . وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل
القنوى مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الأيكي
توفى ، وكان له تحرير وهمة ، وخام على القنوى خلعة سنية ، وحضر سميد السعداء بها . وفي يوم
الخميس ثالث ذى القعدة خلع على صاحب عز الدين القلانسي خلعة الوزراء بالشام عوضاً عن النجم
البصراوي بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة . وفي يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة

عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدريس الشامية البرانية . وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن الصاحب قميص الدين بن السلوس خلعاً النظر على الجامع الأموي ، ومسك الأمير سيف الدين استدمر نائب حلب في ثاني ذي الحجة ودخل إلى مصر ، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضرغام بعده بليال .

ومن توفي فيها من الأعيان .

قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي ، شارح الهداية ، كان بارعاً في علوم شتى ، وولي الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام ، توفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ودفن بقرب الشافعي وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام ، أضحك فيها على نفسه ، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجته * وفيها توفي سلار مقتولاً كما تقدم .

الصاحب أمين الدولة

أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بـابن الرقاق * والحاج بهادر نائب طرابلس مات بها والأمر سيف الدين قبجق نائب حلب مات بها ودفن بترابته بمحماء ، ثاني جمادى الآخرة وكان شهماً شجاعاً ، وقد ولي نيابة دمشق في أيام لاجين ، ثم قفز إلى التتر خوفاً من لاجين ، ثم جاء مع التتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم وليها بعده استدمر ومات أيضاً في آخر السنة .

وفيها توفي . الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيوبي

شيخ الشيوخ بمصر ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عزل مرة عن المشيخة بـابن جماعة ، توفي ليلة السبت سابع شوال بخانقاه سعيد السعداء ، وتولاها بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم .

الفقيه عز الدين عبد الجليل

النراوى الشافعي ، كان فاضلاً بارعاً ، وقد صحب سلار نائب مصر وارتفع في الدنيا بسببه .

ابن الرفعة

هو الامام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التنبية ، وله غير ذلك ، وكان فقيهاً فاضلاً وإماماً في علوم كثيرة رحمهم الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبع مائة

استهات والحكام هم المذكورون في التي قبلها غير الوزير بمصر فانه عزل وتولى سيف الدين بكتمر وزيراً ، والنجم البصرى عزل أيضاً بـابن الدين القلانسي ، وقد انتقل الأقرم إلى نيابة

طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك ، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين على قاعدة أسلافه ، وقد مات نائب حلب استدمر وهي شاغرة عن نائب فيها ، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتسفير قراسنقر منها إلى حلب وإحضار سيف الدين كراى إلى نيابة دمشق ، وغالب العساكر بحلب والأعراب محدقة بأطراف البلاد ، ونخرج قراسنقر المنصورى من دمشق في ثالث الحرم في جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسار معه أرغون لتقريبه بحلب وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجرى أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقعون وباشر النيابة ، وقويت شوكته وقويت شوكة الوزير إلى أن ولى ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأشرار ، واستمر في يده ، وقدم نائب السلطنة سيف الدين كراى المنصورى إلى دمشق نائباً عليها . وفي يوم الخميس الحادى عشرين من الحرم خرج الناس لتلقيه وأوقدوا الشموع ، وأعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها رابع عشرين من الحرم ، وانفرج الناس ولبس النجم البصراوى خلمة الامرة يوم الخميس ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطرحة ، وركب مع المقدمين الكبار وهو أمير عشرة باقطاع يضاهى إقطاع كبار الطبليخانات .

وفي يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الاربعة بالجامع لانهاء أمر الشهود بسبب تزوير وقع من بعضهم ، فاطلع عليه نائب السلطنة فغضب وأمر بذلك ، فلم يكن منه كبير شئ ، ولم يتغير حال . وفي هذا اليوم ولى الشريف نقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن يحيى الدين عدنان نظر الدواوين عوضاً عن شهاب الدين الواسطى ، وأعيد تقي الدين بن الزكى إلى مشيخة الشيوخ . وفيه ولى ابن جماعة تدريس الناصرية بالقاهرة ، وضياء الدين النفسائى تدريس الشافعى ، والميعاد العام بجامع طولون ، ونظر الاحباس أيضاً . وولى الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحاجب في ربيع الآخر . وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين ابن القلانسى بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الخنق عليه ، ثم أفرج عنه وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر في حادى عشر ربيع الآخر ، مع تدريس دار الحديث الكاملية ، وجامع طولون والصالحية والناصرية ، وجعل له إقبال كثير من السلطان ، واستقر جمال الدين الزرعى على قضاء العسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفى والحنبلى بدار العدل عند السلطان .

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضى نجم الدين الدمشقى نائب ابن صصرى على نفسه بالحكم ببطلان البيع فى الملك الذى اشتراه ابن القلانسى من تركة المنصورى فى الرمثا والثوجة والفصالية لكونه بدون ثمن المثل ، ونفذه بقية الحكام ، وأحضر ابن القلانسى إلى دار السعادة وادعى عليه بربيع

ذلك ، ورسم عليه بها ، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصدقة هذا البيع وبنقض ما حكم به دمشق ، ثم نفذ بقية الأحكام ما حكم به الحنبلي . وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درم ، وضربت على الأملاك والأوقاف ، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيماً وسعى إلى الخطيب جلال الدين فسمى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف العثماني والآثر النبوي والسناجق الخليفة ، ووقفوا في الموكب فلما رآهم كراى تفيظ عليهم وشتم القاضي والخطيب ، وضرب محمد الدين التونسي ورسم عليهم ثم أطلقهم بضمن وكفالة ، فتألم الناس من ذلك كثيراً ، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام فجاءه الأمر فجأة فعزل وحبس ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ويقال إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعث من فوره فسكه شرمسكة ، وصفة مسكه أن تقدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار قنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراى خلعة سفية ، فلبسها وقبل العتبة ، وحضر الموكب ومد السباط ، فقيده بحضرة الأمراء وحمل على البريد إلى الكرك محبة غرلو العادلى ، وبيبرس المجنون . وخرج عز الدين القلانسي من الترسيم من دار السعادة ، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره وقد أوقدت له الشموع ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحو من عشرين يوماً ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك .

وفي هذا الشهر مسك نائب صفت الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري ، ومسك نائب غزة ، وعوض عنه بالجلالى ، فاجتمع في حبس الكرك استدمر نائب حلب ، وبكتمر نائب مصر ، وكراى نائب دمشق ، وقطلوبك نائب صفت ، وقلطنمز نائب غزة وبنحاص . وقدم جمال الدين آقوش المنصوري القى كان نائب الكرك على نيابة دمشق إليها في يوم الاربعاء رابع عشر ربيع الآخر ، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع ، وفي محبته الخطيرى لتقريره في النيابة ، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وسبعمائة إلى سنة تسع وسبعمائة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقى النائب . وقرئ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة بمحضرة النائب والقضاة والاعيان ، وفيه الامر بالاحسان إلى الرعية وإطلاق البواقي التي كانت قد فرضت عليهم أيام كراى ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس . وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادر اص بنياية صفت قبل العتبة وسار إليها يوم الثلاثاء ، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبى الفوارس خلعة نظار الدواوين بدمشق ، مشاركاً للشرىف ابن عدنان وبعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي وكالة السلطان على ما كان عليه ، وأنه أعفى

عن الوزارة لكرامته لذلك .

وفي رجب باشر ابن الساموس نظر الأوقاف عوضاً عن قميس الدين عدنان . وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب الحجون فأطلق الحبوبين بنفسه ، فتضاعفت له الأدعية في الأسواق وغيرها . وفي هذا اليوم قدم صاحب عز الدين بن القلاندي من مصر فاجتمع بالتائب وخلع عليه ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه واستمراره على وكالة السلطان ، ونظر الخالص والانكار لما ثبت عليه بدمشق ، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخالص السلطاني ، والامير سيف الدين أرغون الدوادار . وفي شعبان منع ابن صغرى الشهود والعقاد من جهته ، وامتنع فخرهم أيضاً وردم المالكي . وفي رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كتبغا المنصوري حجابة الحجاب ، والامير بدر الدين ملتوبات للقرماني شند اللواوين عوضاً عن طوغان ، وخام عابها معا ، وفيها وكب بهادر السنجري نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر وتولاها سيف الدين بلبلان البدرى ، ثم عاد السنجري في آخر النهار على نيابة البيرة ، فسار إليها وجاء الخبر بأنه قد احتبط على جماعة من قصاد المسلمين ببغداد ، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدر ، وخلص عبيدة وجاء سالماً . وخرج المحمل في شوال وامير الحاج الامير علاء الدين طيغنا أخوها دراص .

وفي آخر ذي القعدة جاء الخبر بأن الامير قرا سنقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زبراء ، وأنه لاقى بهما بن عيسى فاستجار به خائفاً على نفسه ومعه جماعة من خواصه ، ثم سار من هناك إلى النمر بعد ذلك كله ، وصحبه الاثرم والزرردكش . وفي العشرين من ذي القعدة وصل الامير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق وتوجهوا إلى ناحية حمص ، وتلك النواحي . وفي سابع ذي الحجة وصل الشيخ كحل الدين بن الشرقي من مصر مستمراً على وكراته ومعه توقيع بقضاء المسكر الشامي ، وخلع عليه في يوم عرفة . وفي هذا اليوم وصلت ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين ملى من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية . وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين الكاشغري من القاهرة ومعه توقيع بمشيخة الشيوخ ، فنزل في الخائقاء وباشرها بحضرة القضاة والأعيان ، وانفصل ابن الزكي عنها . وفيه باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابة السر بمصر ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله ، إلى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، واستمر محيي الدين على كتابة الدست بمعلوم أيضاً والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الرئيس بدر الدين

محمد بن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري ، من سلالة سمد ابن معاذ السويدي ، من سويداء حوران ، سمع الحديث وبرع في الطب ، توفي في ربيع الأول

ببستانه بقرب الشبلية ، ودفن في تربة له في قبة فيها عن ستين سنة .

الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر الأربلي

شيخ الحلبية بجامع بني أمية ، كان صالحا مباركا فيه خير كثير ، كان كثير العبادة وإيجاد الراحة للفقراء ، وكانت جنازته حافلة جداً ، صلى عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت التاسع عشر من رجب ودفن بالصوفية وله سبع وثمانون سنة ، وروى شيئا من الحديث وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله .

الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم

ابن محمد بن عبد العزيز العثماني ، خادم المصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة ، وصلى عليه بعد الجمعة سابع رمضان ودفن بالصوفية ، وكان لنائب السلطنة الأفرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد ، وبلغ خمسا وستين سنة .

الشيخ الصالح الجليل القدوة

أبو عبد الله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأموي ، توفي في العشرين من رمضان بسفح قاسيون ، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ثم دفن عند والده وغلق يومئذ سوق الصالحية له ، وكانت له وجاهة عند الناس وشفاعة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاء في أخبار جيدة ، ومع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

ابن الوحيد الكاتب

هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعى المعروف بابن الوحيد ، كان موقعا باقاهرة وله معرفة بالإنشاء وبلغ الغاية في الكتابة في زمانه ، وانتفع الناس به ، وكان فاضلا مقداما شجاعا ، توفي بالمارستان المنه وروى بمصر سادس عشر شوال .

الأمير ناصر الدين

محمد بن عماد الدين حسن بن النسائي أحد أمراء الطبليخانات ، وهو حاكم البندق ، ولى ذلك بعد سيف الدين بلبان ، توفي في العشرين الآخر من رمضان .

التميمي الداري

توفي يوم عيد الفطر ودفن بالقرافة الصغرى ، وقد ولى الوزارة بمصر ، وكان خبيرا كافيا ، مات ممزولا ، وقد جمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

وفى ذى القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير استمدر وبنه خاص في السجن بقلمه الكرك .

القاضي الامام العلامة الحافظ

سعد الدين مسعود الحارثي الحنبلي الحاكم بمصر ، جمع الحديث ، وجمع وخرج وصنف ، وكانت

له يد طولى فى هذه الصناعة والأسانيد والمتون ، وشرح قطعة من سنن أبى داود فأجاد وأفاد ، وحسن الاسناد ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وسبعمائة

استهلّت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى خامس الحرم توجه الأمير عز الدين ازدمر الزردكاش وأميران معه إلى الأفرم ، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند منها ، وكانبوا السلطان وكانوا كالمستجيرين من الرمضاء بالنار ، وجاء البريد فى صفر بالاحتياط على حواصل الأفرم وقراسنقر والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم ، وقطع خبز منها وجعل مكانه فى الإمرة أخاه محمداً ، وعادت السباكر محبة أرغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن ، وقدم سودى من مصر على نيابة حلب فاجتاز بدمشق فخرج الناس والجيش لتلقيه ، وحضر السباط وقرى المنشور بطلب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلم فى نيابته لغبية لاجين . وطلب فى هذا اليوم قطب الدين موسى شيخ السلامة فآثر الجيش إلى مصر ، فركب فى آخر النهار إليها فتولى بها نظر الجيش عوضاً عن نخر الدين الكاتب كاتب الممالك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أمواله الكثيرة منه ، فى عاشر ربيع الأول . وفى الحادى عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي آقى الدين أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى ، وهو ابن بنت الشيخ قمس الدين بن العماد أول قضاة الحنابلة . وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضاً عن الأفرم بحكم هربه إلى التتر . وفى ربيع الآخر مسك بيبرس الملائى نائب حمص وبيبرس الجنون وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء سنة فى نهار واحد وسيروا إلى الكرك منتقلين بها . وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى ، وولى بعده أرغون الدوادار ، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك وشمس الدين سنقر الكمال حاجب الحجاب بمصر ، وخمسة أمراء آخرون وحبسوا كلهم بقلعة الكرك ، فى برج هناك . وفيه وقع حريق داخل باب السلامة احترق فيه دور كثيرة منها دار ابن أبى الفوارس ، ودار الشريف القبائى .

نيابة تنكز على الشام

فى يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله المالكي الناصرى نائباً على دمشق بعد مسك نائب الكرك ومعه جماعة من ممالك السلطان منهم الحاج ارقطاي على حيز بيبرس الملائى ، وخرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة وأشعلت له الشموع فى طريقه ، وجاء توقيع لابن مصرى بإعادة

قضاء العسكر إليه ، وأن ينظر الأوقاف فلا يشاركه أحد في الاستقابة في البلاد الشامية على عادة من تقدمه من قضاء الشافية ، وجاء مرسوم لشمر الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السامية بحكم إقامته بمصر ، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن خشيش ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس ، وتولى أرغون نيابة مصر وعاد نحر الدين كاتب المال إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين بن شبيخ السامية مباشرة معه .

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محضراً يتضمن استنائه بالمصحف ، وأنه يتكلم في أهل العلم ، فأحضر إلى دار العدل فاستسلم وحقق دمه وعزز تعزيراً بليغاً عنيفاً وطيف به في البلد باطنه وظاهره ، وهو مكشوف الرأس وجهه متلوب وظهره مضروب ، ينادى عليه هذا جزاء من يتكلم في العلم بغير معرفة ، ثم حبس وأطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد في شعبان ورجع إلى ما كان عليه . وفيها قدم بهادر اص من نيابة صغد إلى دمشق وهناك الناس ، وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد جمال ولا برشوة فان ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، وإلى ولاية غير الأهل ، فقرأه ابن الزملاكاني على السدة وبلغه عنه ابن حبيب المؤذن ، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق بسبب أن التتر قد تفرقوا إلى الشام ، فانزعج الناس من ذلك وخافوا ، وتجهل كثير منهم إلى البلد ، وازدحموا في الأبواب ، وذلك في شهر رمضان وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة ، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك بأشارة قراسنقر وذويه فأنه أعلم . وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لأبجني أحد عليه ، بل يتبع القاتل حتى يقتل منه بحكم الشرع الشريف ، فقرأه ابن الزملاكاني على السدة بحضوره نائب السلطنة ابن تنكز وسببه ابن تيمية ، هو أمر بذلك وبالكتاب الأول قبله . وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة فخاصروها عشرين يوماً وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدكشي خمسة أيام قتالاً عظيماً ، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربنداد ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو ، فنزل القاضي نجم الدين إسحاق وأهدوا له خمسة رؤس خيل ، وعشرة أباليج سكر ، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده ، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلا منها وخرب أكثرها ثم رجعوا إليها لما عققوا رجوع التتر عن الرحبة ، وطابت الاخبار وسكنت النفوس ودقت البشار وتكرت الأئمة قنوت ، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلة العلف

وغلاء الأسعار وموت كثير منهم ، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان .

وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لأجل ملاقاته النتر ،
 وخرج الركب في نصف شوال وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير ، الذي كان والي البر ، وقدمت العساكر
 المصرية أرسالا ، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله
 ونزل القلعة وزينت البلدة وضربت البشائر ، ثم انتقل بعد ليلته إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع
 بالمقصورة وخام على الخطيب ، وجلس في دار العدل يوم الاثنين ، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء
 عشرين الشهر ، وقدم صحبة السلطان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية
 إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من
 أصحابه ، وخرج خاق كثير لتلقيه وسروا بقدومه وعافيته ورؤيته ، واستبشروا به حتى خرج خلق من
 النساء أيضاً لرؤيته ، وقد كان السلطان صحبه معه من مصر فخرج معه بنية الغزاة ، فلما تحقق عدم
 الغزاة وأن النتر جمعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة وزار القدس وأقام به أياما ، ثم سافر على محمول
 وبلاد السواد وزرع ، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة ، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى
 الحجاز الشريف في أربعين أميراً من خواصه يوم الخميس ثاني ذي القعدة ، ثم إن الشيخ بعد وصوله
 إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً لاشتغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب
 وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة والاجتهاد في الأحكام الشرعية في بعض الأحكام
 يفتي بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور
 في مذاهبهم ، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على
 ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

فلما سار السلطان إلى الحج فرق العساكر والجيوش بالشام وترك أرغون بدمشق . وفي يوم الجمعة
 لبس الشيخ كمال الدين الزملي كافي خامة وكلة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشي ، وحضر بها
 الشباك وتكلم وزير السلطان في البلدة ، وطلب أموالاً كثيرة وصار يضرب بالمقارع وأهان جماعة
 من الرؤساء منهم ابن فضل الله محيي الدين . وفيه عين شهاب الدين بن جبهل لتدريس الصلاحية
 بالقدس عوضاً عن نجم الدين داود السكردى توفي ، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر
 ابن جبهل إلى القدس بعد عيد الأضحى .

وفيها مات ملك القفقاق المسمى طغطاي خان ، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان
 عمره ثماناً وثلاثين سنة ، وكان شهياً شجاعاً على دين النتر في عبادة الأصنام والكواكب ، يعظم
 الجسمة والحكام والأطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع الطوائف ، كان جيشه هائلاً لا يحسر

أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم ، ويقال إنه جرد مرة تجريدة من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجريدة مائتي ألف وخمسين ألفاً ، توفي في رمضان منها وقام في الملك من بعده ابن أخيه أربك خان ، وكان مسلماً فأظهر دين الاسلام ببلاده ، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعملت الشرائع الحميدة على سائر الشرائع هناك والله الحمد والمنة على الاسلام والسنة .
ومن توفي فيها من الأعيان الملك المنصور صاحب ماردين

وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر قرارسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن غازي بن المنى بن ترمش بن غازي بن أرتق الأرتقي أممحاب ماردين من عدة سنين ، كان شيخاً حسناً مهيباً كامل الخلقة بديناً صميماً إذا ركب يكون خلفه محفة . خوفاً من أن يمسه الغوب فيركب فيها ، توفي في قاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السبعين ، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة ، وقام من بعده في الملك ولده العادل فكث سبعة عشر يوماً ، ثم ملك أخوه المنصور . وفيها مات
الأمير سيف الدين قطلوبك الشيشي

كان من أمراء دمشق الكبار . الشيخ الصالح

نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الثعلبي الدمشقي ، قارئ الحديث بالقاهرة ومسندها ، روى عن ابن الزبيدي وابن الليث وجعفر الهمداني وابن الشيرازي وخاق ، وقد خرج له الإمام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة ، وكان رجلاً صالحاً توفي بكرة الثلاثاء قاسع عشر ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

الأمير الكبير الملك المظفر

شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم ، مع الحديث وكان رجلاً متواضعاً توفي بمصر ثاني عشر رجب ، ودفن بالقاهرة . قاضي القضاة

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن خازم الأزرق الحنفي ، كان فاضلاً درس وأفتى وولى قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبلية مدة ثم سافر إلى مصر فأقام بسعيد السعداء خمسة أيام وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب فله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبع مائة

استهل والحكام هم هم ، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد ، وقد قدم الأمير سيف الدين فجليل يوم السبت استهل الحرم من الحجاز وأخبر بسلامة السلطان وأنه فارقه من المدينة النبوية ، أنه قد قارب البلاد ، فدقت البشائر فرحاً بسلامته ، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني

الحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على العادة ، وقد رأيته مرجعه من هذه الحجة على شفته ورقة قد ألصقها عليها ، فنزل بالقصر وصلى الجمعة رابع عشر المحرم بمقصورة الخطابة ، وكذلك الجمعة التى تليها ، ولعب فى الميدان بالسكرة يوم السبت للنصف من المحرم ، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الاحد حادى عشر المحرم وشد الدواوين لفخر الدين إياس الاعسرى عوضا عن القرماني ، وسافر القرماني إلى نيابة الرحبة وخلع عليهما وعلى وزيره ، وخلع على ابن مصرى وعلى الفخر كاتب الممالك ، وكان مع السلطان فى الحج ، وولى شرف الدين بن مصرى حجابة الدواوين وباشرف الدين ابن شيخ السلامة نظر الجامع ، وباشرف بهاء الدين بن علمي نظر الاوقاف ، والمنكورسى شد الاوقاف . وتوجه السلطان راجعا إلى الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم ، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه . وفى أواخر صفر اجتاز على البريد فى الرسلية إلى منها الشيخ صدر الدين الوكيل ومومى بن منها والامير علاء الدين الطنبغا فاجتمعوا به فى تدمر ثم عاد الطنبغا وابن الوكيل إلى القاهرة .

وفى جمادى الآخرة . ملك أمين الملك وجماعة من الكبار معه وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم عوضه بدر الدين بن التركمانى الذى كان والى الخزانة . وفى رجب كملت أربعة مناجيق واحد لقلعة دمشق وثلاثة تحمل إلى السرك ، ورمى باثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكز والعامه وفى شبان تكامل حفر النهر الذى عمله سودى نائب حلب بها ، كان طوله من نهر الساجور إلى نهر قويق أربعين ألف ذراع فى عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وعمل بالعدل ولم يظلم فيه أحدا . وفى يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين بلباى التنرى ، وحج صاحب حماة فى هذه السنة وخلق من الروم والغرباء . وفى يوم السبت السادس والعشرين من ذى الحجة وصل القاضى قطب الدين مومى ابن شيخ السلامة من مصر على نظر الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الخشيش إلى مصر فى رمضان محبة الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر بمقتضى إزالة الاقطاعات لما رآه السلطان بعد نظره فى ذلك أربعة أشهر .

ومن توفى فيها من الاعيان .

الشيخ الامام المحدث

فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر بن محمد بن داود التنوزى بمكة يوم الاحد حادى ربيع الآخر ، وقد سمع الكثير ، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب الكبار وغيرها ، وقرأ صحيح البخارى أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله :

عز الدين محمد بن العدل

شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الرهاوى ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصاء أمين الملك ، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعندراوية ليحضر على البريد فرض فأت بالمدسة العندراوية ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، وكان قد سمع من ابن طبرزد السكندى ، ودفن من الغد بباب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد ، وعز الدين .

الشيخ الكبير المقرئ

شمس الدين المقصاي ، هو أبو بكر بن عمر بن السبع الجزرى المعروف بالمقصاي نائب الخطيب وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ ، وله إلمام بالنحو ، وفيه ورع واجتهاد ، توفي ليلة السبت حادى عشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح قاسيون تجاه الرباط الناصرى ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة

استلمت والحكام هم في التي قبلها إلا الوزير أمين الملك فمكانه بدر الدين التركمانى . وفي رابع المحرم عاد صاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقاه أصحابه . وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمرأه يتضمن بإطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وستمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، فتضاعفت الادعية لسلطان وكان القارىء جمال الدين بن القلانسى ومبلغه صدر الدين بن صبيح المؤذن ، ثم قرئ في الجمعة الاخرى مرسوم آخر فيه الافراج عن المسجونين وأن لا يؤخذ من كل واحد إلا نصف درهم ، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر في المنصب وغيره عن الفلاحين ، قرأه ابن الزملكاني وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجيبى . وفي المحرم استحضر السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين على البكرى وهم بقتله شفع فيه الأمرأه فنفاه ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم ، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى ، وشفع فيه أيضا ، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله شفع فيه الأمرأه فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترأه وتسرعه على التكفير والقتل والجهل الحامل له على هذا وغيره . وفي يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا سلطانيا على السدة بمحضرة نائب السلطان القاضى وفيه الأمر بأبطال ضمان القواسير وضمان النبيذ وغير ذلك ، فدعا الناس للسلطان . وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر في أمر الشهود ونهوى عن الجلوس في المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين ، وأن لا يتولوا

ثبت الكتب ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة وأن لا يقتابوا أحدا وأن يقتاصفوا في الميمنة ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثلاثة فلم يتفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين منه عقد مجلس في دار ابن صصرى لبدر الدين بن بضيان وأنكر عليه شئ من القراءات فالتزم بترك الاقراء بالكلية ثم استأذن بعد أيام في الاقراء فأذن له فجلس بين الظهر والعصر بالجامع وصارت له حلقة على العادة . وفي منتصف رجب توفي نائب حلب الامير سيف الدين سودى ودفن بترتبه وولى مكانه علاء الدين الطنبا الصالحى الحاجب بمصر ، قبل هذه النيابة . وفي تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنغابة الاشراف بعد والده أمين الدين جعفر توفي في الشهر الماضى .

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوباح بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بترتبه المشهورة بسفح قاسيون ، وكان قد قصد الحج في هذا العام ، فلما كان بغباغب أدركته منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان فحمل إلى دمشق وصلى عليه ودفن في هذه التربة ، واشترت له وتممت وجاءت حسنة وهى مشهورة عند المسكارية شرقى الجامع المظفرى ، وكان له فى مملكة كيلان خمسة وعشرون سنة ، وعمر أربعين سنة ، وأوصى أن يحج عنه جماعة ففعل ذلك وخرج الركب في ثالث شوال وأميره سيف الدين سنقر الابراهيمى وقاضيه محيى الدين قاضى الزبدانى . وفي يوم الخميس سابع ذى القعدة قدم القاضى بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق فخلع عليه عوضا عن فخر الدين سامان البعراوى ، عزل فسافر سرىعا إلى البرية ليشتري خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور ، فاتفق موته فى البرية فى سابع عشر الشهر المذكور ، وحمل إلى بصرى فدفن بها عند أجداده فى ثامن ذى القعدة ، وكان شابا حسنا كريم الاخلاق حسن الشكل . وفى أواخره مسك نائب صغد بلبان طوباي المنصورى وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلباي البدرى . وفى سادس ذى الحجة تولى ولاية البر الامير علاء الدين على بن محمود بن معبد البعلبكي عوضا عن شرف الدين عيسى بن البركاسى ، وفى يوم عيد الاضحى وصل الامير علاء الدين بن صبح من مصر وقد أفرج عنه فلم عليه الامراء . وفى هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر وخلع على صاحب بهاء الدين النسائى بنظر الخزانة عوضا عن سعد الدين حسن بن الافاضى . وفيه وردت البريدية بأمر الساطان للجيوش الشامية بالمسير إلى حلب وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكز نائب الشام ، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل عليهم الامير سيف الدين بكنتمر ابو بكرى ، وفيهم تجليدس وبدر الدين الوزيرى ، وكقشلى وابن طيبرس وشاطى وابن سلاز وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدي نائب الشام تنكز

ومن توفي فيها من الأعيان سودي نائب حلب في رجب
ودفن بتربته ، وهو الذي كان السبب في إجراء نهر إليها ، غرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وكان
مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفي شعبان توفي
الصاحب شرف الدين
يعقوب بن مزهر و كان باراً بأهله وقرابته رحمه الله .

والشيخ رشيد أبو الفداء اسماعيل
أبو محمد القرشي الحنفي المعروف بابن المعلم ، كان من أعلام الفقهاء والمتنين ، ولديه علوم شتى
وفوائد وفرائد ، وعنده زهد وانقطاع عن الناس ، وقد درس بالبلخية مدة ثم تركها لولده وسار إلى
مصر فأقام بها ، وعرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل ، وقد جاوز السبعين من العمر ، توفي سحر يوم
الأربعاء خامس رجب ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفي شوال توفي ..
الشيخ سليمان التركماني

المولود الذي كان يجلس على مصطبه بالعلبين ، وكان قبل ذلك مقبلاً بطهارة باب البريد ، وكان
لا يتحاشى من النجاسات ولا يتقبها ، ولا يصلى الصلوات ولا يأتيها ، وكان بعض الناس من الهمج
له فيه عقيدة قاعسة الهمج الرعاع الذين هم أتباع كل ناعق من الموليين والمجانين ، ويزعمون أنه
يكاشف وأنه رجل صالح ، ودفن بباب الصنوبر في يوم كثير الثلج .
وفي يوم عرفة توفيت .

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح بن محمد البغدادي بظاهر القاهرة ، وشهدها خلق
كثير ، وكانت من العائلات الفاضلات ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحدية
في مواخاتهم النساء والمردان ، وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك ما لا تقدر
عليه الرجال ، وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ،
وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر
كثيراً من المفقى أو أكثره ، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها ،
وهي التي ختمت نساء كثيراً القرآن ، منهن أم زوجتي عائشة بنت صديق ، زوجة الشيخ جمال الدين
المرزى ، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أمة الرحيم زينب رحمته الله وأكرمته برحمته وجنته آمين .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبع مائة

استهلت والحكام في البلاد المذكورون في التي قبلها .

فتح ملطية

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج سيف الدين تنكز في الجيوش قاصداً ملطية وخرجت الاطلاب على راياتها وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابن صصرى لأنه قاضى العساكر وقاضى قضاة الشامية ، فساروا حتى دخلوا حلب في الحادى عشر من الشهر ، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية ، فشرعوا في محاصرتها في الحادى والعشرين من المحرم ، وقد حصنت ومنعت وغلقت أبوابها ، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متوليها وقاضياها وطلبوا الأمان فأمنوا المسلمين ودخاوها ، فقتلوا من الأرمن خلقاً ومن النصارى وأمروا ذرية كثيرة ، وتمدى ذلك إلى بعض المسلمين وغنموا شيئاً كثيراً ، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام يوم الأربعاء رابع عشرين المحرم إلى عين تاب إلى مرج دابق ، وزينت دمشق ودقت البشائر . وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان . وفي نصف الشهر وصل قاضيها الشريف شمس الدين ومعه خلق من المسلمين من أهلها ، وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تنكز دمشق وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية ، وخرج الناس للفرجة عليهم على العادة ، وأقام المصريون قليلاً ثم ترحلوا إلى القاهرة . وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك النمر فاستناب بها رجلاً كردياً فعمدى وأساء وظلم ، وكان أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا من رعيته ، فلما ساروا إليها وأخذوها وفعلوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فعمرها ورد إليها خلقاً من الأرمن وغيرهم .

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الخبر بمسك بكتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرهما وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنهم اتفقوا على السلطان فبلغه الخبر فسكهم واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر لبكتمر أموال كثيرة وأمتعة وأخشاب وحواصل كثيرة وقدم مجلس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس ثم قدم سريماً ومعه الأمير سيف الدين تيمر نائب طرابلس تحت الحوطة ، ومسك بدمشق الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى فحمل الأول إلى القاهرة ، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كسناى ، وحمل الثانى وحزن الناس عليه ودعوا له . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن مبشر دمشق محتسباً وناظر الأوقاف وانصرف ابن الحداد عن الحسبة ، وبهاء الدين عن نظار الأوقاف . وفي ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشنباشى داخل باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة . وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضى القضاة الحنفى البصروى ، وحضر عنده الأعيان ، وهو

رجل له فضيلة وخلق حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة .
وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة واستمر ابن مبشر ناظر
الأوقاف . وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درس ابن مصرى بالانابكية عوضاً عن الشيخ صفى
الدين الهندى . وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزملكاني درس الظاهرية الجوانية عوضاً عن
الهندى أيضاً بحكم وفاته كما ستأتى ترجمته . وفي أواخر رجب أخرج الأمير آقوش نائب الكرك من
سجن القاهرة وأعيد إلى الأمرة ، وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد
آمد ، وفتحوا بلداناً كثيرة ، وقتلوا وسبوا وعادوا سالمين ، وخسوا ماسبوا فبلغ سهم الخس أربعة آلاف
رأس وكسور . وفي أواخر رمضان وصل قرا سنقر المنصوري إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت
أبنا ملك التتر ، وجاء في خدمته خربندا واستأذنه في الفارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ،
ووثب عليه رجل فداوى من جهة صاحب معر فلم يقدر عليه وقتل الفداوى . وفي يوم الأربعاء
سادس عشر رمضان درس بالمعادية الصغيرة الفقيه الامام نجر الدين محمد بن علي المصري المعروف
بإبن كاتب قتلوك بك ، بمقتضى نزول مدرستها بكل الدين بن الزملكاني له عنها ، وحضر عنده
القضاة والأعيان والخطيب وابن الزملكاني أيضاً . وفي هذا الشهر كملت عمارة القيسارية المعروفة
بالدهشة عند الوراقين واللبادين وسكنها التجار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، وذلك بمباشرة صاحب
شمس الدين . وفي ثامن شوال قتل أحمد الزومى شهيد عليه بالمظالم من ترك الواجبات واستحلل
المحرمات واستهانت به وتنقيصه بالكتاب والسنة ، فحكم المالكي بإراقة دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل .
وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامي وأميره سيف الدين طقتمر وقاضيه قاضي ملطية . وحج فيه
قاضي حماة وحلب وماردين ومحبي الدين كاتب ملك الامراء تنكز وصهره نجر الدين المصري .
ومن توفى فيها من الأعيان :

شرف الدين أبو عبد الله

محمد بن العدل عماد الدين محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد
ابن حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة
وباشر نظر الخاص . وقد شهد قبل ذلك في القيمة ثم تركها ، وقد ترك أولاداً وأموالاً جيدة ، توفى ليلة
السبت ثاني عشر صفر ودفن بقاسيون .

الشيخ صفى الدين الهندي

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الارموي الشافعي المتكلم ، ولد بالهند سنة أربع وأربعين
وسمائه ، واشتغل على جده لأمه ، وكان قاضياً ، وخرج من دهلي في رجب سنة سبع وستين فحج

وجاور بمكة أشهراً ثم دخل اليمن فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار ، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنين ، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية فأقام إحدى عشرة سنة بقونية و بسواس و قيسارية سنة ، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها واسترطنها ودرس بالرواحية والدولمية والظاهرية والابابكية وصنف في الاصول والكلام ، وتصدى للاشتغال والافتاء ، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه بر وصلة ، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر من صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات ، فدرس بعده فيها ابن الزمكاني ، وأخذ ابن مصري الابابكية .

القاضي المسند المعمر الرحلة

أبي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق ولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه وتفقه وبرع ، وولى الحكم وحدث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مروءة ، توفي فجأة بعد ترجمه من البلد وحكمه بالجوزية ، فلما صار إلى منزله بالدير تميزت حاله ومات عقيب صلاة المغرب ليلة الاثنين حادي عشر من ذي القعدة ، ودفن من الغد بقرية جده ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري

كان مقدماً في طائفته ، مات أبوه وعمره سنتان ، توفي في قرية نسرى جهادي الأولى .

الحكيم الفاضل البار

بهاء الدين عبد السيد بن المذهب إسحاق بن يحيى الطبيب الكحال المقشرف بالاسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنه أسلم على بصيرة ، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم ، وكان مباركا على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك دين اليهود ، فهداه الله تعالى ، وتوفي يوم الاحد سادس جهادي الآخرة ودفن من يومه بسفح قاصيون ، أسلم على يدي شيخ الاسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم ومأم عليه وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الكلام عن مواضعه رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة

استهانت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في السنة الماضية . وفي الحرم تكلمت تفرقة المثلثات السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الاجناد ، وعرض الجيش على السلطان ، وأبطل السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية . وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد ، وترافعوا إلى دمشق فحضرها بدار السعادة عند نائب السلطنة تشكر

فأصلح بينهم ، وانفصل الحال على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم . وفي يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع الحنبلى ، بقضاء الحنابلة والنظر بأرفاقهم عوضا عن تقي الدين سليمان بحكم وفاته رحمه الله ، وتاريخ التقليد من سادس ذى الحجة ، وقرئ بالجامع الأموى بحضور القضاة والصاحب والاعيان ، ثم مشوا معه وعليه الخلع إلى دار السعادة فسلم على النائب وراح إلى الصالحية ، ثم نزل من الغد إلى الجوزية فحكم بها على عادة من تقدمه ، واستناب بعد أيام الشيخ شرف الدين بن الحافظ . وفي يوم الاثنين سابع صفر وصل الشيخ كال الدين بن الشرشى من مصر على البريد ومعه توقيع يعود الوكالة إليه ، فخلع عليه وسلم على النائب والخلعة عليه . وفي هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلاندى واعتقل بالمندراوية وصوردر بخمسين ألفا ثم أطلق له ما كان أخذ منه وانفصل من ديوان نظر الخاص . وفي ربيع الآخر وصل من مصر فضل ابن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات صيدا ، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد التتر واجتماعهم بملكهم خربندا .

وفي يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن مصرى مشيخة الشيوخ بالسيساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من فائب السلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان في هذا اليوم عوضا عن الشريف شهاب الدين أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن محمد بن على بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشنفر ، توفي عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية . وفي جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفى المعروف بابن عليّة وهو ناظر ديوان النائب بالشام ناظر الدواوين عوضا عن شمس الدين محمد ابن عبد القادر الخطايرى الحاسب الكاسب توفي ، وقد كان مباشرا عدة من الجهات الكبار ، مثل ناظر الخزانة وناظر الجامع وناظر المارستان وغير ذلك ، واستمر ناظر المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة . وفي رجب قتل صاحب حصص الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير سيف الدين التركستانى بحكم وفاته ، وولى الأمير سيف الدين إرقتاي نيابة حصص ، وتولى نيابة الكرك سيف الدين طقطاي الناصرى عوضا عن سيف الدين تيبغا .

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب درس بالنجيبية القاضى شمس الدين الدمشقى عوضا عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد بن الظاهرى المسمى الحلبي ، سبط الصاحب كال الدين بن المديم ، توفي ودفن عند خاله ووالده بتربة المديم . وفي آخر شعبان وصل القاضى شمس الدين

ابن عز الدين يحيى الحراني أخو قاضي قضاة الحنابلة بمصر شرف الدين عبد الغنى ، إلى دمشق متوليا نظر الأوقاف بها عوضا عن صاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر ، توفي في مستهل رجب بدمشق ، وقد باشر نظر الدواوين بها وبمصر ، والحسبة وبالسكندرية وغير ذلك ، ولم يكن بقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق ، وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفي آخر شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري الساكن عند دار الطراز بدمشق ، وحج من مصر سيف الدين الدوادار وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله ، وكان قد رأس وعظم شأنه . وفي ذى القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس فغاب عشرين يوما ، وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى دمشق من مصر وقد كان معتقلا في السجن فأطلق وأكرم وولى نيابة صفد فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق ، ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس ، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق فولى فيها ابن مصرى شرف الدين الهارندي ، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك ، ووصل مع بكتمر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزرعى ، متوليا الخزانة بالقلمة عوضا عن الطواشي ظهير الدين مختار البلسطيني توفي .

وفي هذا الشهر أعنى ذا القعدة وصلت الأخبار بموت ملك التتر خر بندا محمد بن أرغون بن أبغا ابن هولاكوفان ملك العراق وخراسان وعراق المعجم والروم وأذربيجان والبلاد الأرمينية وديار بكر . توفي في السابع والعشرين من رمضان ودفن بترابته بالمدينة التي أنشأها ، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفا بالكرم ومحبا للهو واللعب والمباخر ، وأظهر الرفض ، أقام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض أقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي ، تلميذ نصير الدين الطوسي ، وأقطعه عدة بلاد ، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة ، وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصائب عظام ، فأراح الله منه العباد والبلاد ، وقام في الملك بعده ولده أبو سميد وله إحدى عشرة سنة ، ومدير الجيوش والممالك له الأمير جويان ، واستمر في الوزارة على شاه التبريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسدوما ، ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة ، فأمر بإقامة الخطبة بالترضى عن الشيخين أولا ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم ، وفرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرو والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وبهراة وأصبهان وبغداد وإربل وسواه وغير ذلك ، وكان صاحب مكة الأمير خنيفة بن أبي نعي الحسني ، قد قصد ملك التتر خر بندا

لينصره على أهل مكة فساعده الروافض هناك وجهزوا معه جيشا كثيفا من خراسان، فلما مات
خر بنده بطل ذلك بالكلية، وعاد خبيصة خائبا خاسئا، وفي صحبته أمير من كبار الروافض من التتر
يقال له الدلقندي، وقد جمع لخبيصة أموالا كثيرة ليقم بها الرضى في بلاد الحجاز، فوقع بهما
الأمير محمد بن عيسى أخو مهنا، وقد كان في بلاد التتر أيضا ومعه جماعة من العرب، فقهرهما ومن
كان معهما، ونهب ما كان معهما من الأموال وحضرت الرجال، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة
الاسلامية فرضى عنه الملك الناصر وأهل دولته، وغسل ذلك ذنبه عنده، فاستدعى به السلطان إلى
حضرته فحضر سامعا مطيعا، فأكرمه نائب الشام، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضا، ثم إنه استنقى
الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التي أخذت من
الدلقندي، فأفتاهم أنها تصرف في المصالح التي يعود نفعها على المسلمين، لأنها كانت معدة لعناد الحق
ونصرة أهل البدعة على السنة. وعن توفى فيها من الأعيان :

عز الدين المبشر، والشهاب الكاشغري شيخ الشيوخ والبهاء المعجمي مدرس النجيبية. وفيها
قتل خطيب المزة قتله رجل جبلي ضربه بفأس الحمام في رأسه في السوق فبقي أياما ومات، وأخذ
القاتل فشنق في السوق الذي قتل فيه، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن هناك
وقد جاوز الستين. الشرف صالح بن محمد بن عريهه

ابن أبي بكر الهمداني، مات في جمادى الآخرة ودفن بمقابر النيرب، وكان مشهوراً بطبيب القراءة
وحسن السيرة، وقد جمع الحديث وروى جزءاً.

ابن عرفه صاحب التذكرة الكندية

الشيخ الامام المقرئ المحدث النحوي الأديب علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر
ابن زيد بن هبة الله الكندي الاسكندراني، ثم دمشق، سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ
وقرأ القراءات السبع، وحصل علوماً جيدة، ونظم الشعر الحسن الرائق الفائق، وجمع كتاباً في
نحو من خمسين مجلداً، فيه علوم جمّة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية، وقفها بالسميساطية
وكتب حسناً وحسب جيداً، وخدم في عدة خدم، وولى مشيخة دار الحديث النفيسية في مدة عشر
سنين وقرأ صحيح البخاري مرات عديدة، وأسمع الحديث، وكان يلوذ بشيخ الاسلام ابن تيمية،
وتوفى ببستان عند قبة المسجد ليلة الاربعاء سابع عشر رجب، ودفن بالمرزة عن ست وسبعين سنة.

الطواشي ظهير الدين مختار

البكندى الخزندار بالقلمة وأحد أمراء الطبائخانات بدمشق، كان زكياً خبيراً فاضلاً، يحفظ
القرآن ويؤديه بصوت طيب، ووقف مكتبة للايتام على باب قلعة دمشق، ورتب لهم الكسوة

والجامكية ، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، وعمل تربة خارج باب الجابية ووقف عليها القريتين وبنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بإمام وهي من أوائل ما عمل من التربة بذلك الخط ، ودفن بها في يوم الخميس عاشر شعبان رحمه الله ، وكان حسن الشكل والاخلاق ، عليه سكينه ووقار وهيبة وله وجهة في الدولة سامحه الله . وولى بعده الخزانة حميه ظهير الدين مختار الزرعي .

الأمير بدر الدين

محمد بن الوزير ، كان من الامراء المقدسين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة ، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر ، وكان حاجب الميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين ، ثم نقل إلى دمشق فمات بها في سادس عشر شعبان ، ودفن بميدان الحصى فوق خان النجيبى ، وخلف تركة عظيمة .

الشيخة الصالحة

سنت الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، راوية صحيح البخارى وغيره ، جاوزت التسعين سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان ودفنت بترتهم فوق جامع المظفرى بقاسيون .

القاضي محب الدين

أبو الحسن ابن قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، استنابه أبوه في أيامه وزوجه بابنة الحاكم بأمر الله ، ودرس بالهاراية ورأس بعد أبيه ، وكانت وفاته يوم الاثنين تاسع عشر رمضان ، وقد قارب الستين ، ودفن عند أبيه بالقزافة .

الشيخة الصالحة

سنت المنعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية ، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية عمرت فوق السبعين سنة ، ولم ترزق بنتاً قط ، توفيت يوم الأربعاء العاشر من شوال ودفنت بالصوفية وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

الشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد

الجيلي ثم الدمشقي ، الكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه لاسيما في المزوج والمثلث ، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة ، وأما من كتب عليه أنابه الله . وكان شيخاً حسناً بهي المنظر يشمر جيداً ، توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة ودفن بمقابر الباب الصغير وله خمس وستون سنة .

الشيخ تقي الدين الموصلی

أبو بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند محراب الصحابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدة طويلة وقد انتفع الناس به نحواً من خمسين سنة في التلئين والقراءات ، وختم خلقاً كثيراً ، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليالي ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً ، توفي

ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد المقرئ

أبو عبد الله محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن يثوب الماليني ، أحد الصلحاء المشهورين بجماع دمشق ، سمع الحديث وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة ، وكان يفصح الأولاد في الحروف الصعبة ، وكان مبتلى في فقه يحمل طاسة تحت فقه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره وقد جاوز الثمانين بأربع سنين ، توفي بالمدرسة الصارمية يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير بالقرب من القندلاوى ، وحضر جنازته خلق كثير جداً نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

الشيخ الصدر بن الوكيل

هو العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام مفتى المسلمين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل و بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ، وأشهرهم في وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل والافتنان بالعلوم العديدة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأصولين ، ولم يكن بالنحو بذاك القوى ، وكان يقع منه اللحن الكثير ، مع أنه قرأ منه الفصل للزخشرى ، وكانت له محفوظات كثيرة ، ولدى شوال سنة خمس وستين ومائة ، وسمع الحديث على المشايخ من ذلك مسند أحمد على ابن علان ، والكتب الستة ، وقرأ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث عن الأمير الأربلى والعامرى والمزى ، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الطب والفلسفة وعلم الكلام ، وليس ذلك بعلم ، وعلوم الأوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشعر جيداً ، وله ديوان مجموع مشتمل على أشياء لطيفة ، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه ، وآخرون يحسدونه ويبغضونه ، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء ويرمونه بالعظام ، وقد كان مسرفاً على نفسه قد ألقى جلابب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش ، وكان ينصب المداوة للشيخ ابن تيمية وينظره في كثير من المحافل والمجالس ، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويثني عليه ، ولكنه كان يجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه ، وينافح عن طائفته . وقد كان شيخ الاسلام ابن تيمية يثني عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة ، وكان يقول : كان مخطئاً على نفسه متبعاً مراد الشيطان منه ، يميل إلى الشهوة والمحاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسده ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معناه . وقد درس بعدة مدارس بمصر والشام ، ودرس بدمشق بالشاميتين والعذراوية ودار الحديث الأشرفية وولى في وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ، ولم يرق منبرها ، ثم خالط نائب السلطنة الأقرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن من القبايح

ثم آل به الحال على أن عزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها ، فأقام بها ودرس ، ثم تردد في الرسالة بين السلطان ومنها محبة أرغون والطنبغا ، ثم استقر به المنزل بمصر ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشرين ذى الحجة بداره قريباً من جامع الحسك ، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي جرة بقرية القاضى فاطر الجيش بالقرافة ، ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية ، و رثاه جماعة منهم ابن غانم علاء الدين ، والقجقازى والصفدى ، لانهم كانوا من عشرائه .

وفي يوم عرفة توفي الشيخ عماد الدين اسماعيل الفوعى

وكيل قجلميس ، وهو الذى بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرفض ، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة فضر به بين يديه ، وقام النائب إليه بنفسه فجعل يضربه بالمهايز فى وجهه فرفع من بين يديه وهوتالف فأت فى يوم عرفة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون وله دار ظاهر باب الفرديس .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام المذكورون فى التى قبلها . وفى صفر شرع فى عمارة الجامع الذى أنشأه ملك الامراء تنكز نائب الشام ظاهر باب النعمرتجه حكر السماق ، على نهر بانياس بدمشق ، وتردد القضاء والعلماء فى تحرير قبلته ، فاستقر الحال فى أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية فى يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا فى بنائه بأمر السلطان ، ومساعدته لنائبه فى ذلك . وفى صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بملك أهلك خلقاً كثيراً من الناس ، وخرب دوراً وعمائر كثيرة ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وماخص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم رعد وبرق عظيم معهما برد ومطر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال شرق مقدار أربعين ذراعاً ، مع أن سمك الحائط خمسة أذرع ، وحمل برجاً صحيحاً ومعه من جانبيه مدينتين ، فعمله كما هو حتى مر فخر فى الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعاً ، وحمل السيل ذلك إلى غربى البلد ، لا يمر على شئ إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأتلف ما يزيد على ثلثها ، ودخل الجامع فارتفع فيه على قائمة ونصف ، ثم قوى على حائطه الغربى فأخر به وأتلف جميع ما فيه الحواصل والكتب والمصاحف وأتلف شيئاً كثيراً من رباغ الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فان الله وإنا إليه راجعون . وغرق فى الجامع الشيخ على بن محمد بن الشيخ على الحربرى هو وجماعة معه من الفقراء ، ويقال كان من جملة من هلك فى هذه الكائنة من أهل بملك مائة وأربعين بكون

نفساً سوى الغريباء ، وجملة الدور التي خربها والحوائيت التي أتلّفها نحو من ستمائة دار وحانوت ، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستاناً ، ومن الطواحين ثمانية سوى الجامع والأمينية وأما الأماكن التي دخلها وأتلّف ما فيها ولم تخرب فمكثير جداً .

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثله من مدد ، وغرق بلاداً كثيرة ، وهلك فيها ناس كثير أيضاً ، وغرق منية السبرج فهلك للناس فيها شيء كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي مستهل ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة آمد فقهبوا وسبوا وعادوا سالمين . وفي يوم السبت التاسع وعشرين منه قدم قاضي المالكية إلى الشام من مصر وهو الامام العلامة نجر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الاسكندري المالكي ، على قضاء دمشق عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين الزواوي لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاء القضاة والأعيان ، وقرىء تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثنائي عشر الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي درس بالجامع في جمادى الأولى ، وحضر عنده الاعيان ، وشكرت فضائله وعلومه ونزاهته وصرامته وديانته ، وبعد ذلك بقسمة أيام توفي الزواوي المعزول ، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة . وفيها أفرج عن الامير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك وحمل إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، وكان سجنه بها مطاوعة لاشارة نائب الشام بسبب ما كان وقع بينهما بملطية . وخرج المحمل في يوم الخميس تاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كجكني المنصوري . ومن حج قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وابن أخيه شرف الدين وكال الدين بن الشيرازي والقاضي جلال الدين الحنفي والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق . وفي سادس هذا الشهر درس بالجاروضية القاضي جلال الدين محمد بن الشيخ كال الدين الشرقي ثم بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام ، وحضر عنده الاعيان . وفي التاسع عشر منه درس ابن الزملكاني بالندراوية عوضاً عن ابن سلام ، وفيه درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأهمهما بدر الدين قاسم بن محمد ابن خالد ، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج ، وحضر الشيخ تقي الدين الدرس بنفسه ، وحضر عنده خلق كثير من الأعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، وبعد عوده أيضاً ، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الحنوز والفواحش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها ، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك ، وبنيت بقرى النصيرية في كل قرية مسجد والله الحمد والمنة .

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الامام العلامة شيخ الكتاب شهاب الدين محمود بن سليمان الحامبي إلى البريد من مصر إلى دمشق منزلياً ككتابة السربها ، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله . وفي ذى القعدة يوم الأحد درس

بالصمصامية التي جددت للملكية وقد وقف عليها صاحب قمم الدين غبريال درسا ، ودرس بها فقهاء ، وعين تدريسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ومن حضر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان يعرفه من اسكندرية ، وفيه درس بالدخورية الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال ، ورتب في رئاسة الطب عوضا عن أمين الدين سليمان الطيب ، بمرسوم نائب السلطنة تنكر ، واختاره لذلك . واتفق أنه في هذا الشهر يجمع جماعة من التجار بمادري وانضاف إليهم خلق من الجنال من الغلا قاصدين بلاد الشام ، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستون فارسا من النار فمالوا عليهم بالنشاب وقتلوا عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبيا ، فقالوا من يقتل هؤلاء ؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنقلوني بمال من الغنيمة ، فقتلهم كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التجار ستمائة ، ومن الجفلان ثلثمائة من المسلمين ، فأنفقوا إنا إليه راجعون . وردموا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركاني ، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد متسلم ديار بكر سويدي في طلب أولئك التتر حتى أهلكهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم شملا ولا بهم مرحبا ولا أهلا ، آمين يارب العالمين .

صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة

وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وتارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والارض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ، وعين لكل إنسان منهم مقدمة ألف ، وبلادا كثيرة ونيابات ، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد وإسلاماه ، واساطاناه ، وأميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد ، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال قسمها على أصحابه وأتباعه قبهم الله أجمعين . وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر للمكنا البلاد كلها . ونادى في تلك البلاد إن المقامحة بالمشرك لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خانات ، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين : قل لا إله إلا علي ، واسجد لالهك المهدي ، الذي يحيى ويميت حتى يحقن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمرا عظيما جدا ، فجردت إليهم المساكر

فهرزوم و قتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجا غفيرا ، وقتل المهدي أضلهم وهو يكون يوم القيامة مقدمهم إلى عذاب السمير ، كما قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السمير . ذلك بما قدمت يداك) الآية وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في ستة آلاف ، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ، ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين ، وقد كان في المصريين قعجليس وغيره والله أعلم .

الشيخ الصالح

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المنتزه ، كان فاضلا ، وكتب حسنا ، نسخ النبيه والعمدة وغير ذلك ، وكان الناس يفتنونه به ويقابلون عليه ذلك ويصححون عليه ، ويجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع ، توفي ليلة الاثنين سادس محرم ودفن بالصوفية ، وقد صححت عليه في العمدة وغيره .

الشيخ شهاب الدين الرومي

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن المراغي ، درس بالعينية ، وأم بحراب الحنفية بمصودتهم الغربية إذ كان محرابهم هناك ، وتولى مشيخة الخاتونية ، وكان يؤم بنائب السلطان الافرم ، وكان يقرأ حسنا بصوت مليح ، وكانت له مكانة عنده ، وربما راح إليه الافرم ماشيا حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأها بالشرق الشامي على الميدان الكبير ، ولما توفي بالحرم ودفن بالصوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

الشيخ الصالح العدل

فخر الدين عثمان بن أبي الوغان نعمة الله الأعزازي ، كان ذا ثروة من المال كثير الروءة والبلادة أدى الامانة في ستين ألف دينار وجواهر لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، بعد ما مات صاحبها مجردا في الغزاة وهو عز الدين الجراحي نائب غزة ، أودعه إياها فأداها إلى أهلها أنابه الله ، ولهذا لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

قاضي القضاة

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي قاضي المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستمائة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم قدم دمشق قاضيا في سنة سبع وثمانين وستمائة ، وكان مولده تقريرا في سنة تسع وعشرين وستمائة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصمصامية في أيامه وجدد عمارة النورية ، وحدث

بصحيح مسلم وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وعزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء ، وهذا من خبره حيث لم يمض قاضياً ، توفي بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة ، وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر باب الصغير تجاه مسجد التاريخ ، وحضر الناس جنازته وأثنوا عليه خيراً ، وقد جاوز الثمانين كلاً رحمة الله . ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً .

القاضي الصدر الرئيس

رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن الحلبي الفرشي العدوي المديني ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة وسمع الحديث وخدم وارتفعت منزلته حتى كذب الانشاء بمصر ، ثم نقل إلى كتابة السر بدمشق إلى أن توفي في ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ، وقد قارب التسعين ، وهو ممتنع بمحاضره وقواه ، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء ، ولا سيما في ابن تيمية وفي الصالحاء رحمه الله . وقد رثاه الشهاب محمود كاتب السر بعده بدمشق ، وعلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة .

الفقيه الامام العالم المناظر

شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن الامام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجاروضية والمندراوية ، وأعاد بالظاهرية وأفتى بدار العدل ، وكان واسع الصدر كثير المهمة كريم النفس مشكوراً في فهمه وخطه وحفظه وفصاحته ومناظرته ، توفي في رابع عشرين رمضان وترك أولاداً وديناً كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زوزان تقبل الله منها وأحسن إليها .

الصاحب انيس الملوك

بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانب جيد منه وارثاً عند الملوك به . فن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله :

ومدامةً خمر تشبه خدامي • أهوى ودمي يسقي بها قرا

أعز علي من ممعي ومن بصري ^(١)

وقوله في مغنية

وعزيزة هيفاء ناعمة الصبا • طوع المناقر مريضة الأجفان

غنت وامن قوامها فكانها ال • ورقاء تسجع فوق غصن البان

(١) بياض بالنسخ التركية والمصرية .

الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم

ابن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن مصري ، ذهب إلى الحجاز الشريف ، فلما كانوا يبردى اعتراه مرض ولم يزل به حتى مات ، توفي بمكة وهو محرم ملب ، فشهد الناس جنازته وغبطوه بهذه الموتة ، وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار سابع ذى الحجة ودفن ضحى يوم السبت بمقبرة بباب الحجون رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبع مائة

الخليفة والسلطان هماهما ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكي بدمشق فإنه العلامة نجر الدين ابن سلامة بعد القاضي جمال الدين الزواوي رحمه الله . ووصلت الأخبار في الحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق سنجار والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاء عظيم وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التتار ، وعدم الأقوات وغلاء الأسمار ، وقلة النفقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيغ الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك ، حتى إن كثيرا كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين ، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها لتتفع بتمنه ويحصل له من يطعمه فيعيش ، وتأمين عليه من الهلاك ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتنبو الأسباع عن وصفها ، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى فاحية مراغة فسقط عليهم ثلج أهلهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار ، فلما انتهوا إلى عقبة صعدوا التتار ثم منعوم أن يصعدوها لئلا يشكفوا بهم فأتوا عن آخرهم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفي بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخالص السلطاني بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات ، الذي يقال له جامع كريم الدين ، وراح لزيارة بيت المقدس ، وتصدق بصدقات كثيرة وافرة ، وشرع ببناء جامع بعد سفره . وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على ذوق تركان فأهلكتهم كثيرا من الأمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالى وزوجته وابنتيه وابني ابنيه وجاريته وأحد عشر نفساً ، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البعير في الهواء مقدار عشرة أرماع ثم تلقيه مقطعا ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم بحيث أتلف زروعا كثيرة في قرى عديدة نحو من أربعة وعشرين قرية ، حتى أنها لا ترد بدارها . وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الحاصل إلى نيابة صفت فأقيم بها شهرين مسك ، والصاحب أمين الدين إلى نظر الأوقاف بطرابلس على معلوم وافر . قال الشيخ علم الدين

وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية وأشار عليه في ترك الافتاء في مسألة الخلاف بالطلاق ، فقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لمخاطره وخواطر الجماعة المفتيين ، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الافتاء في مسألة الخلاف بالطلاق وانعقد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونودي به في البلد ، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالقاضي ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتيين الكبار ، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الافتاء في مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر . وفي عاشره جاء البريد إلى صفت بمسك سيف الدين طغاي ، وتولية بدر الدين القرمانى نيابة حمص .

وفي هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمداني ، كان أصله يهوديا عطاراً ، فتقدم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خر بندا الجزء الذي لا يتجزأ ، وعلمت رتبته وكنيته ، وتولى مناصب الوزراء ، وحصل له من الأموال والأموال والسعادة ما لا يحصى ولا يوصف وكان قد أظهر الاسلام ، وكانت لديه فضائل جمّة ، وقد فسر القرآن وصنف كتباً كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة ، وبلغ الثمانين من العمر ، وكانت له يوم الجمعة يوم الرحبة ، فانه صانع عن المسلمين وأتقن القضية في رجوع ملك النصارى عن البلاد الشامية ، سنة ثلثي عشرة كما تقدم ، وكان ينصح الاسلام ، ولكن قد نال منه خلق كثير من الناس واتهموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا ، ولا شك أنه كان مخبطاً مخطأ ، وليس لديه علم نافع ، ولا عمل صالح . ولما تولى أبو سعيد المالكية عزله وبقى مدة خاملاً ثم استندعاه جوبان وقال له أنت سقيت السلطان خر بنداً سما ؟ فقال له : أنا كنت في غاية الحقارة والذلة ، فحضرت في أيامه وأيام أبيه في غاية المظنة والعزة ، فكيف أعود إلى سقيه والحالة هذه ؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خر بنداً وصفته ، وأن الرشيد أشار بأسهاله لما عنده في باطنه من الحواصل ، فانطلق باطنه نحواً من سبعين مجلساً ، فمات بذلك على وجه أنه أخطأ في الطب . فقال : فأنت إذا قتلت ، فقتله ولده إبراهيم واحتيط على حواصله وأمواله ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودي على رأسه بتبريز هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله لعنه الله ، ثم أحرقت جثته ، وكان القائم عليه على شاه .

وفي هذا الشهر - أعني جمادى الأولى - تولى قضاء المالكية بمصر تقي الدين الاخنائي عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفي عن أربع وثمانين سنة ، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة . وفي يوم الخميس عاشر رجب لبس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحى خلعاً الامرة بمرسوم السلطان ،

وفي آخر رجب جاء سبيل عظيم بظاهر حص خرب شيئا كثيراً ، وجاء إلى البلد ليدخلها فنعمه الخندق . وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمره تنكز ظاهر باب النصر ، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الخنفي المعروف بالفتججزي ، من مشاهير الفضلاء ذوى الفنون المتعددة ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمشدون وكان يوماً مشهوداً . وفي يوم الجمعة التي يلها خطب بجامع القبيبات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاة والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحراقي الأسدي الحنبلي ، وهو من الصالحين الكبار ، ذوى الزهادة والعبادة والنسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السميت . وفي حادى عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن النقيب إلى حص حاكماً بها مطلوباً مولى مرغوباً فيه ، وخرج الناس لتوديعه .

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسلية ومثله بالشوبك ، وخرج المحمل في شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن معبد وإلى البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضي الخليل الحاكم بحلب . ومن حج في هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الفزارى وكال الدين ابن الشريشى وولده وبدر الدين ابن العطار . وفي الحادى والعشرين من ذى الحجة انتقل الأمير نغر الدين إلياس الأعصرى من شد الدواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً . وفي يوم الجمعة السابع عشر ذى الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذي أنشأه صاحب شمس الدين غدير يال فاخر الدواوين بدمشق خارج باب شرق ، إلى جانب ضرار بن الأزور بالقرب من عملة القماطلة ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمرى المعروف بالنيرباني ، وهو من كبار الصالحين ذوى العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضره صاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان .

وفي يوم الاثنين والعشرين من ذى الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ بترية أم الصالح عوضاً عن كال الدين بن الشريشى توفى بطريق المعجاز في شوال ، وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة . وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا الدرس أحضر الفقيه زين الدين بن عبيدان الحنبلي من بلبك وحرق على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليافان ، وفيه تخليط وتخبيط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه بخطه وبمنه لى بعض أصحابه ، فاستلمه القاضي الشافعى وحرقه ، وعززه ، وتودى عليه في البلد ومنع من الفتوى وعقود الأنكحة ، ثم أطلق . وفي يوم الاربعاء بكرة باشر بدر الدين محمد بن بضحان شيخة الاقزاء بترية أم الصالح عوضاً عن الشيخ مجد الدين التوانسى توفى ، وحضر عنده الأعيان الفضلاء ، وقد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك باشر مشيخة الاقراء بالأشرفية عوضاً عنه أيضا الشيخ

محمد بن خروف الموصلي . وفي يوم الخميس ثالث عشرين ذى الحجة باشر الشيخ الامام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي مشيخة دار الحديث الاشرافية عوضا عن كمال الدين بن الشريشي ، ولم يحضر عنده كبير أحد ، لما في نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولها أحد قبله أحق بها منه ، ولا أحفظ منه ، وما عليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فانه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، وبعدهم عنه أنس والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الصالح العابد الناسك

الورع الزاهد القدوة بقية السلف وقدوة الخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام البلسي ، ولد سنة خمسين وستائة ببالس ، وسمع من أصحاب ابن طبرزد ، وكان شيخا جليلا بشوش الوجه حسن السميت ، مقصدا لكل أحد كثير ، الوثار عليه سبيل العبادة والخير ، وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان ، فحكى عن كلام شيخ الاسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجراته عليه ، وأنه قال لترجمانه قل للقان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا فغزوتنا وبنات بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هلاكو كانا كافرين وما غزوا بلاد الاسلام ، بل عاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت ففدرت وقتت فما وفيت . قال وجرت له مع قازان وقطول شاه وبولاي أمور ونوب ، قام ابن تيمية فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل . قال وقرب إلى الجماعة طعاما فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقيل له ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكاهمما نهبتم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ، قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه « اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلب الدنيا لتكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام وأهله فاخذله وززله ودمره واقطع دابرده » قال وقازان يؤمن على دعائه ، ويرفع يديه . قال فجمعنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تلوث بدمه إذا أمر بقتله . قال فلما خرجنا من عنده قال له قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيره : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لأصحبكم . قال فانطلقنا عسبة وتأخره في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فقسامت به الخوارج والامراء من أصحاب قازان فأنوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، وينظرون إليه ، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه ، وكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشاحوم عن آخرهم ، هذا الكلام أو نحوه ، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره ، وقد تقدم ذلك . توفي الشيخ محمد بن قوام ليلة الاثنين

الثاني والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربى الصالحية والناصرية والعادلية ، وصلى عليه بها ودفن بها وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير ، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، لأنه كان يحبه كثيرا ، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم ، ولا لزاويته مرتب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يزار ، وكان لديه علم وفضائل جمّة ، وكان فهمه صحيحا ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسن العقيدة وطويته صحيحة محبا للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة والجمعة على الله عز وجل ، وقد صنف جزءا فيه أخبار جيدة ، رحمه الله وبل ثراه بوابل الرحمة آمين .

الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المجيد

تقي الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان البلي ثم الصالحى الحنبلى ، أخو الشيخ محمد بن تمام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث ، وصحب الفضلاء ، وكان حسن الشكل والخلق ، طيب النفس مليح المجاورة والمجالسة ، كثير المفاكة ، أقام مدة بالحجاز واجتمع بابن سبعين وبالتقى الحوراني ، وأخذ النحو عن ابن مالك وابنه بدر الدين وصحبه مدة ، وقد صحبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة ، وكان يثنى عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسفح ، وقد أورد الشيخ علم الدين البر زالى فى ترجمته قطعة من شعره :

فن ذلك قوله :

أَسْكَانُ الْمَعَاهِدِ مِنْ فَوَادَى * لَكُمْ فِي خَافِقٍ مِنْهُ سَكُونُ
أَكْرُرُ فِيكُمْ أَبَدًا حَدِيثِي * فَيَحُلُو وَالْحَدِيثُ لَهُ شَجُونُ
وَأَنْظِمُهُ عَقِيقًا مِنْ دُمُوعِي * فَتَنْثَرُهُ الْحَاجِرُ وَالْجَفُونُ
وَأَبْتَكِرُ الْمَعَانِي فِي هَوَاكُمُ * وَفِيكُمْ كُلُّ قَافِيَةٍ تَهُونُ
وَاسْتَلُّ عَنْكُمْ الْبَكَاءَ سَرًّا * وَسَرُّ هَوَاكُمُ سَرُّ مَصُونُ
وَأَغْتَبِقُ النَّسِيمَ لِأَنِّ فِيهِ * شَمَائِلَ مِنْ مَعَاطِفِكُمْ تَبِينُ
فَكُمُ لِي فِي مَحَبَّتِكُمْ غَرَامٌ * وَكَمْ لِي فِي الْغَرَامِ بِكُمْ فَنُونُ؟

قاضي القضاة زين الدين

على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى المالكي الحاكم بالديار المصرية ، سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولى الحكم بعد ابن شاش سنة خمس وثمانين ، وطالت أيامه إلى هذا العام ، وكان عزيز المروءة والاحتمال والاحسان إلى الفقهاء والشهود ، ومن يقصده ، توفي ليلة الأربعاء حادى عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر ، وتولى الحكم بعده بمصر تقي الدين الاخنائى المالكي .

الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء

المقرى الصيت المشهور المعروف بابن شعلان ، وكان رجلاً جيداً في شهود المسارية ، ويقصد للحنات لصيت صوته ، توفي يوم الجمعة وهو كمل ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون الشيخ الامام العالم الزاهد

أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبي عيسى بن الحاج النجيب القرطبي ثم الاشبيلي ، ولد بأشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قرطبة ، فلما أخذها الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتمحقت أموالهم وكتبهم ، وصار ابن الأحمر جده القاضي بعشرين ألف دينار ، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ونشأ يتيماً ثم حج وأقبل إلى الشام فاستقام بدمشق من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكتب يده نحواً من مائة مجلد ، إعانة لولديه أبي عمرو وأبي عبد الله على الاشتغال ، ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان ثامن عشر رجب ، وصلى عليه بعد العصر ودفن عند القندلاوي ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

الشيخ كمال الدين ابن الشريشي

أحمد ابن الامام العلامة جمال الدين بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان البكري الوايلي الشريشي ، كان أبوه مالِكياً كما تقدم ، واشتغل هو في مناهج الشافعي فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطباق بنفسه ، وأفق ودرس وفاطر وياشر بعدة مدارس ومناصب كبار ، أول ما ياشر مشيخة دار الحديث بقرية أم الصالح بعد والده من سنة خمس وثمانين وستمائة إلى أن توفي ، وناب في الحكم عن ابن جماعة . ثم ترك ذلك وولى وكالة بيت المال وقضاء العسكر ونظر الجامع صرات ، ودرس بالشامية البرانية ودرس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابن جماعة وزين الدين الفارقي ، فاستعادها منها وياشر مشيخة الرباط الناصري بقاسيون مدة ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيما يولى من الجهات كلها ، وقد عزم في هذه السنة على الحج فخرج بأهله فأدركته منيته بالحسا في سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسي ، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازي ، ودار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المزي ، وبأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبي ، وبالرباط الناصري ولده جمال الدين .

الشهاب المقرى

أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادى فقيہ الأشراف المتعممين ، كان عنده فضائل جمة نثراً

ونظماً مما يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التهاى والتعازى ، ويعرف الموسيقى والشعبنة ، وضرب الرمل ، ويجلس المجالس المشتملة على اللهو والمسكر واللعب والبسط ، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر سنه وهو مما يقال فيه وفي أمثاله :

ذهبت عن توبته سائلاً • وجدت توبة إفلاس

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتوفي ليلة السبت خامس ذى القعدة ودفن بمقابر باب الصغير فى قبر أعده لنفسه عن خمس وثمانين سنة ، سألحه الله .

قلضى القضاة فخر الدين

أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبى الخير سلامة بن زين الدين أبى العباس أحمد بن سلام الاسكندري المالكي ، ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وبرع فى علوم كثيرة ، وولى نيابة الحكم فى الاسكندرية فخدمت سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للدالكية فى السنة الماضية فباشرها أحسن مباشرة سنة ونصف ، إلى أن توفى بالصمصامية بكرة الأربعاء مستهل ذى الحجة ، ودفن إلى جانب القندلاوى بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكره الناس وأثنوا عليه رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعائة

استهلّت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق سقط بسببها شئ من الجدران ، واقتلعت أشجاراً كثيرة . وفى يوم الثلاثاء سادس عشرين المحرم خلع على جمال الدين بن القلانسى بوكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشى ، وفى يوم الأربعاء الخامس من صفر بالناصرية الجوانسية ابن مصرى عوضاً عن ابن الشريشى أيضاً ، وحضر عنده الناس على العادة . وفى عاشره باشرشد الدواوين جمال الدين أقوش الرحى عوضاً عن فخر الدين إياس ، وكان أقوش متولى دمشق من سنة سبع وسبعائة ، وولى مكانه الأمير علم الدين طرّش الساكن بالعقبة ، وفى هذا اليوم نودى بالبلد بصوم الناس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ، وشرع فى قراءة البخارى ونهيا الناس ودعوا عقيب الصلوات وبعد الخطب ، وابتهلوا إلى الله فى الاستسقاء ، فلما كان يوم السبت منتصف صفر ، وكان سابع نيسان ، خرج أهل البلد برمتهم إلى عند مسجد القدم ، وخرج نائب السلطنة والامراء مشاة ليكون ويتضرعون ، واجتمع الناس هناك وكان مشهداً عظيماً ، وخطب بالناس القاضى صدر الدين سليمان الجعفرى وأمن الناس على دعائه ، فلما أصبح الناس من اليوم الثانى جاءهم الغيب بان الله ورحمته ورأفته لا يحولهم ولا بقوتهم ، وفرح الناس فرحاً شديدا وعم البلاد كلها والله الحمد والمنة ، وحده لا شريك له . وفى أواخر الشهر شرعوا باصلاح رخام الجامع وتزيمه وحلى أبوابه ونحسين ما فيه . وفى رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية

الجوانية ابن الشيرازي بتوقيع سلاطاني ، وأخذها من ابن مصري وباشرها إلى أن مات . وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شيخ السلامة نحر الدين أخو ناظر الجيش الحسبة بدمشق عوضا عن ابن الحداد ، وباشر ابن الحداد ناظر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامة ، وخلع على كل منهما .

وفي بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضي القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكي الدين ظافر الحمداني المالكي ، على قضاء المالكية بالشام ، عوضا عن ابن سلامة توفى ، وكان بينهما سنة أشهر ، ولكن تقليد هذا مؤرخ بآخر ربيع الأول ، ولبس الخلع وقضى تقليد بالجامع . وفي هذا الشهر درس بالخوانسارية البرانية القاضي بدر الدين بن خويصرة الحنفي ، وعمره خمس وعشرون سنة ، عوضا عن القاضي شمس الدين محمد قاضي ملطية توفى . وفي يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سبيل عظيم أتلف شيئا كثيرا ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى المقبية ، وانزعج الناس له ، وانتقلوا من أماكنهم ، ولم تفل مدته لأن أصله كان مطرا وقع بأرض وابل السوق والحسبية . وفي هذا اليوم باشر طرقتي شد الدواوين بدموت جمال الدين الرحبي ، وباشر ولاية المدينة صارم الدين الجوكندار ، وخلع عليهما . ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقضى عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الفتيا بمسألة الطلاق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك . وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضي صدر الدين الداراني عوضا عن بدر الدين ابن ناصر الدين بن عبد السلام ، بمجامع جراح ، وكان فيه خطيبا قبله قتولاه بدر الدين حسن المقراني واستمر ولده في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده . وفي يوم السبت عشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيك المنصوري أمير هلم ، وحج فيها صدر الدين قاضي القضاة الحنفي ، وبرهان الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين بن تيمية ، ونجم الدين الدمشقي وهو قاضي الركب ، ورضي الدين المنطقي ، وشمس الدين بن الزبير خطيب جامع القبيبات ، وعبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم . وفيها حج سلطان الاسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الأمراء ، ووكيله كريم الدين ونحر الدين كاتب المالك ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وصاحب حمة الملك عماد الدين ، والصاحب شمس الدين غبريال ، في خدمة السلطان وكان في خدمته خلق كثير من الأعيان .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتار بسبب أن ملكهم أباسعيد كان قد ضاق ذرعا بمجربان وعجز عن مسكه ، فانتدب له جماعة من الأمراء عن أمره ، منهم أبو يحيى خال أبيه ، ودقاق وقرشي وغيرهم

من أكبر الدولة ، وأرادوا كبس جوبان فهرب وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهم ، وفي صحبتته الوزير على شاه ، ولم يزل بالسلطان حتى رضى عن جوبان وأمده بجيش كثيف ، وركب السلطان معه أيضا والتقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم ، وتحكم فيهم جوبان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً .

ومن توفى فيها من الأعيان : الشيخ المقرئ شهاب الدين

أبو عبد الله الحسن بن سليمان بن خزارة بن بدر الكفرى الحنفى ، ولد تقريباً في سنة سبع وثلاثين وستمائة . وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب الترمذى ، وقرأ القراءات وتفرد بها مدة يشتغل الناس عليه ، وجمع عليه السبع أكثر من عشرين طالباً ، وكان يعرف النحو والأدب وفنوناً كثيرة وكانت مجالسته حسنة ، وله فوائد كثيرة ، درس بالطرخانية أكثر من أربعين سنة ، وناب في الحكم عن الأذرع مدة ولايته ، وكان خيراً مباركاً أضر في آخر عمره ، وانقطع في بيته ، مواظباً على التلاوة والذكر وإقراء القرآن إلى أن توفى ثالث عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

وفي هذا الشهر جاء الخبر بموت :

الشيخ الامام تاج الدين

عبد الرحمن بن محمد بن أبى حامد التبريزى الشافعى المعروف بالأفضل ، بعد رجوعه من الحج ببغداد في العشر الأول من صفر ، وكان صالحاً فقيهاً مباركاً ، وكان ينكر على رشيد الدولة ويحط عليه ، ولما قتل قال كان قتله أنفع من قتل مائة ألف نصرانى ، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضاه فلم يقبل ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، ولما توفى دفن بتربة الشونيزى ، وكان قد قارب الستين رحمه الله .

محبي الدين محمد بن مفضل بن فضل الله المصري

كاتب ملك الأمراء ، ومستوفى الأوقاف ، كان مشكور السيرة محبباً للعلماء والصلحاء ، فهدى كرم وخدمة كثيرة للناس ، توفى في رابع عشرين من جمادى الأولى ودفن بتربة ابن هلال بسفح قاسيون وله ست وأربعون سنة ، وبادر بعده في وظيفته أمين الدين بن النحاس .

الأمير الكبير غرلوق بن عبد الله العادلي

كان من أكبر الدولة ومن الأمراء المقدمين الأتوف ، وقد ناب بدمشق عن أستاذه الملك العادل كتباً نحواً من ثلاثة أشهر في سنة خمس وسبعين وستمائة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أميراً كبيراً إلى أن توفى في سابع جمادى الأولى يوم الخميس ودفن بتربته بشمالى جامع المظفرى بقاسيون ، وكان شهماً شجاعاً فاصحاً للإسلام وأهله ، مات في عشر الستين .

الامير جمال الدين أقوش

الرحبي المنصوري ، والى دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إربل ، وكان نصرانيا فسي وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره ، وتولى الولاية بدمشق نحواً من إحدى عشرة سنة ثم انتقل إلى شد الدواوين مدة أربعة أشهر ، وكان محبوباً إلى العامة مدة ولايته .

الخطيب صلاح الدين

يوسف بن محمد بن عبد الطيف بن المعتزل الحموي ، له تصانيف وفوائد ، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طبرزد ، توفي في جمادى الآخرة .

العلامة فخر الدين أبو عمرو

عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصاري الشافعي المعروف بابن بنت أبي سعد المصري ، سمع الحديث وكان من بقايا العلماء ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وولى مكانه في ميعة جامع طولون الشيخ علاء الدين القنوي شيخ الشيوخ ، وفي ميعة الجامع الأزهر شمس الدين بن علان ، كانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر سبعون سنة .

الشيخ الصالح العابد

أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكنجي ، له زاوية بالحسينية يزار فيها ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سمع الحديث ، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزاويته المذكورة رحمه الله .

الشيخ الصالح المعمر الرحلة

هيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطف بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسي الصالح المطعم ، راوى صحيح البخارى وغيره ، وقد سمع الكثير من مشايخ عدة وترجمه الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه توفي ليلة السبت رابع عشر ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الظهر في اليوم المذكور بالجامع المظفرى ، ودفن بالساحة بالقرب من تربة المولدين ، وله أربع وسبعون سنة رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها ، وكان السلطان في هذه السنة في الحج ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثاني عشر المحرم ، ودقت البشائر ، ورجع صاحب شمس الدين على طريق الشام وصحبته الأمير ناصر الدين الخازندار ، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولقب بالملك المؤيد ، ورسم أن يخطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يخطب بالمقام العالي

المولوى السلطانى الملكى المؤيدى ، على ما كان عليه عمه المنصور .

وفىها عمر ابن المرجانى شهاب الدين مسجد الخيف وأنفق عليه نحواً من عشرين ألفاً . وفى المحرم استقال أمين الدين من نظر طرابلس وأقام بالقدس . وفى آخر صفر باشر نيابة الحكم الملكى القاضى فحمس الدين محمد بن أحمد القفصى ، وكان قد قدم مع قاضى القضاة شرف الدين من مصر . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومى وكان غلاماً لبعض التجار ، وكان قد لزم الجامع ، ثم ادعى النبوة واستنقبت فلم يرجع فضربت عنقه وكان أشقر أزرق العينين جاهلاً ، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك ، واضطرب عقله فى نفس الأمر وهو فى نفسه شيطان إنسى . وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر عقد عقد السلطان على المرأة التى قدمت من بلاد القنجاق ، وهى من بنات الملوك ، وخلع على القاضى بدر الدين ابن جماعة وكاتب السر وكريم الدين وجماعة الأمراء ، ووصلت العساكر فى هذا الشهر إلى بلاد سيس وغرق فى بحر جاهان من عساكر طرابلس نحو من ألف فارس ، وجاءت مراسيم السلطان فى هذا اليوم إلى الشام فى الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الاسلام ، وذلك لفضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدم مهنا على السلطان . وفى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالكنية الشيخ محيى الدين الاسمر الحنفى وأخذت منه الجوهريه لشمس الدين البرقى الاعرج ، وتدرىس جامع القلعة لهاماد الدين بن محيى الدين الطرسوسى ، الذى ولى قضاء الحنفية بعد هذا ، وأخذ من البرقى إمامة مسجد نور الدين له بمحارة اليهود ، ولهاماد الدين بن الكيال ، وإمامة الربوة الشيخ محمد الصببى . وفى جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الاسلاميه بأرض حاب نحواً من عشرين ألفاً ، عليهم كلهم نائب حلب الطنينا وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطبة ، فدخلوا بلاد الأرمن من اسكندرونة ففتحوا الثغرم تل حمدان ثم خاضوا جاهان ففرق منهم جماعة ثم سلم الله من وصلوا إلى سيس فحاصروها وضيقوا على أهلها وأحرقوا دار الملك التى فى البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الامبار والجواميس والاغنام وكذلك فعلوا بطرسوس ، وخربوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزروع ثم رجعوا فحاضوا النهر المذكور فلم يفرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم وساقوا خلفه إلى غانة وحديثة ثم بلغ الجيوش موت صاحب سيس وقيام ولده من بعده ، فشنوا الغارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلا فى المرة الرابعة فإنه قتل منهم جماعة .

وفى هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنج فنصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأسروا خمسة آلاف ، وكان فى جملة القتلى خمسة وعشرين ملكاً

من ملوك الافرنج ، وغنموا شيئاً كثيراً من الأموال ، يقال كان من جملة ما غنموا سبعون قنطاراً من الذهب والفضة ، وإنما كان جيش الاسلام يومئذ ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة ، ولم يقتل منهم سوى إحدى عشر قتيلًا ، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سمع . وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين بن تيمية بمحضرة نائب السلطنة ، وحضر فيه القضاة والمفتيون من المذاهب ، وحضر الشيخ وعاتبوه على العود إلى الافناء بمسألة الطلاق ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم من السلطان باخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوقاف إلى الأمير علاء الدين بن معبد إلى ما بيده من ولاية البر وعزل بدر الدين المنكورمى عن الشام .

وفي آخر شعبان مسك الأمير علاء الدين الجاولي نائب غزة وحمل إلى الاسكندرية لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى دار الدين ، واحتيط على حواصله وأمواله ، وكان له بر وإحسان وأوقاف ، وقد بنى بفرجة جامعا حسنا مليحا . وفي هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخور وأبطل الخانات ، وأظهر العدل والاحسان إلى الرعايا ، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فاجؤا إلى الله عز وجل ، وابتهلوا إليه فسلموا فتابوا وأنابوا وعملوا الخير عقيب ذلك . وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكري الذي اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفا وأجراه في جدول إلى جامعهم بالقبيبات فعماش به الناس ، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية ، ونصبت عليه الأشجار والبساتين ، وعمل حوض كبير تجاه الجامع من الغرب يشرب منه الناس والدواب ، وهو حوض كبير وعمل مطهرة ، وحصل بذلك نفع كثير ، ورفق زائد أنابه الله . وخرج الركب في حادي عشر شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأوحى ، وفيه زين الدين كتبغا الحاجب ، وكمال الدين الزملى كاتبي والقاضى قيس الدين بن المزد ، وقاضى حماة شرف الدين البازرى ، وقطب الدين ابن شيخ السلامة وبدر الدين بن المطار ، وعلاء الدين بن غانم ، ونور الدين السخاوى ، وهو قاضى الركب . ومن المصريين قاضى الحنفية ابن الحريرى ، وقاضى الحنابلة ومجد الدين حرى والشرف عيسى المالكي ، وهو قاضى الركب . وفيه كملت عمارة الحمام الذى عمره الجبيغا غربى دار الطعم ودخله الناس .

وفي أواخر ذى الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتر الخواجه مجد الدين إسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلامى ، وفي صحبته هدايا وتحف لصاحب مصر من ملك التتر ، وأشهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتر ، فتلقاء الجند والدولة ، ونزل بدار السعادة يوما واحداً ، ثم سار إلى مصر . وفيها وقف الناس بعرفات موقفا عظيما لم يهد مثله ، أتوه من جميع أقطار الأرض ، وكان مع

المراقبين محامل كثيرة منها حمل قوم ما عليه من الذهب واللاكي بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ إبراهيم الدهستاني
وكان قد أسن وعمر ، وكان يذكر أن عمره حين أخنت التتر بغداد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر ، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزاويته التي عند سوق الخليل بدمشق ، ودفن بها وله من العمر مائة وأربع سنين ، كما قال ، فآله أعلم .
الشيخ محمد بن محمود بن علي
الشحام المقرئ شيخ ميعاد ابن عامر ، كان شيخاً حسنًا بهياً مواظباً على تلاوة القرآن إلى أن توفي في ليلة توفي الدهستاني المذكور أو قبله بليلة رحهما الله .

الشيخ شمس الدين ابن الصائغ اللغوي

هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجندامي المصري الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستائة بمصر ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلاً بارعاً بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبديع والنحو والألفاظ ، وقد اختصر صحاح الجوهري ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وله قصيدة ثائية تشتمل على ألفي بيت فأكثر ، ذكر فيها العلوم والصنائع ، وكان حسن الأخلاق لطيف المحاور والمخاضرة ، وكان يسكن بين درب الحبالين والفراش عند بستان القط توفي بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

استهات وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها فتح حمام الزيت الذي في رأس درب الحجر ، جدد عمارته رجل ساوى بعد ما كان قد درس ودثر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع . وفي سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار أبي سعيد إلى السلطان صناديق ونحف ودقيق . وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله . وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان فنزل بدار السعادة وقدم قاضي القضاة تقي الدين من عوض الحاكم الخنبلي بمصر وهو فاضل الخزانة أيضاً ، فنزل بالعادية الكبيرة التي لاشافية ، فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى مصر : جاء في بعض أشغال السلطان وزار القدس . وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريبا من الميسدان وكان في جوارها كنيسة فأمر الوالي بهدمها ، فلما هدمت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا عليه ،

فانزعج السلطان لذلك وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاطى ذلك منهم ؟ فقالوا يمزر ، فأخرج جماعة من السجون ممن وجب عليه قتل فقطع وصلب وحرّم وحزّم وعاقب ، موها أنه إنما عاقب من تعاطى تخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصارى وظهروا بعد ما كانوا قد اخفوا أياها . وفيه نارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر ، فثار الناس وراهم وقتلوا منهم قريبا من مائة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علم الدين البرزالي ومن خطه نقلت : وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتيون إلى القابون ووقفوا على قبلة الجامع الذي أمر بينائه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرروا قبلته واتفقوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق . وفيه وقعت مراجعة من الأمير جوبان أحد المقدمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تنكز ، فسك جوبان ورفع إلى القلعة ليلتان ، ثم حول إلى القاهرة فعوتب في ذلك ، ثم أعطى خبزاً يليق به . وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة في الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفعة ، وبعض المساجد ، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقتلوا في الصلوات ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من قبل النصارى بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهدم ، فقتل السلطان بعضهم وألزم النصارى أن يلبسوا الزرقاء على رؤسهم وثيابهم كلها ، وأن يحملوا الاجراس في الحمامات ، وأن لا يستخدموا في شيء من الجهات ، فسكن الأمر وبطل الحريق .

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار أبو سعيد البازار وزوج الخواطى وأراق الخمر وعاقب في ذلك أشد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعوا له رحمه الله وسأحه . وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب وخطب به الشيخ على المناخلى . وفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذى أنشأ تنكز نجاه جامعه ، وأكرى في كل يوم بأربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه . وفي يوم السبت تاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائين التى نجاه حارة اليهود بعد إثبات كونها محدثة وجامت المراسيم السلطانية بذلك . وفي أواخر رجب نفقت الهدايا من السلطان إلى أبى سعيد ملك التتار ، صحبة الخواجه مجد الدين السلامى ، وفيها خمسون جملا وخيول وحمار عتاني . وفي منتصف رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكريمى بالقابون وشهدها يومئذ القضاة والصاحب وجماعة من الأعيان . قال الشيخ علم الدين : وقدم دمشق الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الأكفانى القازانى ، مدرس مشهد الامام أبى حنيفة ببغداد ، فى أول رمضان ، وقد حج فى هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها أشهراً ثم مر بدمشق متوجهاً إلى بغداد فنزل بالخانوية الحنفية ، وهو ذو فنون ويبحث وأدب وفقه . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر

شوال وأميره فشمس الدين حمزة التركاني ، وقاضيه نجم الدين الدمشقي . وفيها حج تنكز نائب الشام
وفي صحبته جماعة من أهله ، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن
يرجع ، فنزل بالنجبية البرانية .

ومن حج فيها الخطيب جلال الدين القزويني وعز الدين حمزة بن القلانسي ، وابن العزشمس
الدين الحنفي ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، وبهاء الدين بن علي ، وعلم الدين البرزالي
ودرس ابن جماعة بزواية الشافعي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال عوضا عن شهاب الدين أحمد بن
محمد الأنصاري لسوء تصرفه ، وخلع على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامة ما نشأ به
جمعية الجمعة وأشعلت له فموج كثيرة وفرح الناس بزوال المزعول .

قال البرزالي ومن خطه نقلت : وفي يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر الدرس الامام العلامة
تقي الدين السبكي المحدث بالمدرسة المكارية عوضا عن ابن الانصاري أيضا ، وحضر عنده جماعة
منهم القونوي ، وروى في الدرس حديث المتبايعين بالخيار ، عن قاضي القضاة ابن جماعة وفي شوال
عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البروشد الاوقاف ، وتولى ولاية الولاية بالبلاد القبلية بحوران
عوضا عن بكنتم لسفره إلى الحجاز ، وبأشر أخوه بدر الدين شد الاوقاف ، والامير علم الدين الطرقشي
ولاية البرمع شد الدواوين ، وتوجه ابن الانصاري إلى حلب متوليا وكالة بيت المال عوضا عن
ناصر الدين أخى شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، بحكم ولاية التاج المذكور نظرا للكرك .

وفي يوم عيد الفطر ركب الامير تيمر تاش بن جوبان نائب أبي سعيد على بلاد الروم في
قيسارية في جيش كثيف من التتار والتركمان والقرمان ، ودخل بلاد سويس فقتل وسبي وحرق
وخرب ، وكان قد أرسل لنائب حلب الطنغا ليجهز له جيوشا ليكونون عوناً له على ذلك ، فلم يمكنه
ذلك بغير مرسوم السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الصالح المقرئ

بقية السلف عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الواحد بن علي
القرشي الخزومي الدلاهي شيخ الحرم بمكة ، أقام فيه أزيد من ستين سنة ، يقرئ الناس القرآن
احتساباً ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ، أبوه الصالح المعروف بالسكاكيني ، ولد سنة خمس
وثلاثين وستائة بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل في مقدمة في النحو ، ونظم قويا ومع الحديث ،
وخرج له الفخر ابن البعلبكي جزءا عن شيوخه ، ثم دخل في التشيع فقرأ على أبي صالح الحلبي شيخ

الشيعة ، وصحب عدنان وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن حماد فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضُف وُقِل معمه ، وله سؤال في الخبر أجابه به الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة ففسله تقي الدين السبكي لما قدم دمشق قاضياً ، وكان بخطه ، ولما مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين ابن مسلم . توفي يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقتل ابنه قباذ على قذفه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضى الله عنهن وقبح قاذفن .

وفي يوم الجمعة مسهل رمضان صلى بدمشق على غائبين وهم الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصبهاني ، توفي بمكة ، وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها ، والشيخ يحيى الكردي ، والشيخ حسن المغربي السقا .

الشيخ الإمام العالم علاء الدين

على بن سميد بن سالم الأنصاري ، إمام مشهد على من جامع دمشق ، كان يشوش الوجه متواضعا حسن الصوت بالقراءة ملازماً لأفراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يؤم نائب السلطنة ولده العلامة ، بهاء الدين محمد بن علي مدرس الأمينية ، ومحتسب دمشق . توفي ليلة الاثنين رابع رمضان ودفن بسفح قاسيون .

الأمير حاجب الحجاب

زين الدين كتبغا المنصوري ، حاجب دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم براً للفقراء ، يحب الختم والمواعيد والمواليد ، وسماع الحديث ، ويلزم أهله ويحسن إليهم ، وكان ملازماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية كثيراً ، وكان يحج ويتصدق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار فامن عشر شوال ، ودفن من الغد بترته قبلي القبيبات ، وشهده خلق كثير وأثنوا عليه رحمه الله .

والشيخ بهاء الدين ابن المقدسي والشيخ سعد الدين أبي زكريا يحيى المقدسي ، والد الشيخ فحمس الدين محمد بن سعد المحمدي المشهور . وسيف الدين الناسخ المنادي على الكتب . والشيخ أحمد الحرام المقرئ على الجنائز ، وكان يكرر على التنبيه ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها ، سوى وإلى البر بدمشق فاته علم الدين طرقيش ، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته . وفي الحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وفي الله شرها ، وقدم تنكز من الحجاز ليلة الثلاثاء حادي عشر الحرم ، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر ، وقدم ليلاً لثلاث ينكلف أحد لقدمه ، وسافر نائب الغيبة عنه قبله بيومين

لثلا يكلفه بهدية ولا غيرها ، وقدم مغلطاي عبد الواحد الجحدار أحد الأمراء بمصر بخلمة سنية من السلطان لتتكز فلبسها وقبل العتبة على العادة ، وفي يوم الأربعاء سادس صفر درس الشيخ نجم الدين القفجازی بالظاهرية للحنيفة ، وهو خطيب جامع تنكز ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، ودرس في قوله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] وذلك بمسودة القاضي شمس الدين بن العز الحنفي ، توفي مرجعه من الحجاز ، وتولى بعده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسي ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنه في حال غيبته ، فاستمر بعده ، ثم ولي الحكم بعده ، مستنبيه فيها . وفيه قدم الخوارزمي حاجبا عوضاً عن كتبغا ، وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمد بن الشيخ شرف الدين محمد السكرماني الحنفي ، فنزل بالقصاعين وتردد إليه الطلبة ودخل إلى نائب السلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سنة إحدى وسبعين وقد اجتمعت به ، وكان عنده مشاركة في الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصله ، وكانت لأبيه وجده مصنفات ، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتي .

وفي ربيع الأول تكامل فتح إياس ومما لماتها وانتزاعها من أيدي الأرمن ، وأخذ البرج الأطلس وبينه وبينها في البحر رمية ونصف ، فأخذ المسلمون بأذن الله وخر به ، وكانت أبوابه مطلية بالحديد والرصاص ، وعرض سورته ثلاثة عشر ذراعاً بالنجار ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره فقوى عليهم الحر والذباب ، فرسم السلطان بمودم ، فخرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديداتها وأقبلوا سالمين غانمين ، وكان معهم خلق كثير من المنطوعين . وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كمل بسط داخل الجامع فأتسع على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فان الناس كانوا يمرون وسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بنعليه ، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداست ، بخلاف باقي الرواق ، فأمر نائب السلطنة بتكميل بسطه بإشارة ناظره ابن مراحل . وفي جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سييس ومقدمهم أقوش نائب الكرك . وفي آخر رجب باشر القاضي محي الدين بن إسماعيل بن جليل نيابة الحكم عن ابن صصري عوضاً عن الداراني الجعفري ، واستغنى الداراني بخطبة جامع العقبية عنها . وفي ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخلع عليه ، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس . وفي رجب كملت عمارة الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبيح جوار داره شمالي الشامية البرانية . وفي يوم الاثنين تاسع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرغون نائب السلطنة عقده على ابنه الناصر ، وختن في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومد سباطاً عظيماً ، ونثرت

الفضة على رؤس المطهرين ، وكان يوما مشهوداً ، ورسم السلطان في هذا اليوم وضع المكس عن المأكولات بمكة ، وعوض صاحبها عن ذلك باقطاع في بلد الصعيد .

وفي أواخر رمضان كانت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن علم برقاق الماحية من قاسيون بالقرب من سكنه ، وانتفع به أهل تلك الناحية ومن جاورهم . وخرج الراكب الشامي يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبعل نائب الرحبة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صبرة ، وقاضيه شمس الدين بن النقيب قاضي حمص .

ومن توفي فيها من الاعيان القاضي شمس الدين بن العز الحنفى

أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن كابر بن وهيب الأذرى الحنفى ، أحد مشايخ الحنفية وأئمتهم وفضلائهم في فنون من العلوم متعددة ، حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جيد الطريقة كريم الأخلاق ، كثير البر والصلة والاحسان إلى أصحابه وغيرهم ، وخطب في جامع الأفرم مدة ، وهو أول من خطب به ، ودرس بالمعظمية والبيتمورية والقليجية والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للناس بالافتاء ، وكان كبيراً معظمياً مهيباً ، توفي بعد مرجعه من الحج بأيام قلائل ، يوم الخميس سابع المحرم ، وصلى عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم ودفن عند المعظمية عند أقاربه ، وكانت جنازته حافلة ، وشهد له الناس بالخير وغبطوه لهذه المنة رحمه الله . ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين الفعجازى ، وفي المعظمية والقليجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين ، وباشر بعده نيابة الحكم القاضي حماد الدين الطرسوسى ، مدرس القلعة .

الشيخ الامام العالم أبو إسحاق

بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكي الشافعى ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، مع الحديث من شيوخ بلده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يفتى الناس من مدة طويلة ، ويدكر أنه اختصر شرح السنة للبقوى . توفي يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكة ، ودفن من القد ، وكان من أئمة المشايخ .

شيخنا العلامة الزاهد ركن الدين

بقية السلف ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطليبية والأسدية ، وله حلقة للاشتغال بالجامع ، يحضر بها عنده الطلبة ، كان يشتغل في الفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك ، توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريباً من شيخه تاج الدين الفزارى رحمه الله .

نصير الدين

أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله علي بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي ابن محمد بن أبي بكر الربعي التغلبي التكريتي أحد صدور دمشق ، قدم أبوه قبله إليها وعظم في أيام الظاهر وقبله ، وكان مولده في حدود خمسين وستمائة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة ، توفي يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بترتيم بسفح قاسيون رحمه الله . وفي يوم الأحد حادي عشر شوال توفي . شمس الدين محمد بن المغربي

التاجر السفار ، باني خان الصنمين الذي على جادة الطريق للسبيل رحمه الله وتقبل منه ، وهو في أحسن الأماكن وأنفعها .

الشيخ الجليل نجم الدين

نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشي المعروف بابن عنقود المصري ، كانت له وجاهة وإقدام على الدولة ، توفي بكرة الجمعة ثالث عشرين شوال ، ودفن بزوايته ، وقام بعده فيها ابن أخيه . شمس الدين محمد بن الحسن

ابن الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدى أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة فأتممه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان ينسخ ويكثر التلاوة ويحضر المدارس والسميع الكبير ، توفي في سابع عشرين شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفراديس . الشيخ العابد جلال الدين

جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلي المعروف بابن القلانسي ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، وجمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وجمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والانشاء ثم انقطع وترك ذلك كله وأقبل على العبادة والزهادة ، وبنى له الأمراء بمصر زواية وترددوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان ثقيل السمع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدث بها ثم عاد إلى القدس وتوفي بها ليلة الأحد ثالث ذي القعدة ، ودفن بمقابر ماملى رحمه الله ، وهو خال المحتسب عز الدين بن القلانسي ، وهذا خال صاحب نقي الدين بن مراحل .

الشيخ الامام قطب الدين

محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي المصري ، اختصر الروضة وصنف كتاب التمجيز ودرس بالفاضلية وناب في الحكم بمصر ، وكان من أعيان الفقهاء ، توفي يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة عن سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المنادي ، نائب الحكم بالقاهرة

وحضر عنده ابن جماعة ، والاعيان والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

استمات بيوم الأحد في كانون الأصم ، والحكم هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن والى البر بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني ، باشرها في صفر من السنة الماضية . وفي صفر من هذه السنة باشر ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق عوضاً عن صارم الدين الجوكنداري وفي صفر عوفي القاضي كريم الدين وكيل السلطان من مرض كان قد أصابه ، فزيت القاهرة وأشملت الشموع وجمع الفقراء بالمارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته ، فمات بعضهم من الزحام في سلخ ربيع الأول ، ودرس الامام العلامة المحدث تقي الدين السبكي الشافعي بالمنصورية بالقاهرة عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي ، بمقتضى انتقاله إلى دمشق ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القونوي الشافعي عوضاً عن النجم ابن مصري ، في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، فمات المادلية وقد قدم على القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاء العساكر وتدريس المادلية والفزالية والانابكية . وفي يوم الأحد مسك القاضي كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمكانة عند السلطان ما لم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السلطنة ، ثم رسم له أن يكون بتربته التي بالقرافة ، ثم نفى إلى الشوبك وأنعم عليه بشيء من المال ، ثم أذن له بالاقامة بالقدس الشريف برباطه . ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس في البرج ، وفرح العامة بذلك ودعوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت . وطلب من القدس أمين الملك عبد الله فولى الوزارة بمصر ، وخلع عليه عوداً على بده ، وفرح العامة بذلك وأشعلوا له الشموع ، وطلب الصاحب بدر الدين غبريال من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، ثم خول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرماً ، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيشي على نظر الجيوش الشامية عوضاً عن القطب بن شيخ السلامة عزل عنها ، ورسم عليه في العذراوية نحواً من عشرين يوماً ثم أذن له في الانصراف إلى منزله بمصر وفا عنها .

وفي جمادى الأولى عزل طرقي عن شد الدواوين وتولاها الأمير بكتمر . وفي ثاني جمادى الآخرة باشر ابن جهل نيابة الحكم عن الزرعي ، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الايتام عوضاً عن ابن هلال . وفي شعبان أعيد الطرقي إلى الشد وسافر بكتمر إلى نيابة الاسكندرية ، وكان بها إلى أن توفي . وفي رمضان قدم جماعة من حجاج الشرق وفيهم بنت الملك أبغاين هو لاكو ، وأخت أرغون وعمه قازان وخر بندا ، فأكرمت وأنزلت بالقصر الأبلق ، وأجريت عليها الاقامات والنقعات

إلى أوان الحج ، وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلجا الابو بكرى ، الذى بالقصاعين وقاضى الركب شمس الدين قاضى القضاة ابن مسلم الحنبلى ، وحج معهم جمال الدين المزى ، وعماد الدين ابن الشيرجى ، وأمين الدين الوافى ، ونفر الدين البعلبكي ، وجماعة ، وفوض الكلام فى ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نجيج . كذا أخبرنى شهاب الدين الظاهرى . ومن المصريين قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين ونفر الدين كاتب الماليك ، وشمس الدين الحارثى ، وشهاب الدين الأذرعى ، وعلاء الدين الفارسى .

وفى شوال باشر تقي الدين السبكى مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بعد زكى الدين المنادى ويقال له عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الديلمى ، ثم انتزعت من السبكى لفتح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، باشرها فى ذى القعدة . وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة خاع على قطب الدين بن شيخ السلامة وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحشيشى ، ثم بعد مدة مديدة استقبل قطب الدين بالنظر وحده وعزل ابن حشيش .

ومن توفى فيها من الاعيان الامام المؤرخ كمال الدين الفوطى

أبو الفضل عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى عمر بن أبى المعالى الشيبانى البغدادى ، المعروف بابن الفوطى ، وهو جده لأمه ، ولد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ببغداد ، وأسر فى واقعة التتار ثم تخلص من الأسر ، فكان مشاركاً على الكتب بالمسند المصرية ، وقد صنف تاريخاً فى خمس وخمسين مجلداً ، وآخر فى نحو عشرين ، وله مصنفات كثيرة ، وشعر حسن ، وقد سمع الحسن من محبى الدين بن الجوزى ، توفى ثالث المحرم ودفن بالشونيزية .

قاضي القضاة نجم الدين بن صصري

أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبى المواهب بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صصرى التغلبى الربى الشافعى قاضى القضاة بالشام ، ولد فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلصكان وفيات الأعيان ، وسمعها عليه ، وتفقه بالشيخ تاج الدين الفزارى ، وعلى أخيه شرف الدين فى النحو ، وكان له يد فى الانشاء وحسن العبارة ، ودرس بالمعادية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين ، وبالأمينية سنة تسعين ، وبالفزالية سنة أربع وتسعين ، وتولى قضاء العساكر فى دولة العادل كتبغا ، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعمائة ، بعد ابن جماعة حين طالب لقضاء مصر ، بعد ابن دقيق العيد . ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس المعادية والفزالية والاتبكية ، وكلها مناصب دنيوية

انسلخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاهما وهي متاع قليل من حبيب مفارق ، وقد كان رئيساً محبشماً وقوراً كريماً جميل الاخلاق ، معظماً عند السلطان والدولة ، توفي فجأة ببستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمراء والاعيان ، وكانت جنازته حافلة ودفن بقريةهم عند الركنية . **علاء الدين علي بن محمد**

ابن عثمان بن أحمد بن أبي المنى بن محمد بن نحلة الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة وقرأ المحرر ، ولزم الشيخ زين الدين الفارقي ودرس بالدولعية والركنية ، وناظر بيت المال ، وابتنى داراً حسنة إلى جانب الركنية ، ومات وتركها في ربيع الأول ، ودرس بعده بالدولعية القاضي جمال الدين ابن جملة ، وبالركنية القاضي ركن الدين الخراساني .
وفي ربيع الاول قتل . الشيخ ضياء الدين

عبد الله الزربندي النحوي ، كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة فأشار شيخ الشيوخ القنوي فأودع بالمراستان فلم يوافق ثم دخل إلى القلعة وبيده سيف مسلول فقتل نصرانياً ، فحمل إلى السلطان وظنوه جاسوساً فأمر بشنقه فشنق ، وكنت ممن اشتغل عليه في النحو .

الشيخ الصالح المقرئ الفاضل

شهاب الدين أحمد بن الطبيب ابن عبيد الله الحلبي العزيزي الفوارسي المعروف بابن الحلبيه ، جمع من خطيب مرداو ابن عبد الدائم ، واشتغل وحصل وأقرأ الناس ، وكانت وفاته في ربيع الاول عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالسفح .

شهاب الدين أحمد بن محمد

ابن قطنية الذرعي الناجر المشهور بكثرة الاموال والبضائع والمتاجر ، قيل بلغت زكاة ماله في سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار ، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بقريةه التي بباب بستانه المسمى بالمرقع عند ثورا ، في طريق القابون ، وهي تربة هائلة ، وكانت له أملاك .

القاضي الإمام جمال الدين

أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابوري ، قاضي بعلبك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين الفزاري ، قدم من بعلبك ليلتقي بالقاضي الذرعي فمات بالمدرسة البادرانية ليلة السبت سابع جمادى الاولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة أضغاث حلم .

الشيخ المعمر المسن جمال الدين

عمر بن الياس بن الرشيد البعلبكي التاجر ، ولد سنة ثنتين وستمائة وتوفي في ثاني عشر

جمادى الأولى عن مائة وعشرين سنة، ودفن بمطحار رحمه الله .

الشيخ الامام المحدث صفى الدين

صفى الدين أبو النشاء محمود بن أبي بكر بن محمد الحنفى بن يحيى بن الحسين الارموى ، الصوفى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وكتب الكثير ، وذيل على النهاية لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل فى اللغة فحصل منها طرفاً جيداً ، ثم اضطرب عقله فى سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السوداء ، وكان يفوق منها فى بعض الاحيان فيذاكر صحيحاً ثم يعترضه المرض المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة فى المارستان النورى ، ودفن بباب الصغير .

الخاتون المصونة

خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شادى بدارها . وتعرف بدار كافور ، كانت رئيسة محترمة ، ولم تزوج قط ، وليس فى طبقها من بنى أيوب غيرها فى هذا الحين ، توفيت يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمهما الله .

شيخنا الجليل المعمر الرحلة بهاء الدين

بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبى غالب المظفر بن نجم الدين بن أبى النشاء محمود ابن الامام تاج الأمان أبى الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقى الطيب المعمر ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمع حضوراً ومعا على الكثير من المشايخ ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة سمعناها عليه فى سنة وفاته ، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين الملا فى عوالى من حديثه ، وكتب له الحديث المفيد ناصر الدين بن طغر بك مشيخة فى سبع مجلدات تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخاً ، سمعاً وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحفاظ وغيرهم . قال البرزالي : وقد قرأت عليه ثلاثاً وعشرين مجلداً بحذف المكررات . ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يمالج الناس بغير أجر ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث ، وتفرّد فى آخر عمره فى أشياء كثيرة ، وكان سهلاً فى التسميع ، ووقف آخر عمره داره دار حديث ، وخص الحافظ البرزالي والمزى بشئ من بره ، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

الوزير ثم الأمير نجم الدين

حمد بن الشيخ نجر الدين عثمان بن أبى القاسم البصر اوى الحنفى ، درس ببصرى بعد عمه القاضى صدر الدين الحنفى ، ثم ولى الحسبة بدمشق ونظر الخزانة ، ثم ولى الوزارة ، ثم سأل الإقالة

منها فموض بأمريّة عشرة عنها باق طاع هائل ، وعمول في ذلك معاملة الوزراء في حرمة ولبسته ، حتى كانت وفاته ببصري يوم الخميس ثامن عشرين شعبان ، ودفن هناك ، وكان كريماً ممدحاً وهاباً نهياً كثير الصدقة والاحسان إلى الناس ، ترك أموالاً وأولاداً ثم تفتتوا كلهم بعده وتفرقت أمواله ، ونكحت نساؤه وسكنت منازلهم .

الأمير صارم الدين بن قراسنقر الجوكندار

مشد الخالص ، ثم ولي بدمشق ولاية ثم عزل عنها قبل موته بسنة أشهر ، توفي تاسع رمضان ودفن بتربته المشرفة المبيضة شرقي مسجد التاريخ كان قد أعدها لنفسه .

الشيخ أحمد الأعقف الحريري

شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة ، واشتغل في صباه على الشيخ تاج الدين الغزاري في التنبيه ، ثم صحب الحريرية وخدمهم ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفي يوم الأحد ثالث عشرين رمضان براويته بالمزة ، ودفن بمقبرة المزة ، وكانت جنازته حافلة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلى بدمشق على غائب وهو الشيخ هارون المقدسي توفي ببعبك في العشر الأخير من رمضان ، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقهاء . وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة توفي .

الشيخ المقرئ أبو عبدالله

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عصر الأنصاري القصري ثم السبكي بالقدس ، ودفن بما ملئ ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدين والناس مشاة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وكان شيخاً مهيباً أحمراً اللحية من الحناء ، اجتمعت به وبجنت معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهي أول زيارة زرتها ، وكان مالكي المذهب ، قد قرأ الموطأ في ثمانية أشهر ، وأخذ النحو عن أبي الربيع شارح الجمل للزجاجي من طريق شريح .

شيخنا الأصيل شمس الدين

شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بشار بن عميل الشيرازي ، مولده في شوال سنة تسع وعشرين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع وأفاد في عليّة شيخنا المزي نعمه الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أنا به الله ، وكان شيخاً حسناً خيراً مباركاً متواضعاً ، يذهب الربعات والمصاحف ، له في ذلك يد طولى ، ولم يتدنس بشيء من الولايات ، ولا تدنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات ، إلى أن توفي

في يوم عرفة ببستانه من المزة ، وصلى عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله .
 الشيخ العابد أبو بكر

أبو بكر بن أيوب بن سعد النرعي الحنبلي ، قيم الجوزية ، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً ، وقد جمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيدى العامري ، توفي فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذى الحجة بالمدرسة الجوزية ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة فحمس الدين محمد بن قيم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافعة الكافية .

الأمير علاء الدين بن شرف الدين

محمود بن إسماعيل بن معبد البعلبكي أحد أمراء الطبلخانات ، كان والده تاجراً يبيع بلك فنشأ ولده هذا واتصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أعطى طبلخانه وياشر ولاية البريد بدمشق مع شد الأوقاف ثم صرف إلى ولاية الولاة بحوران ، فاعترضه مرض ، وكان سبط البدن عبه ، فسأل أن يقال فأجيب فأقام ببستانه بالمزة إلى أن توفي في خامس عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه هناك ، ودفن بمقبرة المزة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير ساعه الله . وفي هذا اليوم توفي .
 الفقيه الناسك شرف الدين الحراني

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر ابن عبد الواحد بن عمر الحراني ، المعروف بابن النجيج ، توفي في وادي بني سالم ، فحمل إلى المدينة ففصل وصلى عليه في الروضة ودفن بالبقيع شرقي قبر عقيل ، فقبطه الناس في هذه الموتة وهذا القبر ، رحمه الله ، وكان ممن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضي الحنابلة ، فمات بعده ودفن عنده وذلك بعده ثلاث سنين رحمهما الله . وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين عند المذكور شرف الدين بن أبي المزالحني قبل ذلك بجمعة ، مرجعه من الحج بعد انفصاله عن مكة بمرحلتين فقبط الميت المذكور بتلك الموتة فرزق مثلها بالمدينة ، وقد كان شرف الدين بن نجيج هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين بن تيمية ، وكان معه في مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها إلا الأبطال الخالص الخواص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه ، ينال فيه الأذى وأذى بسببه مرات ، وكلاله في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه ، وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلى عليه بروضة مسجد رسول الله (ص) ، ودفن بالبقيع بقيق الفرقد بالمدينة النبوية ، نفخ له بصالح عمله ، وقد كان كثير من السلف يتمنى أن يموت عقيب

عمل صالح يعمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .
ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها : الخليفة المستنفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي ، و Sultan البلاد الملك الناصر ، ونائبه بمصر سيف الدين أرغون و وزيره أمين الملك ، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها ، ونائبه بالشام تنكز ، وقضاة الشام الشافعي جمال الدين الدرعي ، والحنفي الصدر على البصراوي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال جمال الدين ابن القلانسي ، ومحاسب البلاد نحر الدين بن شيخ السلامة ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال وشد الدواوين علم الدين طرقتشي ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامة ، ومعين الدين ابن الخشيش ، و كاتب السر شهاب الدين محمود ، و نقيب الاشراف شرف الدين بن عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي ، ووالي البرعلاء الدين ابن المرواني ، ووالي دمشق شهاب الدين برك .

وفي خامس عشر ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسي الحسبة عوضا عن ابن شيخ السلامة مع نظر الخزانة ، وفي هذا الشهر حمل كريم الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أخذت منه أموال وذخائر كثيرة ، ثم نفى إلى الصعيد وأجرى عليه نفقات سلطانية له ولمن معه من عياله ، وطلب كريم الدين الصغير وصوره بأموال جملة . وفي يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالمقصورة من الجامع الأموي بحضور نائب السلطنة والقضاة ، يتضمن إطلاق مكس الغلة بالشام المحروس جميعه ، فكثرت الأدعية للسلطان ، وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الآخر بعزل قاضي الشافعية الدرعي ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالمعادلية بعد العزل خمسة عشر يوما ثم انتقل منها إلى الاتابكية ، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ وتدريس الاتابكية ، واستدعى نائب السلطان شيخنا الامام الزاهد برهان الدين الفزاري ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألح عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عنده فأرسل في أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية . وصمم أشد التصميم ، جزاه الله خيرا عن مروءته ، فلما كان يوم الجمعة جاء البريد فأخبر بتوليته قضاء الشام ، وفي هذا اليوم خلع علي تقي الدين سليمان بن مراحل بنظر الجامع عوضا عن بدر الدين ابن الحداد توفي ، وأخذ من ابن مراحل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن العطار ، وخسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد المساء ، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع

سور: ق ، واقتربت ، والواقعة ، والقيامه ، ثم صلى العشاء ثم خطب بعدها ثم أصبح فصلى بالناس الصبح ثم ركب على البر بد إلى مصر فرزق من السلطان فتولاد وولاه بعد أيام القضاء ثم كر راجعا إلى الشام فدخل دمشق في خامس رجب على القضاء مع الخطابة وتدريس المعادلية والغزالية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الأمانة فدرس فيها جمال الدين بن القلانسي ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء العساكر وخطوب بتقاضى القضاة جلال الدين القزويني .

وفيهما قدم ملك التكرور إلى القاهرة بسبب الحج في خامس عشرين رجب ، فنزل بالقرافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين في كل مثقال ، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكا ، كل ملك تحت يده خلق وعساكر ، ولما دخل قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقبيل الأرض فامتنع من ذلك ، فأكرمه السلطان ، ولم يمكن من الجلوس أيضاً حتى خرج من بين يدي السلطان وأحضر له حصان أشهب بزناى أطلس أصفر ، وهيئت له هجن وآلات كثيرة تليق بمنزله ، وأرسل هو إلى السلطان أيضا بهدايا كثيرة من جملتها أربعون ألف دينار ، إلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، ونحف كثيرة .

وفي شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة ، لم ير مثلها من نحو مائة سنة أو أزيد منها ومكث على الأراضي نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرق أقصاها كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضره . وفي يوم الخميس فامن عشر شعبان استناب القاضي جلال الدين القزويني نائبين في الحكم ، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجى الصالحى ، وقد ولي القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتى ، ومحمد بن على بن إبراهيم المصرى ، وحكما يومئذ ، ومن الفد جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كمال الدين بن الزملى كاتى ، فاستدعاه نائب السلطنة وفاوضه في ذلك فامتنع ، فراجع النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد في ثاني عشر رمضان بامضاء الولاية فشرع للتأهب لبلاد حلب ، وتمادى في ذلك حتى كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس رابع عشر شوال ، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال فأكرم إكراماً زائداً ، ودرس بها وألقى دلوها أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفائقة ، وما أحسن ما قال الشاعر وهو شمس الدين محمد الحنطاف في قصيدة له معطولة أولها قوله :

أُسْرِفْتُ لِقَدِّكَ جَأْقُ الْفِيحَاءُ * وَتَبَاشَرْتُ بِقُدُومِكَ الشَّهْبَاءُ

وفي ثاني عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى ، أستاذ دار السلطان . وفي أواخر رمضان طلب صاحب شمس الدين غبريال إلى

القاهرة فولى بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصغير ، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق في شوال ، فنزل بدار العدل من القضاة . وولى سيف الدين قد يدار ولاية مصر ، وهوشهم سفاك للدماء ، فأراق الحور وأحرق الحشيشة وأمسك الشطار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر ، وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدة مقامه بمصر .

وفي رمضان قدم إلى مصر الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشعام الموصلى من بلاد السلطان أربك ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية به فأعطى تدريس الظاهرية البرانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي ، فباشرها في مستهل ذي الحجة ، ثم درس بالجارودية . ثم خرج الركب في تاسع شوال وأميره كوكنجبار الحمدي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن خرج إلى الحج برهان الدين الفزاري ، وشهاب الدين قرطاي الناصري نائب طرابلس ، وصاروحا وشهري وغيرهم . وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة الفقهاء بـ مدرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم في الجوامك أيضاً . وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شق نفسه داخل خزانة له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقة في حبل وكان تحت رجله قفص فدفع القفص برجله فمات في مدينة أسوان ، وستأتي ترجمته .

وفي سابع عشر ذي القعدة زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت ، وفي ذي القعدة درس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية عوضاً عن ابن الزمלקاني ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضي القزويني ، وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس بن حسان يذكر فيه أن الأمير جوبان أعطى الأمير محمد حسينا قداً فيه خمر ليشربه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الإباء ، فقال له إن لم تشربها وإلا كافئك أن تحمل ثلاثين تومانا ، فقال نعم أحمل ولا أشربها ، فكتب عليه حجة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتي ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين تومانا فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاتفقا على ذلك ، فبعث بكتي إلى جوبان يقول له : المال الذي طلبته من حسينا عندي فان رصمت حملته إلى الخزانة الشريفة ، وإن رصمت تفرقه على الجيش . فأرسل جوبان إلى محمد حسينا فأحضره عنده فقال له : تزن أربعين تومانا ولا تشرب قداً من خمر ؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ومزق الحجة المكتوبة عليه ، وحظي عنده وحكمه في أموره كلها ، وولاه ولايات كتابه ، وحصل لجوبان إقلاع ورجوع عن كثير مما كان يتعاطاه ، رحم الله حسينا .

وفي هذه السنة كانت فتنة بأصهبان قتل بسببها ألوف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم

شهوراً . وفيها كان غلاء مفرط بدمشق ، بلغت الغرارة مائتين وعشرين ، وقلت الاقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصر لاشتد الغلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة ، وإلى أثناء سنة خمس وعشرين ، حتى قدمت الغلات ورخصت الأسعار والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان : توفى في مستهل المحرم

بدر الدين بن ممدوح بن أحمد الحنفى

قاضى قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحاً ، حج مرات عديدة ، وربما أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن العز وعلى شرف الدين بن نجيج توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيج صاحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بتلك المنة كما تقدم ، فرزقوها فانوا عقيب عملهم الصالح بعد الحج .

الحجة الكبيرة خوندا بنت مكية

زوجة الملك الناصر ، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بتربتها التي أنشأها .

الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش

ويقال له اللباد ويعرف بالموءله ، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئاً من القراءات ، وكان يعلم الصغار عقد الرأه والحروف المتقنة كالراء ونحوها ، وكان متقللاً من الدنيا لا يقتنى شيئاً ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل في السوق وينام في الجامع ، توفى في مستهل صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن في باب الفراديس رحمه الله . وفي هذا اليوم توفى بمصر .

الشيخ أيوب السعودي

وقد قارب المائة ، أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة . ودفن بتربة شيخه بالقرافة وكتب عنه قاضى القضاة تقي الدين السبكي في حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرجبى أنه لم ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

الشيخ الامام الزاهد نور الدين

أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكرى المصرى الشافعى ، له تصانيف ، وقرأ مسند الشافعى على وزيرة بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان في جملة من ينسك على شيخ الاسلام ابن تيمية ، أراد بعض الدولة قتله فهرب واختفى عنده كما تقدم لما كان ابن تيمية مقيماً بمصر ، وما مثاله إلا مثال ساقية

ضعيفة كدرة لاطمت بجرأ عظيما صافيا ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشنع فيه بعض الامراء ، ثم أنكر مرة شيئا على الدولة فنفي من القاهرة إلى بلدة يقال لها ديروط ، فكان بها حتى توفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه يذكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لانحسن أن تتكلم .

الشيخ محمد الباجر بقى

الذى تنسب إليه الفرقة الضالة الباجر بقية ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله ، وتقدس أسماؤه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلى رجلا صالحا من علماء الشافعية ودرس في أما كن بدمشق ، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء واشتغل ببعض شئ ثم أقبل على السلوك ولازم جماعة يعقدونه ويوزرونه ويرزقونه ممن هو على طريقه ، وآخرون لا يفهمونه ، ثم حكم القاضي المالكي باراقة دمه فهرب إلى الشرق ، ثم إنه أثبت عداوة بينه وبين الشهود فحكم الحنبلى بمحقن دمه فأقام بالقابون مدة سنين حتى كانت وفاته ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قاسيون في قبة في أعلى ذيل الجبل تحت المغارة ، وله من العمر ستون سنة .

شيخنا القاضي أبو زكريا

محيى الدين أبو زكريا محيي بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعى اشتغل على النواوى ولازم ابن المقدسى ، وولى الحكم بزراع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع ، ودرس في الصارمية وأعاد في مدارس عدة إلى أن توفي في سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وسمع كثيرا وخرج له الذهبى شيئا ومحمنا عليه الدارقطنى وغيره .

الفقيه الكبير الصدر الامام العالم الخطيب بالجامع

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدى الحنبلى ، سمع الحديث واشتغل وحفظ المحرر في مذهب أحمد وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه في مدة سنين وقد كان ابن حمدان يثنى عليه كثيرا وعلى ذهنه وذكائه ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خدمة الأمير قرا سنقر بحلب ، فولاه نظر الأوقاف وخطابة حلب بجامعها الأعظم ، ثم لما صار إلى دمشق ولاء خطابة الأموى فاستمر خطيبا فيها اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد إليها جلال الدين القزوينى ، ثم ولى نظر المارستان والحسبة ونظر الجامع الأموى ، وعين لقضاء الحنابلة في وقت ، ثم توفي ليلة الاربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

الكاتب المفيد قطب الدين

أحمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ، أخو محيى الدين كاتب تنكز ، والد صاحب علم الدين

كان خبيراً بالكتابة وقد ولى استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسن من أخيه ، وهو الذى علمه صناعة الكتابة وغيرها ، توفى ليلة الاثنين ثانى رجب وعمل عزاءه بالشميساطية ، وكان مباشر أوقافها .
الأمير الكبير ملك العرب

محمد بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، توفى بسلمية يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستين كان ملبح الشكل حسن السيرة عاملاً عارفاً رحمه الله .
وفى هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشق بموت .

الوزير الكبير علي شاه بن أبي بكر التبريزي

وزير أبي سعيد بعد قتل سعد الدين الساوى ، وكان شيخاً جليلاً فيه دين وخير ، وحمل إلى تبريز فدفن بها فى الشهر الماضى رحمه الله .

الأمير سيف الدين بكتمر

والى الولاية صاحب الأوقاف فى بلدان شتى : من ذلك مدرسة بالصلب ، وله درس بمدرسة أبي عمر وغير ذلك ، توفى بالاسكندرية ، وهو نائبها خامس رمضان رحمه الله .

شرف الدين أبو عبد الله

محمد ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الحنبلى ، أخو قاضى القضاة علاء الدين ، سمع الحديث ودرس وأفتى ، وصحب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاء حقوق كثيرة ، توفى ليلة الاثنين رابع شوال ، وكان مولده فى سنة خمس وسبعين وستائة ، ودفن بترابهم بالصالحية .

الشيخ حسن الكردي الموله

كان يخالط النجاسات والفاذورات ، ويمشي حافياً ، وربما تكلم بشيء من الهذيان التى تشبه علم المغيبات ، ولناس فيه اعتقاد كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات ، مات فى شوال .

كريم الدين الذى كان وكيل السلطان

عبد الكريم بن العلم هبة الله المسلماني ، حصل له من الأموال والتقدم والمكانة الخطيرة عند السلطان ما لم يحصل لغيره فى دولة الأتراك ، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القبيبات والحوض الكبير الذى تجمه باب الجامع ، واشترى له نهر ماء بخمسين ألفاً ، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، ووجدوا رقاً . والثانى الجامع الذى بالقابون . وله صدقات كثيرة تقبل الله منه وعفا عنه ، وقد مسك فى آخر عمره ثم صودر ونفى إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم الصعيد فخنق نفسه كما قيل بعمامته بمدينة أسوان ، وذلك فى الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشكل تام القامة ،

ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة ساعده الله .

الشيخ الامام العالم علاء الدين

على بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس النوصية بالجامع ، ولد يوم عيد النضر سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وجمع الحديث واشتغل على الشيخ محي الدين النواوي ولازمه حتى كان يقال له مختصر النواوي ، وله مصنفات وفوائد ومجاميع ونحاريح ، وباشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدة ثلاثين سنة ، توفي يوم الاثنين منها مستهل ذي الحجة فولى بعده النورية علم الدين البرزالي ، وتولى النوصية شهاب الدين بن حرز الله وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، وأولها يوم الأربعاء . وفي خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ فحمس الدين محمود الأصبهاني بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الجويد وغير ذلك ، ثم إنه شرح الحاجية أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظياً عند القاضي جلال الدين القزويني ، ثم إنه ترك الكل وصار يتردد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وجمع عليه من مصنفاته وردة على أهل الكلام ، ولازمه مدة فلما مات الشيخ تقي الدين تحول إلى مصر وجمع التفسير .

وفي ربيع الأول جرد السلطان تخرينة نحو خمسة آلاف إلى اليمن لخروج عمه عليه ، ومحبتهم خلق كثير من الحجاج ، منهم الشيخ نغر الدين النويري . وفيها منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وعززه القاضي المالكي بسبب الاستغاثة ، وحضر المذكورين يدي السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سفر إلى الشام بأهله فترل ببلاد الخليل ، ثم انتزع إلى بلاد الشرق وأقام بسنجار وماردين ومعاملتهما يتكلم ويعظ الناس إلى أن مات رحمه الله كما سند كره .

وفي ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر وقد أكرمه السلطان والأمراء . وفي جادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله بحيث زاد النيل بسببه أربع أصابع ، وتغير أيلماً . وفيه زادت دجلة ببغداد حتى غرقت ماحول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها ، وبقيت مثل السفينة في وسط البحر ، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم ، وتلف للناس مالا يعلمه إلا الله ، وودع أهل البلاد بعضهم بعضاً ، ولجأوا إلى الله تعالى وحملوا المصاحف على رؤسهم في شدة الشوق في أنفسهم

حقى القضاة والأعيان ، وكان وقتاً عجيباً ، ثم لطف الله بهم ففيض الماء وتناقص ، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائرة وغير الجائرة ، وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وستمائة بيت ، وإلى عشرة سنين لا يرجع ما غرق .

وفي أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خاقانه سر يافوس التي أنشأها وساق إليها خليجاً وبني عندها محلة ، وحضر السلطان بها ومعه القضاة والأعيان والأمرأء وغيرهم ، ووليها محمد الدين الأقصري ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وسمع على قاضي القضاة ابن جماعة عشرين حديثاً بقراءة ولده عز الدين بمحضرة الدولة منهم أرغون النائب ، وشيخ الشيوخ القونوي وغيرهم ، وخلع على القاري عز الدين وأثنوا عليه ثناء زائداً ، وأجلس مكرماً ، وخلع أيضاً على ولده ابن جماعة وعلى المالكي وشيخ الشيوخ ، وعلى محمد الدين الأقصري شيخ الخاقانه المذكورة وغيرهم . وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية في الحديث الشيخ زين الدين بن الكتاني الدمشقي ، بإشارة نائب الكرك وأرغون ، وحضر عنده الناس ، وكان قتيها جيداً ، وأما الحديث فليس من فنه ولا من شغله .

وفي أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين بن عبد الله بن المرحل من مصر على تدريس الشامية الإيرانية ، وكانت بيد ابن الزملكاني فانتقل إلى قضاء حلب ، فدرس بها في خامس شعبان وحضر القاضي الشافعي وجماعة . وفي سلخ رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده ، وفي محبته الشيخ جمال الدين الدمياطي وجماعة من الطلبة بسبب سماع الحديث ، فقرأ بنفسه وقرأ الناس له واعتنوا بأمره ، وسمعنهم وقرأته شيئاً كثيراً ، ففهم الله بما قرؤوا وبما سمعوا ، ونفع بهم . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ فحمس الدين بن الأصبهاني ، بالرواحية بعد ذهاب ابن الزملكاني إلى حلب ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحث في العام إذا خص ، وفي الاستثناء بعد النفي ووقع انتشار وطال الكلام في ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهر الحاضرين ، وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد ، فلما ثبت دقت البشار وصى الخطيب العيد من الفد بالجامع ، ولم يخرج الناس إلى المصلى ، وتفضب الناس على المؤذنين وسجن بعضهم . وخرج الركب في عاشره وأميره صلاح الدين ابن أبيك الطويل ، وفي الركب صلاح الدين بن أوحده ، والمنكورسي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر . وفي سابع عشره درس بالرباط الناصري بقاسيون حسام الدين القزويني الذي كان قاضي طرابلس ، قايلضه بها جمال الدين بن الشريشني إلى تدريس المسروورية ، وكان قد جاء توقيعه بالمندراوية والظاهرية فوقف في طريقه قاضي القضاة جمال الدين ونائباه ابن جملة

والفخر المصري ، وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازي مجلسا ، ومعه توقيع بالشامية البرانية ، فمطل الامر عليهما لانهما لم يظهرا استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان المنراوية والشامية لابن المرحل كما ذكرنا ، وعظم القزويني بالمسروورية قضايس منها لابن الشريشني إلى الرباط الناصري ، فدرس به في هذا اليوم وحضر عنده القاضي جلال الدين ، ودرس بعده ابن الشريشني بالمسروورية وحضر عنده الناس أيضا . وفيه عادت التجربة اليمنية وقد قد منهم خلق كثير من الفطن وغيرهم ، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين ببيرس لسوء سيرته فيهم .

ومن توفي فيها من الأعيان **الشيخ إبراهيم الصباح**

وهو إبراهيم بن منير البعلبكي ، كان مشهوراً بالصلاح مقبلاً بالمأذنة الشرقية ، توفي ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالبواب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤس الأصابع ، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية .

إبراهيم الموله

الذي يقال له القميني لاقامته بالقمامين خارج باب شرقي ، وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استنابه الشيخ تقي الدين بن تيمية وضربه على ترك الصلوات ومحالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة . توفي كهلا في هذا الشهر .

الشيخ عفيف الدين

محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي ، إمام مسجد الرأس ، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي ، سمعنا عليه شيئا منها ، توفي في صفر .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك

عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري ، الذي كان مقبلاً^(١) أبي بكر من جامع دمشق ، كان من الصالحين الكبار مباركا خيراً ، عليه سكينه ووقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم جيد وعقل جيد ، وكان من الملازمين لمجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها يعجز عنها كبار الفقهاء . توفي يوم الاثنين سادس عشر من صفر ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة محمودة .

الشيخ الصالح الكبير المعمر

الرجل الصالح تقي الدين ابن الصائغ المقرئ المصري ، الشافعي ، آخر من بقي من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي ، توفي في صفر ودفن بالقراة وكانت جنازته حافلة ، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد

(١) يياض بالأصل ولعله « بمحراب » أو « بمخلوة » أو نحو هذا .

وهو من طال عمره وحسن عمله الشيخ الامام صدر الدين

أبو زكريا يحيى بن علي بن تمام بن موسى الانصارى السبكي الشافعي ، سمع الحديث وبرع في الأصول والفقه ، ودرس بالسيفية وبارها بعده ابن أخيه تقي الدين السبكي الذي تولى قضاء الشام فيما بعد .
الشهاب محمود هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعة الانشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله في صناعة الانشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغة ، فهو شهاب الدين أبو الشنا محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة بحلب ، وسمع الحديث وعنى بالغة والأدب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا في علم الانشاء نظما ونثرا ، وله في ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة ، وقد مكث في ديوان الانشاء نحو من خمسين سنة ، ثم ولي كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشرين شعبان في منزله قرب باب النطفانيين وهي دار القاضي الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بتربة له أنشأها بالقرب من الينغورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

شيخنا عفيف الدين الأمدى

عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدى ثم الدمشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية ، ولد في حدود الأربعين وستمائة ، وسمع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسف بن خليل ومحمد الدين بن تيمية ، وكان شيخا حسنا بهي المنظر سهل السمع يحب الرواية ولديه فضيلة ، توفي ليلة الاثنين ثاني عشرين رمضان ، ودفن بقاسيون ، وهو والد نضر الدين ناظر الجيوش والجامع . وقبله بيوم توفي الصدر معين الدين يوسف بن زغيب الرحبي أحد كبار التجار الأمناء . وفي رمضان توفي ... البدر العوام

وهو محمد بن علي البابا الحلبي ، وكان فرداً في العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار في بحر البن كان معهم ففرق بهم المركب ، فاجأوا إلى صخرة في البحر ، وكاتوا ثلاثة عشر ، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالا من قرار البحر بعد أن أفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحج عشر مرات ، وطش ثمانا وثمانين سنة رحمه الله ، وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيراً . وفيه توفي .

الشهاب أحمد بن عثمان الاشاطي

الأديب في الأزجال والموشحات والموايا والدوبيت والبلايق ، وكان أستاذ أهل هذه الصناعة مات في عشر الستين . القاضي الامام العالم الزاهد

صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري الشافعي المعروف بخطيب

داريا ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستائة ، بقرية بسرا من عمل السواد ، وقدم مع والده قراً بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ محي الدين النوروى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ، وتولى خطابة داريا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن مصرى مدة ، وكان متزهداً لا يتنعم بحمام ولا كتان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده في البر ، وكان متواضعاً ، وهو الذى استسقى بالناس فى سنة تسع عشرة فسقوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه عشرة آباء ، ثم ولى خطابة العقبية فترك نيابة الحكم وقال هذه تكفى لى أن توفى ليلة الخميس ثامن ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة رحمه الله ، وتولى بعده الخطابة ولده شهاب الدين .

أحمد بن صبيح المؤذن

الرئيس بالعروس بجامع دمشق مع البرهان بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التغلبسى . ولام المقرئ المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتاً فى زمانه ، وأطيبهم نعمة ، ولد سنة ثنتين وخسين وستائة تقريباً ، وسمع الحديث فى سنة سبع وخسين ، ومن مع عليه ابن عبد الله المأم وغيره من المشايخ ، وحدث وكان رجلاً حسناً ، أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التغلبسى ، امرأة نحر الدين الكرخى ، وباشتر مشاركة الجامع وقراءة المصحف ، وأخذ عند نائب السلطنة مدة ، وتوفى فى ذى الحجة بالطواويس ، وصلى عليه بجامع العقبية ، ودفن بمقابر باب الفراديس .

خطاب باني خان خطاب

الذى بين الكسوة وغباغب . الأمير الكبير عز الدين خطاب بن محمود بن رتقش العراقى ، كان شيخاً كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأموال ، وله حمام بمكر السباق ، وقد عمر الخانات المشهورة به بعد موته إلى ناحية الكنتف المصرى ، مما يلى غباغب ، وهو برج الصفر ، وقد حصل لكثير من المسافرين به رفق ، توفى ليلة سبع عشرة ربيع الآخر ودفن بتربته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . وفى ذى القعدة منها توفى رجل آخر اسمه :

ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين

أحمد ابن أخت ابن خطاب الرومى السيواسى ، له خاتناه ببلده بسيواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدة ، توفى وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالكرك ، ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمؤتة رحمه الله . وفى العشر الأخير من ذى القعدة توفى

بدر الدين أبو عبد الله

محمد بن كمال الدين أحمد بن أبى الفتح بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتبان

الشيباني المعروف بابن العطار ، ولد سنة سبعين [وستمائة] ، وسمع الحديث الكثير ، وكتب الخط المنسوب واشتغل بالتنبيه ونظم الشعر ، وولى كتابة الدرج ، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف ، وكانت له حظوة في أيام الأفرم ، ثم حصل له خول قليل ، وكان مقرفاً منعماً له ثروة ورياسة وتواضع وحسن سيرة ، ودفن بسفح قاسيون بترابهم رحمه الله .

القاضي محيي الدين

أبو محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثي ، قاضي الزبداني مدة طويلة ، ثم ولى قضاء الكرك وبها مات في العشرين من ذي الحجة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقد سمع الحديث واشتغل ، وكان حسن الأخلاق متواضعاً ، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني مدرس الظاهرية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة

استهانت والحكام المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب سر دمشق شهاب الدين محمود فانه توفي ، وولى المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين . وفيها تحول التجار في قماش النساء الخيط من الدهشة التي للجامع إلى دهشة سوق علي . وفي يوم الأربعاء فامن الحرم بأشر مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهيل بعد وفاة العفيف إسحاق وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف ، واختار دمشق ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي أولها فتح الحمام الذي بناه الأمير سيف الدين جوبان بجوار داره بالقرب من دار الجالقي ، وله بابان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير ، وحصل به نفع . وفي يوم الاثنين ثاني صفر قدم صاحب غبريال من مصر على البريد متولياً نظر الدواوين بدمشق على عادته ، وانفصل عنها الكريم الصغير ، وفرح الناس به . وفي يوم الثلاثاء حادى عشرين ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الميثي بسوق الخليل على كفره واستهانتته واستهتاره بآيات الله ، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلدكان ، والشمس محمد الباجري ، وابن المعمار البغدادي ، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الاسلام ، والاستهانة بالنبوة والقرآن . قال وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة . قال : وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التنبيه ، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن ، وعنده نباهة وفهم ، وكان منزلاً في المدارس والترب ، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه ، وكان قتله عزراً للاسلام وذلاً للزنادقة وأهل البدع .

قلت : وقد شهدت قتله ، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ ، وقد أنام وقرعه

على ما كان يصدر منه قبل قتله ، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج الكلاب من مدينة دمشق فجعلوا في الخندق من جهة باب الصغير من ناحية باب شرقي ، المذكور على حدة والاثاث على حدة ، وألزم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشددوا في أمرهم أياماً . وفي ربيع الأول ولي الشيخ علاء الدين المقدسي معيد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها . وفي جمادى الآخرة عزل قرطاي عن ولاية طرابلس ووليا طينال وأقر قرطاي على خبز القرمانى بدمشق بحكم سجن القرمانى بقلعة دمشق .

قال البرزالي : وفي يوم الاثنين عند العصر سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشدا الاوقاف وابن الخطيرى أحد الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معه مراكو باليركبة ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصالحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخلت له قاعة وأجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفايته . قال البرزالي : وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الفتيا . وهذه الواقعة سببها فتيا وجدت بخطه في السفر وإعمال المطى إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين . قال : وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم ، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيه ، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم ، وعزز جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أطلقوا ، سوى خمس الدين محمد بن قيم الجوزية فانه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية . قال وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أخرجت عين ماء إلى مكة شرفها الله وانتفع الناس بها انتفاعاً عظيماً ، وهذه العين تعرف قديماً بعين باذان ، أجزاها جوبان من بلاد بعيده حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم ، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم وضعيفهم وشريفهم ، كلهم فيها سواء ، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً والله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا في حفرها ونجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الآخر من جمادى الأولى ، واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التي بمكة قد يبست وقل ماؤها ، وقل ماء زمزم أيضاً ، فلو أن الله تعالى لطف بالناس بإجراء هذه القناة لنزع عن مكة أهلها ، أو هلك كثير مما يقيم بها . وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا . وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة بإخراج الزيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون

لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجوانية شهاب الدين أحمد بن جهبل ، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر إمام مسجد ابن هشام توفي ، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضان . وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين جوبان ، وحج عامئذ القاضي شمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الحنابلة ، وبدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ومعه تحف وهدايا وأمور تتعلق بالأمر سيف الدين أرغون نائب مصر ، فانه حج في هذه السنة ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان ، وحج نغر الدين ابن شيخ السلامة ، وصدر الدين المالكي ، ونغر الدين البعلبكي وغيره .

وفي يوم الاربعاء عاشر القعدة درس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي ، بدلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين ، وكان ابن الخطيري الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة . ثم يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وقاصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة ، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال : وإنما الحز جعله زيارة قبر النبي (ص) ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالاجماع مقطوعا [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الاسلام ، فان جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، [وسيلم الدين ظلموا أي منقلب ينقلبون] .

وفي يوم الأحد رابع القعدة فتحت المدرسة الحمصية تجاه الشامية الجوانية ، ودرس بها محيي الدين الطرابلسي قاضي هكار ، وتلقب بأبي رباح ، وحضر عنده القاضي الشافعي . وفي ذى القعدة سافر القاضي جمال الدين الزرعي من الاتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحبي الدين بن جهبل . وفي ثاني عشر ذى الحجة درس بالنجبية ابن قاضي الزبداني عوضاً عن الدمشقي نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة .

ومن توفي فيها من الأعيان ابن المطهر الشيعي جمال الدين

أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي العراقي الشيعي ، شيخ الروافض بتلك النواحي ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال تزيد على مائة وعشرين مجلدا ، وعدتها خمسة وخمسون مصنفا ، في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض وغير ذلك من كبار وصغار ، وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب في أصول الفقه ، وليس بذلك الفائق ، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها فانها مشتملة على ثقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة ، خبط فيه في المعقول والمنقول ، ولم يدرك كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أنى فيها بما يهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل . ولد ابن المطهر الذي لم تطهر خلأته ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله بيقظاد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطوسي ، وعلى غيره ، ولما ترفض الملك خر بسدا حظي عنده ابن المطهر وساد جدا وأقطعه بلادا كثيرة .

الشمس الكاتب

محمد بن أسد الحراني المعروف بالنجار ، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية ، توفي في ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

العز حسن بن أحمد بن زفر

الأربلي ثم الدهشقي ، كان يعرف طرفا صالحا من النحو والحديث والتاريخ ، وكان مقبلا بدعوة حمد صوفيا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البرزالي في نقله وحسن معرفته ، مات بالمارستان الصغير في جمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين سنة .

الشيخ الامام امين الدين سالم بن أبي الدر

عبد الرحمن بن عبد الله الدهشقي الشافعي مدرس الشامية الجوانية ، أخذها من ابن الوكيل قهرآ وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدث الكرمي به ، كان مولده في سنة خمس وأربعين وستمائة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النووي وغيره ، وأعاد وأثنى ودرس ، وكان خبيرا بالحكايات ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفي في شعبان ودفن بباب الصغير .

الشيخ حماد

وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القطان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، مواظبا على إقامة مجامع التوبة بالعقبة بالزاوية الغربية الشمالية ، يقرأ القرآن ويكثر الصيام ويتردد الناس

إلى زيارته ، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا القدم ، توفي ليلة الاثنين عشرين شعبان ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

الشيخ قطب الدين الديونيني

وهو الشيخ الامام بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي الديونيني الحنبلي ، ولد سنة أربعين وستمائة بدار الفضل بدمشق ، وسمع الكثير وأحضره والده المشايخ واستجازله وبحث واختصر مرآة الزمان للسيط ، وذيل عليها ذيلًا حسنًا مرتبًا أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بانصاف وستر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء فائقة رائقة ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متقللاً في ملبسه ومأكله ، توفي ليلة الخميس ثالث عشر شوال ودفن بباب سطحاً عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمه الله . قاضي القضاة ابن مسلم

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالح الحنبلي ، ولد سنة ستين وستمائة ، ومات أبوه . وكان من الصالحين - سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيمًا فقيرًا لا مال له ، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للإفادة والاشتغال ، فطار ذكره ، فلما مات النقي سليمان سنة خمس عشرة وولى قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة ، وخرجت له تخاريج كثيرة ، فلما كانت هذه السنة خرج للحج فرض في الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة فزار قبر رسول الله (س) ، وصلى في مسجده وكان بالاشواق إلى ذلك ، وكان قد تمنى ذلك لما مات ابن نجيب ، فمات في عشية ذلك اليوم يوم الثلاثاء وصلى عليه في مسجد رسول الله (س) ، بالروضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين ابن نجيب ، الذي كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو وهو قبل هذه الحجة شرقي قبر عقيل رحمه الله ، وولى بعده القضاء عز الدين بن النقي سليمان .

القاضي نجم الدين

أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة واشتغل على تاج الدين الفزاري وحصل وبرع وولى الاعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالنجيبية ، وناب في الحكم عن ابن صصرى مدة ، توفي بالنجيبية المذكورة يوم الأحد ثامن عشرين ذي القعدة ، وصلى عليه بالمصر بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

ابن قاضي شهبه

الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدي

الشهبي الشافعي ، ولد بحوران في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، ونخرج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو واللغة ، وكان بارعا في الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها بمجاه محراب الحنابلة ، وكان يمتكف جميع شهر رمضان ، ولم يتزوج قط ، وكان حسن الهيئة والشيبة ، حسن العيش والمابس متقللا من الدنيا ، له معلوم يقوم بكفايته من إعادات وقاهات وقصدير بالجامع ، ولم يدرس قط ولا أفتى ، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الافتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد سمع الكثير : سمع المسند للإمام أحمد وغير ذلك ، توفي بالمدرسة المجاهدية - وبها كانت إقامته - ليلة الثلاثاء حادي عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وفيها كانت وفاة :

الشرف يعقوب بن فارس الجعبري

التاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظ القرآن ويؤم بمسجد النصب ، ويصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية والقاضي نجم الدين الدمشقي ، وقد حصل أموالا وأملاكا وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المفضل المحصل الزكي بدر الدين محمد ، خال الولد عمر إن شاء الله . وفيها توفي :

الحلاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي

كانت له أموال كثيرة ودائرة ومكارد وبر وصدقات ، ولكنه انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف فخره الله بالوفاة رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة

استملت بيوم الجمعة والحكام الخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنبلي كما تقدم ، وفي المشر من المحرم دخل مصر أرغون نائب مصر فسك في حادي عشر وحبس ، ثم أطلق أياما وبمنه السلطان إلى نائب حلب فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة ثاني عشرين المحرم ، فأنزله نائب السلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ثم سافر إلى حلب ، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الجاي الدوادار إلى مصر ، وصحبته نائب حلب علاء الدين الطنبغا معز ولا عنها إلى حجوية الحجاب بمصر . وفي يوم الجمعة التاسع عشر ربيع الأول قرىء تقليد قاضي الحنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حمزة المقدسي ، عوضا عن ابن مسلم بمقصورة الخطابة بمحضرة القضاة والأعيان ، وحكم وقرىء قبل ذلك بالصالحية . وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بمصر قضاء القضاة بطرابلس ، ونقل الذي بها إلى حمص نائبا عن قاضي دمشق ، وهو ناصر بن محمود الزرعي .

وفي سادس عشر ربيع الآخر عاد تنكز من مصر إلى الشام ، وقد حصل له تكريم من السلطان .
وفي ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وفي الله شرها . وفي يوم الخميس مستهل جمادى الاولى
بأشر نيابة الحنبلي القاضي برهان الدين الزرعي ، وحضر عنده جماعة من القضاة . وفي يوم الجمعة
منتصف جمادى الآخرة جاء البريد بطلب القاضي القزويني الشافعي إلى مصر ، فدخلها في مستهل
رجب ، فخلع عليه بقضاء قضاء مصر مع تدريس الناصرية والصالحية ودار الحديث الكاملية ،
عوضاً عن بدر الدين بن جماعة لأجل كبر سنه ، وضعف نفسه ، وضرر عينيه ، فحبروا خاطره
فرتب له ألف درهم وعشرة أراذب قح في الشهر ، مع تدريس زاوية الشافعي ، وأرسل ولده بدر
الدين إلى دمشق خطيباً بالأمرى ، وعلى تدريس الشامية البرانية ، على قاعدة والده جلال الدين
القزويني في ذلك ، فخلع عليه في أواخر رجب ثامن عشر من و حضر عنده الأعيان .

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، على بنت السلطان ،
وكان وقتاً مشهوداً ، خلع على الأمراء والأكابر . وفي صبيحة هذه الليلة عقد عقد الأمير شهاب
الدين أحمد بن الأمير بكنتمر الساقى ، على بنت تنكز نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أبيها تنكز
والعاقد ابن الحريرى . وخلع عليه وأدخلت في ذى الحجة من هذه السنة في كلفة كثيرة .

وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالاسكندرية في سابع رجب ، وذلك أن رجلاً من المسلمين
قد تخاصم هو ورجل من الفرنج ، على باب البحر ، فضرب أحدهما الآخر بمنل ، فرفع الأمر إلى
الوالى فأمر بفتح باب البلد بعد العصر ، فقال له الناس : إن لنا أموالاً وعبيداً ظاهر البلد ، وقد
أغلقت الباب قبل وقته . ففتح فخرج الناس في زحمة عظيمة ، فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمام
وثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالى فأحرقوها وثلاث
دور لبعض الظلمة ، وجرت أحوال صعبة ، ونهبت أموال ، وكسرت العامة باب سجن الوالى فخرج
منه من فيه ، فباغ نائب السلطنة فاعتقد النائب أنه السجن الذى فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف
في البلد وتخريبه ، ثم إن الخبر باغ السلطان فأرسل الوزير طيغاً الجالى سرياً فضرب وصادر ،
وضرب القاضي ونائبه وعزلهم ، وأهان خلقاً من الأكابر وصادرهم بأموال كثيرة جداً ، وعزل
المتولى ثم أعيد ، ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الأحنافى الشافعي الذى تولى دمشق فيما
بعد ، وعزل قضاء الاسكندرية المسالكى ونائبه ، ووضعت السلاسل في أعناقهم وأهينوا ، وضرب
ابن السنى غير مرة .

وفي يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضى قضاء حاب ابن الزملكاني على البريد
فأقام بدمشق أربعة أيام ثم سار إلى مصر ليتولى قضاء قضاء الشام بحضوره السلطان ، فاتفق موته

قبل وصوله إلى القاهرة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل إنهم كانوا في شك مه مريب) . وفي يوم الجمعة سادس عشر من شعبان باشر صدر الدين المالكي مشيخة الشيوخ مضافا إلى قضاء قضاء المالكية ، وحضر الناس عنده ، وقرئ تقليده بذلك بعد انفصال الزرعى عنها إلى مصر . وفي نصف رمضان وصل قاضى الحنفية بدمشق لقضاء القضاء عماد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى ، الذى كان نائبا لقاضى القضاء صدر الدين على البصروى ، خلفه بعده بالمنصب ، وقرئ تقليده بالجامع ، وخلع عليه وباشر الحكم ، واستتاب القاضى عماد الدين ابن العز ، ودرس بالنورية مع القضاء ، وشكرت سيرته .

وفي رمضان قدم جماعة من الأسارى مع تجار الفرنج فأنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستنفكوا من ديوان الاسرى بنحو من ستين ألفا ، وكثرت الأدعية لمن كان السبب فى ذلك . وفى ثامن شوال خرج الركب الشامى إلى الحجاز وأميره سيف الدين بالبان المحمدى ، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد قاضى حران . وفى شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضى القضاء ابن عز الدين بن الصائغ والخامسة معه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وصمم ، وألح عليه الدولة فلم يقبل وكثير بكاؤه وتغير مزاجه واغتتاظ ، فلما أصر على ذلك راجع تنكر السلطان فى ذلك ، فلما كان شهر ذى القعدة اشتهر تولية علاء الدين على بن إسماعيل القونوى قضاء الشام ، فسار إليها من مصر وزار القدس ودخل دمشق يوم الاثنين سابع عشرين ذى القعدة ، فاجتمع بنائب السلطنة ولبس الخلعة وركب مع الحجاب والدولة إلى العادلية ، فقرأ تقليده بها وحكم بها على العادة ، وفرح الناس به وبحسن سمته وطيب لفظه وملاحه شمائله ونودده ، وولى بعده مشيخة الشيوخ بمصر محمد الدين الأقصرائى الصوفى شيخ سرياقوس .

وفى يوم السبت ثالث عشرين ذى القعدة لبس القاضى محبى الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر عوضا عن ابن الشهاب محمود ، واستمر ولده شرف الدين فى كتابة الدست . وفى هذه السنة تولى قضاء حلب عوضا عن ابن الزملكاني القاضى نحر الدين البازرى . وفى العشر الأول من ذى الحجة كمل ترخيم الجامع الاموى أعفى حائطه الشمالى وجاء تنكر حتى نظر إليه فأعجبه ذلك ، وشكر ناظره تقى الدين بن مراجل . وفى يوم الاضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبيس فهرب أهلها منها وتطلت الصلاة والاضحى فيها ، ولم ير مثله من مدة سنين متطاولة ، وخرب شيئا كثيرا من حواضرها وبساتينها فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير ابو يحيى

زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبى حفص الهنتاني الجياني ^(١) المغربى ، أمير بلاد المغرب .

(١) وفى شذرات الذهب « الهنتاني » .

ولد بتونس قبل سنة خمسين وسبعمائة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه ، لأنه من بيت الملك والامرة والوزارة . ثم بايعه أهل تونس على الملك في سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وكان شجاعاً مقداماً ، وهو أول من أبطل ذكر ابن التومرت من الخطبة ، مع أن جده أبا حفص الهنتاني كان من أخص أصحاب ابن التومرت . توفي في المحرم من هذه السنة بمدينة الاسكندرية رحمه الله .

الشيخ الصالح ضياء الدين

ضياء الدين أبو الفدا إسماعيل بن رضى الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي ، المعروف بابن الحوى ، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام والبر والصدقة والاحسان إلى الفقراء والأغنياء . ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وسمع الحديث الكثير وخرج له البرزالي مشيخة معتمدا عليها ، وكان من صدور أهل دمشق ، توفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ، وصلى عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحج وجاور وأقام بالقدس مدة . مات وله ثنتان وسبعون سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنه حين ولد له فتح المصحف يتغافل فاذا قوله [الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق] فسماه إسماعيل . ثم ولد له آخر فسماه إسحاق ، وهذا من الاتفاق الحسن رحمه الله تعالى .

الشيخ علي المحارفي

علي بن أحمد بن هوس الهلالي ، أصل جده من قرية إيل البسوق ، وأقام والده بالقدس ، وحج هو مرة وجاور بمكة سنة ثم حج ، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً ، ويعرف بالمحارفي ، لأنه كان يحرف الازقة ويصلح الرصفان لله تعالى ، وكان يكثر التهليل والذكر جهره ، وكان عليه هبة ووقار ، ويتكلم كلاماً فيه تخويف وتحذير من النار ، وعواقب الردى ، وكان ملازماً لمجالس ابن تيمية ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الاول ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله .

الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أحد أكابر الامراء وأبناء الملوك ، كان من محاسن البلد ذكاء وفطنة وحسن عشرة ولطافة كلام ، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحذاقة فهمه ، وكان رئيساً من أجواد الناس ، توفي عشية الاربعاء عشرين جمادى الاولى وصلى عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت النسر ، ثم أرادوا دفنه عند جده لأنه الملك الكامل فلم يتيسر ذلك فدفن بتربة أم الصالح سامحه الله ، وكان له سماع كثير معتمداً عليه منه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً ،

وقام ولده الأمير صلاح الدين مكانه في إمرة الطبلخانة ، وجعل أخوه في عشرته ولبسا الخلع السلطانية بذلك .

الشيخ الإمام نجم الدين

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي الحزومي القمولى ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح الوسيط وشرح الحاجبية في مجلدين ، ودرس وحكم بمصر ، وكان محتسبا بها أيضاً ، وكان مشكور السيرة فيها ، وقد تولى بعده الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحسبة ناصر الدين بن قار السبقوق ، توفى في رجب وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالقرافة رحمه الله .

الشيخ الصالح أبو القاسم

عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي ، أحد مشاهير الصالحين بمصر ، توفى بالروضة وحمل إلى شاطئ النيل ، وصلى عليه وحمل على الرأس والأصابع ، ودفن عند ابن أبي حمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممن يقصد إلى الزيارة رحمه الله .

القاضي عز الدين

عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الخضر المكارى الشافعى ، قاضى المحلة ، كان من خيار القضاة ، وله تصنيف على حديث الجامع في رمضان ، يقال إنه استنبط فيه ألف حكم . توفى في رجب ، وقد كان حصل كتباً جيدة منها التهذيب لشيخنا المزي .

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني

شيخ الشافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريساً وإفتاءً ومناظرة ، ويقال في نسبه السماكى نسبة إلى أبي دجانة سمالك بن خرشة والله أعلم . ولد ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست وستين وستمائة ، وسمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزارى ، وفى الأصول على القاضى بهاء الدين بن الزكى ، وفى النحو على بدر الدين بن ملك وغيرهم ، وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوثاق فى تحصيل العلم الذى أسهره ومنعه الرقاد وعبارته التى هى أشهى من كل شئ معتاد ، وخطه الذى هو أنضر من أزاهير الوهاد ، وقد درس بعدة مدارس بدمشق ، وبأشر عدة جهات كبار ، كنظر الخزانة ونظر المارستان النورى وديوان الملك السعيد ، ووكالة بيت المال . وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة ، ومناظرات سعيدة . وما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للنووى ، ومجلد فى الرد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية فى مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه فى المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن نظمه ، وقد

درس بالشامية البرانية والعنراوية والظاهرية الجوانية والرواحية والمسروورية ، فكان يعطى كل واحدة منهم حقها بحيث كان يكاد يفسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنضر وأبهر وأحلى وأنصح وأنصح . ثم لما انتقل إلى قضاء حلب وما معه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها ، وأوسع بالفضيلة جميع أهلها ، وصمدوا من العلوم ما لم يسمعوها ولا آباؤهم . ثم طلب إلى الديار المصرية ليولى الشامية دار السنة النبوية فمأجلته المنية قبل وصوله إليها ، فرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بمحراق الحمام فقبضه هاذم الذات ، وحال بينه وبين سائر الشهوات والارادات ، والاعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متولياً أن يؤذى شيخ الإسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمه ومراده ، فتوفى في سحر يوم الاربعاء سادس عشر شهر رمضان ، مدينة بلبس ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة ليلة الخميس جوارقة الشافعي فعمدهما الله برحمته .

الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع الأموي

الحاج علي بن فرج بن أبي الفضل الكتاني ، كان أبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسن الصوت جهوره ، وفيه تودد وخدم وكرم ، وحج غير مرة وسمع من أبي عمر وغيره ، توفى ليلة الأربعاء ثالث القعدة وصلى عليه غدوة ، ودفن بباب الصغير . وفي ذى القعدة توفى الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيحي التونسي وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

في ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما سنأني ترجمة وفاته في الوفيات إن شاء الله تعالى . استهل هذه السنة وحكام البلاد المذكورين في التي قبلها سوى نائب مصر وقاضى حلب . وفي يوم الأربعاء ثاني المحرم درس بمحلة صاحب حمص الشيخ الحافظ صلاح الدين العلائي ، نزل له عنها شيخنا الحافظ المزي ، وحضر عنده الفقهاء والقضاة والاعيان ، وذكر درساً حسناً مفيداً . وفي يوم الجمعة رابع المحرم حضر قاضى القضاة علاء الدين القونوي مشيخة الشيوخ بالمسماطية عوضاً عن القاضى المالكي شرف الدين ، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة . وفي يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسروورية تقي الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن جمال الدين بن الشريشي بحكم انتقاله إلى قضاء حمص ، وحضر الناس عنده وترحموا على والده .

وفي يوم الأحد خامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرناش ابن جوبان ، قاصدا إلى مصر ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيه ، وهو شاب حسن الصورة تام الشكل مليح الوجه . ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه وأعطاه مقدمة ألف ، وفرق أمحابه على الأمراء وأكرموهم إكراما زائدا ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان قد قتل أخاه جواجارمشتق في شوال من السنة الماضية ، فهم والده جوبان بمحاربة السلطان أبي سعيد فلم يتمكن من ذلك ، وكان جوبان إذ ذاك مدبر الممالك ، فخاف تمرناش هذا عند ذلك من السلطان ففر هاربا بدمه إلى السلطان الناصر بمصر .

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البرورين والجوزية ، وهي شرقيها ، وقد كان سوق البرورية اليوم يسمى سوق القمع ، فاشترى هذه الدار وعمرها دارا هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها ، ومماها دار الذهب ، وهدم حمام سويد تلقاها وجعلها دار قرآن وحديث في غاية الحسن أيضا ، ووقف عليها أماكن ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه ، واجتاز برجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمام به ، وبناء دار حديث أيضا به ، وخانقاه كما يأتي بيانه . وفي آخر ربيع الأول وصلت القناة إلى القدس التي أمر بعمارها وتجيدها سيف الدين تنكز قطلبك ، فقام بعمارها مع ولاية تلك النواحي ، وفرح المسلمون بها ودخلت حتى إلى شط المسجد الأقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهي مرخة ما بين الصخرة والأقصى ، وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية . وفي هذه المدة عمر سقف شرافات المسجد الحرام وإيوانه ، وعمرت بمكة طهارة مما يلي باب بني شيبه .

قال البرزالي : وفي هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذي بسوق باب توما ، وله بابان . وفي ربيع الآخر نقض الترخيم الذي بمحاطط جامع دمشق القبلي من جهة الغرب مما يلي باب الزيادة ، فوجدوا المحاطط متجافيا خفيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه العصاة وأرباب الخبرة ، فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين ربيع الآخر وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه في عمارته ، فجاء المرسوم بالأذن بذلك ، فشرع في نقضه يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى ، وشرعوا في عمارته يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محراب فيما بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاهي محراب الصحابة ، ثم جدوا ولازموا في عمارته ، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل ، حتى كملت عمارة الجدار وأعييت طاقاته وسقوفه في العشرين من رجب وذلك بهمة تقي الدين بن مراحل

وهذا من العجب فانه تقض الجدار وما يسامته من السقف ، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيما يقارب هذه المدة جزماً ، وساعدهم على سرعة إعادة حجارة وجودها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبود صومعة كما في الغربية والشرقية القبلتين منه فأبيدت الشماليتين قديماً ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هذه المأذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعاً . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراحيل لم ينقص أحداً من أرباب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العماره .

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالفرايين واتصل بالزماحين ، واحترقت القيسارية والمسجد الذي هناك ، وهلك للناس شيء كثير من الفرا والجوخ والأقشة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلى على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق . وفي هذا اليوم قدم البريد يطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي إلى مصر ليلي القضاء بها بعد ابن الحريري ، فخرج مسافراً إليها ، ودخل مصر في خامس عشرين جمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولاه القضاء وأكرمه وخلع عليه وأعطاه بغلة بزنازي ، وحكم بالمدرسة الصالحية بحضرة القضاة والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريري .

وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عند الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم ، ومنع من الكتب والمطالعة ، وحملت كتبه في مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالمعادية الكبيرة . قال البرزالي : وكانت نحو ستين مجلداً ، وأربع عشرة ربطة كراريس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوها بينهم ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي ابن الاخنائي المالكى في مسألة الزيارة فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجمله وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم ، فطلع الاخنائي إلى السلطان وشكاه ، فرسم السلطان عند ذلك بإخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا . وفي أواخره رسم لعلاء الدين بن القلانسي في الدست ، مكان أخيه جمال الدين توقيراً لخطئه عن المباشرة ، وأن يكون معلومه على قضاء المساكم والوكالة ، وخلع عليهما بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكى والحنبلى بالصلاة في الحائط القبلى من الأموى ، فعين المحراب الجديد الذى بين الزيادة والمقصورة للامام الحنفي ، وعين محراب الصحابة للمالكى وعين ، محراب مقصورة الخضر الذى كان يصل فيه المالكى للحنبلى ، وعوض إمام محراب الصحابة بالكلاسة ، وكان قبل ذلك في حال العماره قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة

المعروفة بهم ، ومحارب الخنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكانا بين الأعمدة ، فنقلت تلك المحاريب ، وعوضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير تمرتاش بن جويان الذي أتى هاربا إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه ، وحبسوا بقلعة مصر ، فلما كان ثاني شوال أظهر موته ، يقال إنه قتله السلطان وأرسل رأسه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خر بندا ملك التتار .

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره نغر الدين عثمان بن شمس الدين لؤلؤ الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الخنابلة عز الدين بن التقي سليمان . ومن حج الأمير حسام الدين الشبقدار ، والأمير قبجق والأمير حسام الدين بن النجيب وتقي الدين بن السلجوس وبدر الدين بن الصائغ وأبنا جهيل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البرزالي ، وشهاب الدين الطاهري . وقبل ذلك بيوم حكم القاضي المنغلوطي الذي كان حاكما بعلبك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وكان مشكور السيرة ، تألم أهل بعلبك لفقده ، فحكم بدمشق عوضا عن القونوي بسبب عزمه على الحج ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المنغلوطي يحكم أيضاً ، فصاروا ثلاث نواب : ابن جملة والفخر المصري والمنغلوطي . وسافر ابن الحشيشي في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي نغر الدين كاتب الماليك إلى حين رجوعه من الحجاز ، فلما وصل ولي حجابة ديوان الجيش ، واستمر هناك ، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامة بنظر الجيش بدمشق على عاداته .

وفي شوال خلع على أمين الملك بالديار المصرية وولي نظر الدواوين فباشره شهرا ويومين وعزل عنه .

وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه : وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الامام العالم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القنطرة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد ابن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن وتبركوا برويته وتقبيليه ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء فعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصروا على من يغسله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع

وامتلأ الجامع أيضاً وصحبه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والفوارة ، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند قد احتاطوا بها بحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه أولاً بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تهم ، ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرأس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلبثون إلا لشغلهم بالنظر إلى الجنازة ، وصار النعش على الرأس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي أخرجت منه الجنازة ، وباب الفرديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق الخيل وتضادف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنازة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلى عليه من أهل البساتين وأهل الفوعة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوانيتهم ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث حزنن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحن ويبكين عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهماً . وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون ، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ، ورناء جماعة بقصائد جمّة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بمران سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ شمس بن الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين

ابن عساكر والشيخ جمال الدين البغدادي ، النجيب بن المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان وابن أبي بكر اليهودي والكمال عبد الرحيم والفخر على وابن شيان والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وخاق كثير مع منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والاثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكياً كثير المحفوظ فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالفقهاء ، فيقال إنه كان أعرف بفقهاء المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن منه ، ورآه عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان جامل رأيته حافظاً له مميّزاً بين صحيحه وسقيم ، عارفاً برجاله متضلماً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، كل منها جملة وبيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كلها ولم تبيض إلى الآن . وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي الخواري ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين ، وكتب على تصنيف له هذه الابيات :

ماذا يقول الواصفون لهُ وصفاته جلت عن الحصر
هو حجةٌ لله قاهرةٌ هو بيننا أُعجوبةُ الدهر
هو آيةٌ في الخلق ظاهرةٌ أنوارها أربّت على الفجر

وهذا الثناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع ، وهذا الكتاب . ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوما لما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التأسف لفقد روحه الله تعالى . هذا لفظه في هذا الموضع من تاريخه . ثم ذكر الشيخ دلم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعظمتها ، وجنازة الامام أحمد ببغداد وشهرتها ، وقال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السيوفي يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول سمعت عبداً لله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبا يعقوب : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز ، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن

حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك ، وتعظيمهم له ، وأن الدولة كانت تحبه ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلدة دمشق ، وأهلها لا يمشرون أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنائزته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر ، ودويوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته ، وانتموا إليها . هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوساً من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، مما ينفر منها طباع أهل الأديان ، فضلاً عن أهل الاسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنسابة بها وتكلم به الحراس على الأبرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والامر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة من كل مكان أمكنهم المجيء منه ، حتى من الفوطة والمرج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً ، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة ، وكان نائب السطة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأماكن ، فحارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء صاحب شمس الدين غيري نائب القلعة فعزاء فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والاصحاب والاجباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصلحية ، فجلسوا عنده يبكون ويثنون * على مثل لبلى يقتل المرء نفسه * وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني رحمه الله ، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه عمامة بعباءة مفرزة وقد علاه الشيب أكثر مما ظرقناه . وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعاً في الحادية والثمانين ، فانهيناهما فيها إلى آخر اقتربت الساعة [إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر] فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبد الله بن الحب وعبد الله المزني الضرب - وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله ، منهم شيخنا الحافظ المزني وجماعة من كبار الصالحين الأخيار ، أهل العلم والإيمان ، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق العمادية على العمادية الكبيرة ، ثم عطفوا على ثلث الناطقانيين ، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد همت لتصلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، والخلائق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم - إلا الله تعالى ، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا

تكون جنازات أئمة السنة قتيبا كي الناس وضجوا عند سماع هذا الصارخ ووضع الشيخ في موضع الجنازة مما يلي المقصورة ، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصوحين رصا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكافة جوامع وبرى الأزقة والاسواق ، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان ، برغوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لا كل ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لا تحمد ولا توصف ، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصرف صلى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخليل ، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس في بكاء وتهليل في مخافته كل واحد بنفسه ، وفي ثناء وتأسف ، والنساء فوق الاسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين ويدعين ويقلن هذا العالم .

وبالجملة كان يوما مشهودا لم يعمد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بنى أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وتقريب ذلك أنه عبارة عن أمكنة الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمحدثات ، وما علت أحدًا من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته ، وهم ثلاثة أنفس : وم ابن جملة ، والصدر ، والقفجاري ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته فظننوا من الناس خوفا على أنفسهم ، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس ، وتردد شيخنا الامام العلامة برهان الدين الفزارى إلى قبره في الايام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية ، وكان برهان الدين الفزارى يأتي را كبا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ، ورثى بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدا . وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألت من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار ، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأقنى بها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ومن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجى ، وخطؤه أيضا مغفور له كما في صحيح البخارى : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، فهو مأجور . وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

وفي سادس عشرين ذى القعدة نقل تنكز حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفرديس إلى الدار التي أنشأها ، وتعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد ابن عيسى ، وولى مكانه مملوكه أبا جنى . وفي ثاني عشرين القعدة جاء إلى مدينة عجلون سبيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً ، وغرق سبعة نفر ، وهلك للناس شيء كثير من الأموال والغلات والامتعة والمواشي ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأحد فامن عشر ذى الحجة ألزم القاضي الشافعي الشيخ علاء الدين القنوي جماعة اليهود بسائر المراكز أن يرسلوا في عمامتهم العنابات ليميزوا بذلك عن عوام الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرروا من ذلك فأرخص لهم في تركها ، ومنهم من استمر بها . وفي يوم الثلاثاء عشرين ذى الحجة أفرج عن الشيخ الامام العالم العلامة أبي عبد الله قحس الدين ابن قيم الجوزية ، وكان معتقلاً بالقلعة . أيضاً ، من بعد اعتقال الشيخ تقي الدين بأيام من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجاولي والامير فرج بن قراسنقر ، ولاجين المنصوري ، وأحضروا بعد العيد بين يديه ، وخلع عليهم . وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جوبان نائب السلطان أبي سعيد على تلك البلاد ، و وفاة قرا سنقر المنصوري أيضاً كلاهما في ذى القعدة من هذه السنة ، وجوبان هذا هو الذي ساق القناة الواصلة إلى المسجد الحرام ، وقد غرم عليها أموالاً جزيلة كثيرة ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آثار حسنة ، وكان جيد الاسلام له همة عالية وقد دبر الممالك في أيام أبي سعيد مدة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أبا سعيد قتل ابنه خواجا رمشق في السنة الماضية فقتل ابنه الآخر عمر تاش هارباً إلى سلطان مصر ، فأوآه شهراً ثم ترددت الرسل بين الملكين في قتله فقتله صاحب مصر فيما قيل وأرسل برأسه إليه ، ثم توفي أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسرائر .

وأما قراسنقر المنصوري فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام ، وكان من جملة من قتل الاشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولى نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والافرم والزركاشي فأوأم ملك التتار خربندا وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوج قراسنقر بنت هولاء كما كانت وفاته بمراغة بلده التي كان حاكماً بها في هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

ومن توفي فيها من الاعيان شيخ الاسلام العلامة تقي الدين ابن تيمية كما تقدم ذكر ذلك في
الحوادث وسنفرده له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

الشريف العالم عز الدين

عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن الملوى الحسينى العراقى الاسكندرى
الشافعى ، سمع الكثير وحفظ الوجيز فى الفقه ، والايضاح فى النحو ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا
وباغ تسعين سنة وعقله وعلمه وذهنه ثابت متيقظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وتوفى يوم الجمعة
خامس المحرم ، ودفن بالاسكندرية بين المادين رحمه الله .

الشمس محمد بن عيسى التكريدى

كانت فيه شهامة وحزامة ، وكان يكون بين يدى الشيخ تقي الدين بن تيمية كالنصف لما يأمر به
وينهى عنه . وبرسله الأمراء وغيرهم فى الأمور المهمة ، وله معرفة وفهم بتبليغ رسالته على أتم الوجوه
توفى فى الخامس من صفر بالنبيات ودفن عند الجامع الكريمى رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو بكر الصالحى

أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمان الصالحى ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستائة ، وسمع
الكثير محبة الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزى ، وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين ، وكان معها
كالخادم لها ، وكان فقيراً ذا عيال يتناول من الزكاة والصدقات ما يقوم بأوده ، وأقام فى آخر عمره
بمحض ، وكان فصيحاً مفوهاً ، له تأليفات وتصانيف فى الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير
وصلاح ، وكان يتكلم على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعت به مرة محبة
شيخنا المزى حين قدم من محض فكان قوى العبارة فصيحاً متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوف
والكلام فى الأحوال والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية .
توفى بمحض فى الثانى والعشرين من صفر من هذه السنة ، وقد كان الشيخ يحض الناس على الاحسان
إليه ، وكان يعطيه ويرفده .

ابن الدواليبى البغدادى

الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المسند المعمر غيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن
ابن أبى الحسين بن عبد الغفار البغدادى الأرجى الحنبلى المعروف بابن الدواليبى ، شيخ دار الحديث
المستنصرية ، ولد فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ،
واشتغل بحفظ الخرق ، وكان فاضلاً فى النحو وغيره ، وله شرح حسن ، وكان رجلاً صالحاً جاوز التسعين
صار رحلة العراق ، وتوفى يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بمقبرة الامام أحمد بمقابر الشهداء .

رحمه الله ، وقد أجازني فيمن أجاز من مشايخ بغداد والله الحمد .

قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي ، ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ الهداية ، وكان قتيهاً جيداً ، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق ، ثم ولي القضاء بها ، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فاستمر بها مدة طويلة محفوظ العرض ، لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه في الحكم لومة لائم ، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فن ؟ وقال لبعض أصحابه : أنجب الشيخ تقي الدين ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحبت شيئاً مليحاً . توفي رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ، وكان قد عين لمنصبه القاضي برهان الدين بن عبد الحق ففغنت وصيته بذلك ، وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر فباشر الحكم بعده وجميع جهاته . الشيخ الامام العالم المقرئ

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام تقي الدين محمد بن جبارة بن عبد الولي بن جبارة المقدسي المرداوي الحنبلي ، شارح الشاطبية ، ولد سنة تسع وأربعين وستائة ، وسمع الكثير وعنى بفن القراءات فبرز فيه ، وانتفع الناس به ، وقد أقام بمصر مدة واشتغل بها على الفزاري في أصول الفقه ، وتوفي بالقدس رابع رجب رحمه الله ، كان يعد من الصالحاء الاخيار ، سمع عن خطيب مردا وغيره . ابن العاقولي البغدادي

الشيخ الامام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن نائب الواسطي العاقولي ثم البغدادي الشافعي ، مدرس المستنصرية مدة طويلة نحواً من أربعين سنة ، وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة في وقت . ولد ليلة الأحد عاشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شيء غريب جداً ، وكان قوى النفس له وجاهة في الدولة ، فكشف كربة عن الناس بسعيه وقصده ، توفي ليلة الأربعاء رابع عشرين شوال ، وقد جاوز التسعين سنة ، ودفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلها . تقبل الله منه ورحمه ، ودرس بعده بالمستنصرية قاضي القضاة قطب الدين .

الشيخ الصالح شمس الدين السلامي

شمس الدين محمد بن داود بن محمد بن ساب ، السلامي البغدادي ، أحد ذوي اليسار ، وله برّ تام بأهل العلم ، ولا سيما أصحاب الشيخ تقي الدين ، وقد وقف كتباً كثيرة ، وحجج مرات ، وتوفي ليلة الاحد رابع عشرين ذي القعدة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ودفن

بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه . وفي هذه الليلة توفيت الوالدة مريم بنت فرج بن علي من قرية كان الوالد خطيبها ، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وصلى عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرق قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

استهانت والخليفة والحكام هم المباشرون في التي قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ السلامة اشتغل بنظر الجيش . وفي المحرم طلب القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين ، وشرف الدين بن قمحس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر صلى للبريد ، فباشروا القاضي الصدر الكبير محي الدين المذكور كتابة السربها عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعتراه ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضاً عن ابن فضل الله . وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظراً على القدس والخليل ، فعمر هنالك عمارات كثيرة للملك الأمراء تنكز ، وفتح في الأقصى شباكين عن يمين المحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزبيق من شد الدواوين بمحمص إلى شدها بدمشق . وفي الحادي والعشرين من صفر كمل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه ، وصلى الناس الجمعة به من الغد ، وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مفدة وذلك في مباشرة تقي الدين بن مراحل .

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفراديس ، في دهليز المقدمة ، وأعيدت عليهم أملاكهم الخلفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها . وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران في توابيتهما ، فصلى عليهما بالمسجد النبوي ، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان ، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك .

وفي هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضي نجم الدين البالسى المصرى صلاة الغائب . وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهبل بالمدرسة البادرانية عوضاً عن شيخنا برهان الدين الفزارى توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ قمحس الدين الذهبي ، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاتى المالكي ، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره . وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق

قاصدا باب السلطان ، فلقاه نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعته ، ثم سار نحو مصر فغاب
نحواً من أربعين يوماً ، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب . وفي عاشر رجب طلب الصاحب تقي الدين
ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلوس إلى مصر فولى نظر الدواوين بها حتى مات عن قريب .
وخرج الركب يوم السبت تامع شوال وأمهده سيف الدين بالعلی ، وقاضيه شهاب الدين القيمري
وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز ، وفي خدمتها الطواشي شبل الدولة وصدر الدين المالكي ،
وصلاح الدين ابن أخي الصاحب تقي الدين توبة ، وأخوه شرف الدين ، والشيخ علي المغربي ،
والشيخ عبد الله الضريبر وجماعة .

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جالس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن ربيعة للحكم بالمعادية
الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوي ، وعوضاً عن النخري المصري بحكم نزوله عن ذلك
وإعراضه عنه تامع عشر رمضان من هذه السنة . وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان
الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من ممالك الجاوي يقال له أرسى ، فادعى أنه المهدي
وسجع سجعات يسيرة على رأي الكهان ، فأنزل في شريعة ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع
المذكور . وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسعت الطرقات
والأسواق داخل دمشق وخارجها ، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد
القصب إلى الزنجيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت
تضيق عن سلوك الناس ، وذلك بأمر تنكز ، وأمر بإصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترتيش
الماء عليهم بالنجاسات . ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب قتل منهم شيء
كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق ، وفرق بين الذكور منهم
والإناث لموتوا سرى ما ، ولايتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة
من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حفر مشيخة الشيوخ بالسماطية قاضي القضاة شرف الدين
المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي ، وقرىء تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد
إلى ما كان عليه .

ومن توفى فيها من الأعيان

الامام العالم نجم الدين

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالي الشافعي ، شارح
التنبيه ، ولد سنة ستين وستمائة ، وصح الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها

ولازم ابن دقيق العيد وناب عنه في الحكم ، ودرس بالمغربية والطبرسية وجامع مصر ، وكان مشهوراً بالفضيلة والديانة وملازمة الاشتغال . توفي ليلة الخميس رابع عشر المحرم ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

الأمير سيف الدين قطلوبك التشنكير الرومي

كان من أكابر الأمراء وولى الحجوبية في وقت ، وهو الذي عمر القناة بالقدس ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ودفن بترتبه شمال باب الفرايس ، وهي مشهورة حسنة ، وحضر جنازته بسوق الخليل النائب والأمراء . يحدث اليمن

شرف الدين أحمد بن فقيه زبيد أبي الحسين بن منصور الشماخي المصنعي ، روى عن المكيين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلاً في صناعة الحديث والفقه وغير ذلك ، توفي في ربيع الأول من هذه السنة .

نجم الدين أبو الحسن

علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيت كبير ونسب عريق ، ورياسة باذخة وكرم زائد ، باشر نظر الأيتام مدة ، وسمع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ومات يوم الاثنين ضحوة خامس ربيع الآخر ، وصلى عليه بعد الظهر بالأموى ، ودفن بسفح قاسيون بتربة أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكتب على قبره (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) الآية ، وسمعا عليه الموطأ وغيره .

الأمير بكتمر الحاجب

صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر في طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة في عشرين ربيع الآخر ، ودفن بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره هناك .

الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد ابن قراجا بن سليمان

السهر وردي الصوفي الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :

بشراك يا سعادُ هذا الحى قد بانا * فخلها سيطل الابل والباناء^(١)

منازل ما وردنا طيب منزلها * حتى شربنا كؤوس الموت أحياناً

متناغراماً وشوقاً في المسير لها * فنندوا في نسيم القرب أحياناً

توفي في ربيع الآخر .

(١) كذا في الأصل . وليحرر .

شيخنا العلامة برهان الدين انفزاري

هو الشيخ الامام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله ، شيخ الاسلام مفتي الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء انفزاري المصري الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقة وبرع وساد أقرانه ، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب ونقله وتحريره ، ثم كان في منصب أبيه في التدريس بالبادرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون ، وقد عرضت عليه المناصب الكبار فأبها ، فن ذلك أنه باشر الخطابة بعد عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاء الشام بعد ابن صهرى وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل ، وصمم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلا على شأنه عارفاً بزمانه مستغنياً أوقاته في الاشتغال والعبادة ليلاً ونهاراً ، كثير المطالعة وإسراع الحديث ، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليق كثير على التفتية ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار . وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حدة ثم يعود قريباً ، وكرمه زائد وإحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقتنى شيئاً ويصرف مرتبه وجامكية مدرسته في مصالحه ، وقد درس بالبادرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا ، توفي بكرة يوم الجمعة سابع جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة ، وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرأس وأطراف الأنامل ، وكانت حافلة ، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم الزاهد الورع

محمد الدين إسماعيل الحراني الحنبلي ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقرأ القراءات وسمع الحديث في دمشق حين انتقل مع أهله إليها سنة إحدى وسبعين ، واشتغل على الشيخ فحمس الدين بن أبي عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبرع في الفقه وصحة النقل وكثرة الصمت عمالاً يعنيه ، ولم يزل مواظباً على جهاته ووظائفه لا ينقطع عنها إلا من عذر شرعي ، إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفي هذا الحين توفي .

الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الله

الذي كان ناظر الدواوين بحلب ، ثم انتقل إلى نظرها بطرابلس . توفي بحجة ، وكان محباً للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم وإحسان ، وهو والد القاضي ناصر الدين كاتب السر بدمشق ، وقاضي المسامر

الحلبية ومشيخة الشيوخ بالسماطية ، ومدرس الأسدية بحلب ، والناصرية والشامية الجوانية بدمشق .

القاضي معين الدين

هبة الله بن حلم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي الفضل ابن الخشيشي الكاتب وناظر الجيش بمصر في بعض الأحيان ، ثم بدمشق مدة طويلة مستقلاً ومشاركاً لقطب الدين ابن شيخ السلامة ، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه ، وكانت له يد جيدة في العربية والأدب والحساب وله نظم جيدة ، وفيه تودد وتواضع . توفي بمصر في نصف جمادى الآخرة ودفن بتربة الفخر كاتب الماليك .

قاضي القضاة علاء الدين القونوي

علاء الدين القونوي ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي النبريزي الشافعي ، ولد بمدينة قونية في سنة ثمان وستين وستمائة تقريبا واشتغل هناك ، وقدم دمشق سنة ثلاث وتسعين ، وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا ، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بجماعتها ودرس بالاقبالية ثم سافر إلى مصر فدرس بها في عدة مدارس كبار ، وولى مشيخة الشيوخ بها و بدمشق ، ولم يزل يشتغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشق قاضيا عليها في سنة سبع وعشرين ، وله تصانيف في الفقه وغيره ، وكان يحرز علوما كثيرة منها النحو والتصريف والأصلا والفقه ، وله معرفة جيدة بكشاف الزخشرى ، وفهم الحديث ، وفيه إنصاف كثير وأوصاف حسنة ، وتمظيم لأهل العلم ، وخرجت له مشيخة سمعناها عليه . وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيرا ، توفي ببستانه بالسهم يوم سبت بعد العصر رابع عشر ذي القعدة ، وصلى عليه من الغد ، ودفن بسفح قاسيون ساعده الله .

الأمير حسام الدين لاجين المنصور الحسامي

و يعرف بلاجين الصغير ، ولى البر بدمشق مدة ، ثم نيابة غزة ثم نيابة البيرة ، وبها مات في ذي القعدة ، ودفن هناك ، وكان ابتقى تربة لزوجته ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها [وماتت نفس بأى أرض تموت] .

الصاحب عز الدين ابو يعلى

حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسد بن على بن محمد النعمي الدمشقي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق الكبار ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة ، ورواه وسمعنا عليه ، وله رئاسة باذخة وأصاله كثيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا ولم يزل منه صناعة للوظائف إلى أن أُلزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشرة كما تقدم ثم عزل ، وقد صودر في بعض الأحيان ، وكانت له مكازم على الخواص والكبار ، وله إحسان إلى الفقراء والمحتاجين . ولم يزل معظمها وجهها عند الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه

ليلة السبت سادس الحجة ، وصلى عليه من الغد ودفن بئر بته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمأذنة ، وفيه دار حديث وبر وصدة رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاثون وسبعمائة .

استهلت بالأربعاء والحكام بالبلاطم المذكورون بالتى قبلها سوى الشافعى فانه توفى وولى مكانه فى رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السبكى الاخنائى الشافعى وقدم دمشق فى الرابع والعشرين منه محبة نائب السلطنة تنكز ، وقد زار القدس وحضر معه تدرىس التنكزية التى أنشأها بها . ولما قدم دمشق نزل بالعادلية الكبيرة على العادة ، ودرس بها وبالغزالية ، واستمر بنبابة المنفلوطى ، ثم استناب زين الدين بن المرحل ، وفى صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطايرى شد الاوقاف وانفصل عنها نجم الدين بن الزبيق إلى ولاية نابلس . وفى ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقى من الأموى نسبة الجانب الغربى ، وشاور ابن مراجل النائب والقاضى على جمع الفصوص من سائر الجامع فى الحائط القبلى ، فرسما له بذلك . وفى يوم الجمعة أقيمت الجمعة فى إيوان الشافعية بالمدرسة الصالحية بمصر ، وكان الذى أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك ، بعد أن استفتى العلماء فى ذلك . وفى ربيع الآخر تولى القضاء بحلب فمس الدين بن النقيب عوضا عن نغر الدين بن البازرى ، توفى ، وولى فمس الدين بن محمد البعلبكى قضاء طرابلس عوضا عن ابن النقيب . وفى آخر جمادى الأولى باشر نبابة الحكم عن الاخنائى محبى الدين بن جميل عوضا عن المنفلوطى توفى .

وفى هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الناصرى مدرسة على الحنفية وفيها صوفية أيضا ، ودرس بها القاضى علاء الدين بن التركمانى ، وسكنها الفقهاء . وفى جمادى الآخرة رينت البلاد المصرية والشامية ودقت البشائر بسبب عافية السلطان من وقعة انصدعت منها يده ، وخلع على الأمراء والأطباء بمصر ، وأطلقت الحبوس . وفى جمادى الآخرة قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفى يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذى أنشأه القاضى نغر الدين كاتب الممالك على الحنفية بمحراهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضى الحصين ، أخو قاضى القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالدير المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بلجوهريه ، درس بها عوضا عن حموه فمس الدين ابن الزكى نزل له عنها . وفى آخر رجب خطب بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين الماشى الحاجب ظاهر القاهرة

بالشارع ، وخطب بالجامع الذي أنشأه قوصون بين جامع طولون والصلحية ، يوم الجمعة حادى عشر رمضان وحضر السلطان وأعيان الأمراء الخطبة ، خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى ، وخام عليه خلمة سفية ، واستقل فى خطبته بدر الدين بن شكرى .

وخرج الركب الشامى يوم السبت حادى عشر شوال وأميره سيف الدين المرساوى صهر بلبان البيرى ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الاقبالية ، ثم نولى قضاء القضاة كاسيانى ، ومن حج فى هذه السنة رضى الدين بن المنطقى ، والشمس الأردبيلى شيخ الجاروضية وصنى الدين ابن الحريرى ، وقمس الدين ابن خطيب بيروذ ، والشيخ محمد النيربانى وغيرهم ، فلما قضاوا مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع ، فبينما هم فى سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بنى حسن وعبيدهم ، قد حطموا على الناس فى المسجد الحرام ، فنار إلى قتالهم الأتراك فاقتتلوا فقتل أمير من الطبلخانات بمصر ، يقال له سيف الدين جخدار وابنه خليل ، ومملوك له ، وأمير عشيرة يقال له الباجى ، وجماعة من الرجال والنساء ونهبت أموال كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ، ونهارب الناس إلى منازلهم بأبيار الزاهر ، وما كادوا يصلون إليها وما أكلت الجمعة إلا بعد جهد ، فأن الله وإنا إليه راجعون . واجتمعت الأمراء كلهم على الرجعة إلى مكة للاخذ بالنار منهم ، ثم كروا راجعين وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى مخيم الحجيج ، وكادوا ينهبون الناس عامة جهرة ، وصار أهل البيت فى آخر الزمان يصدون الناس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الاسلام وأهله ويكفون الأذية عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى [إن أولياؤه إلا المتقون]

ومن توفى فيها من الأعيان علاء الدين ابن الأثير

كاتب السرى بمصر ، على بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الاثير الحلبي الاصل ، ثم المصرى ، كانت له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السلطان ، حتى ضربه الفالج فى آخر عمره فأنزل عن الوظيفة وباشرها ابن فضل الله فى حياته .

الوزير العالم أبو القاسم

محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدي الفرغاطى الأندلسى ، من بيت الرياسة والحشمة ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ، وهو بعزم الحج ، سمعت بقراءته صحيح مسلم فى تسعة محالس على الشيخ نجم الدين بن المسقلانى . قراءة صحيحة ، ثم كانت وفاته فى القاهرة فى ثمانى عشرين المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة فى الفقه والنحو والتاريخ والأصول ، وكان على الهمة شريف النفس محترماً ببلاده جداً ، بحيث إنه بولى الملوك ويعزله ، ولم يل هو مباشرة شئ ولا أهل بيته ، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً .

شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع

فممس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكي الحنبلي ، إمام مسجد السلاطين بدار البطيوخ العتيقة ، مع الحديث وأصححه ، وكان يقرأ القرآن طرفي النهار ، وعليه ختمت القرآن في سنة أحد عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار ، والعتاد الاخيار ، توفي يوم السبت سادس صفر وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفي هذا الشهر - أعفى صفر - كانت وفاة والي القاهرة القديدار وله آثار غريبة ومشهورة .

بها درآص الأمير الكبير

رأس ميمنة الشام ، سيف الدين بها درآص المنهوري أكبر أصرام دمشق ، ومن طال عمره في الحشمة والثروة ، وهو ممن اجتمعت فيه الآية الكريمة (زين للناس حب الشهوات من النساء) الآية ، وقد كان محبباً إلى العامة ، وله بر وصدة وإحسان ، توفي ليلة الثلاثاء ودفن بقربته خارج باب الجابية ، وهي مشهورة أيضاً .

الحجار ابن الشحنة

الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن ابن علي بن بيان الدبر مقرئي ثم الصالح الحجار المعروف بابن الشحنة ، مع البخاري على الزبيدي سنة ثلاثين وستمائة بقاسيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع عليه ، فقرأ البخاري عليه نحواً من ستين مرة وغيره ، وسمعنا عليه بدار الحديث الاشرفية في أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزءاً بالأجازات والسماع ، وسماعه من الزبيدي وابن القتي ، وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسندين ، وقد مكث مدة مقدم الحجار بن نحواً من خمس وعشرين سنة ، ثم كان يخطط في آخر عمره ، واستقرت عليه جامكته لما اشتغل بالسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وخام عليه وألبسه الخلمة بيده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخاً حسناً بهي المنظر سليم الصدر ممتناً بجواسه وقواه ، فانه عاش مائة سنة محققاً ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وستمائة وأصححه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة في تاسع صفر بجامع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ والله الحمد ، ويقال إنه أدرك موت المعظم عيسى بن العادل لما توفي ، والناس يسمعونهم يقولون مات المعظم ، وقد كانت وفاة المعظم في سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفي الحجار يوم الاثنين خامس عشرين صفر من هذه السنة ، وصلى عليه بالمظفرى يوم الثلاثاء ودفن بقربة له عند زاوية الدومي ، بجوار جامع الافرم . وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن

أبي نصر المحصل المعروف بابن الشام ، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراى من مملكة إربل ، ثم قدم دمشق في سنة أربع وعشرين فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجارونية ، وأضيف إليه مشيخة رباط القصر ، ثم نزل عن ذلك لزواج ابنته نور الدين الأردبيلي ، توفي في ربيع الأول وكان يعرف طرطا من الفقه والطب .

الشيخ إبراهيم الهدمة

أصله كردى من بلاد المشرق ، قدم الشام ، وأقام بين القدس والخليل ، في أرض كانت موانا فأحيها وغرسها وزرع فيها أنواعا ، وكان يقصد لزيارة ، ويحكي الناس عنه كرامات صالحة ، وقد بلغ مائة سنة ، وتزوج في آخر عمره ورزق أولادا صالحين . توفي في جمادى الآخرة رحمه الله الست صاحبة التربة بباب الخواصين الخرونة المعظمة المحجة المحترمة :

سنته بنت الأمير سيف الدين

كركاى المنصورى ، زوجة نائب الشام تنكر ، توفيت بدار الذهب وصلى عليها بالجامع ثالث رجب ، ودفنت بالتربة التى أمرت بإنشائها بباب الخواصين ، وفيها مسجد وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للآيتام . وفيها صدقات وبر وصلات ، وقراء عليها ، كل ذلك أمرت به ، وكانت قد حجت في العام الماضى رحمه الله . قاضي قضاة طرابلس

شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد الشافعى ، اشتغل ببلده وبرع في فنون كثيرة ، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقوصية والجامع ، ويؤم بمدرسة أم الصالح : ثم انتقل إلى قضاء طرابلس فأقام بها أربعة أشهر ، ثم توفي في سادس رمضان وتولاها بعده ولده نقي الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين ، ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها .

الشيخ الصالح

عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحوراني ، شيخ طائفتهم وإليه مرجع زوايهم بحوران ، كان عنده تفقه بعض شيء ، وزهادة ويزار ، وله أصحاب يخدمونه ، وبلغ السبعين سنة ، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية السرك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك ، فأت في أول ذى القعدة . الشيخ حسن بن علي

ابن أحمد الانصارى الضرب كان بفرد عين أولا ، ثم عمى جملة ، وكان يقرأ القرآن ويكثر التلاوة ثم انقطع إلى المنارة الشرقية ، وكان يحضر الساعات ويستمع ويتواجد ، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك ، ولجاورته في الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يسامحه ، توفي يوم السبت في العشر

الأول من ذى الحجة بالمأذنة الشرقية ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

محبي الدين أبو الشناء محمود

ابن الصدر شرف الدين القلانسي ، توفي في ذى الحجة ببستانه ، ودفن بترتبههم بسفح قاسيون وهو جد الصدر جلال الدين بن القلانسي ، وأخيه علاء ، وم ثلاثهم رؤساء .

الشاب الرئيس

صلاح الدين يوسف بن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيش أبوه ، نشأ هذا الشاب في نعمة وحشمة وترفه وعشرة واجتماع بالأصحاب ، توفي يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة فاستراح من حشمته وعشرته إن لم تكن وبالا عليه ، ودفن بترتبههم تجاه الناصرية بالسفح ، وتأسف عليه أبواه ومعارفه وأصحابه صاعه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

استهلت والحكام المذكورون في التي قبلها ، وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجاج ، وأنه قتل من المصريين أميران ، فلما بلغ الخبر السلطان عظم عليه ذلك ، وامتنع من الاكل على السباط فيما يقال أياما ، ثم جرد مئتمة فارس وقيل ألفا ، والاول أصحح ، وأرسل إلى الشام أن يجرد مقدما آخر ، فجرد الأمير سيف الدين الجي بقا العادلي . وخرج من دمشق يوم دخلها الركب في سادس عشرين المحرم ، وأمر أن يسير إلى ليلة ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيرا جميعا إلى الحجاز .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب ، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الامراء مشاة إليه في تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقون هذا النهر ، ولم يكن أحد من العالي ولا غيرهم أن ينكلم بغير ذكر الله تعالى ، وفرح الناس بوصوله إليهم فرحا شديدا ، وكانوا قد وسعوا في تحصيله من أما كن بعيدة احتاجوا فيها إلى نقب الجبال ، وفيها صخور ضخام وعقدوا له قناطر على الأودية ، وما وصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فله الحمد وحده لا شريك له . وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضا شديدا ومات رحمه الله .

وفي سابع صفر وسع تنكز الطرقات بالشام ظاهر باب الجابية ، وخرب كل ما يضيق الطرقات . وفي ثاني ربيع الاول لبس علاء الدين القلانسي خلة سفية لمباشرة نظر الدواوين ديوان ملك الأمراء ، وديوان نظر المارستان ، عوضا عن ابن العادل ، ورجع ابن العادل إلى حجابة الديوان الكبير . وفي يوم ثاني ربيع الاول لبس عماد الدين ابن الشيرازي خلة نظر الأموى عوضا عن ابن مراجل عزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن القويصرة نظر الأموى بدلا عن ابن الشيرازي . وفي يوم الخميس آخر ربيع الاول لبس القاضي شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين

حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى المقدسى خلفة قضاء الحنابلة عوضاً عن عز الدين بن النقي سليمان ، توفي رحمه الله ، وركب من دارالسعادة إلى الجامع ، فقرأ تقليده تحت النسر بمحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجوزية فحكم بها ، ثم إلى الصالحية وهو لا يس الخلفة ، واستتاب يومئذ ابن أخيه النقي عبد الله بن شهاب الدين أحمد . وفي سابع ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنبغا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب فائتبا عليها ، عوضاً عن أرغون توفي إلى رحمة الله ، وقد تلقاه النائب والجيش . وفي مستهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رمينة بن أبي نعي إلى مكة ، فقرأ تقليده بامرة مكة من جهة السلطان ، صحبة التجربة ، وخلع عليه وبايعه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل الكعبة ، وقد كان وصول التجار يد إلى مكة في سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب المعلى ، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطواف ، وكانت الأسعار رخيصة معهم .

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر خلع على القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان ونظر جامع طولون ونظر الناصرية ، وهناه الناس عوضاً عن التاج ابن إسحاق عبد الوهاب ، توفي ودفن بالقرافة . وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الاخنائي تدريس الصارمية وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافى ، وحضرها في رجب وحضر عنده الناس خدمة لأبيه ، وفي حادى عشر من جمادى الآخرة رجعت التجربة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين الحلى بفا ، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياماً وأقاموا بمكة شهراً واحداً ويوماً واحداً وحصل للعرب منهم رعب شديد ، وخوف أكيد ، وعزلوا عن مكة عطية وولوا أخاه رمينة وصلوا وطافوا واعتمروا ، ومنهم من أقام هناك ليحج . وفي ثاني رجب خلع على ابن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفي .

وفي أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزيج كمر كثيراً من الأشجار والأغصان ، وألقى بعض الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة باذن الله ، فلما كان يوم ثاسعه سقط برد كبار مقدار بيض الحمام ، وكسر بعض نجايات الحمام . وفي شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المعزية على شاطئ النيل أنشأها الأمير سيف الدين طغز دمر ، أمير مجلس الناصرى ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفى . وفي نصف رمضان قدم الشيخ تاج الدين عمر بن على بن سالم الملحق ابن الفاكهاني المالكي ، نزل عند القاضي الشافى ، وسمع عليه شيئاً من مصنفاته ، وبخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين ، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق . وفي هذا الشهر وطى سوق الخليل وركبت فيه حصبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربعة أيام حتى ساووه وأصاحوه ، وقد كان

قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، وملقات . وفيه أصلح سوق الدقيق داخل باب الجابية إلى الثابتية وسقف عليه السقوف .

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين فامن شوال وأميره عز الدين أيبك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . وعن حج فيه شهاب الدين بن جهيل وأبو النسر وابن جملة والفخر المصري والصدر المالكي وشرف الدين الكفوي الحنفي ، والبهاء ابن إمام المشهد وجلال الدين الأعيالى ناظر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، ونغر الدين البعلبكي ، ومحمد الدين ابن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب بيرة ، وشرف الدين قاسم العجلوني ، وتاج الدين ابن الفاكهاني والشيخ عمر السلاوي ، وكاتبه إسماعيل ابن كثير ، وآخرون من سائر المذاهب ، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركبنا هذا أربعمائة فقيه وأربع مدارس وخانقاه ، ودارحديث ، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً ، وكان في المصريين جماعة من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأخنائي ، ونغر الدين النويري ، وشمس الدين ابن الحارثي ، ومحمد الدين الأقصري ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي . وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي أشد وكان من المشاهير . وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي صحبة ابن المرجاني ، وأمير المصريين مغايطي الجمالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضاً ، ومررنا بعين تبوك وقد أصلحت في هذه السنة ، وصينت من دوس الجمال والجمالين ، وصار مأواها في غاية الحسن والصفاء والطيب ، وكانت وقفة الجمعة ومطرنا بالطواف ، وكانت سنة مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تنكز من ناحية قلعة جعبر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهر أبهة عظيمة في تلك النواحي . وفي سادس عشر ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن القلانسي بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وفاته مضافاً إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار ما لم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار ، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء العسكر وكتابة الدفت ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيمارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السعيد ، وتدريس الأئمنية والظاهرية والعصرانية وغير ذلك انتهى .

ومن توفي فيها من الأعيان قاضي القضاة عز الدين المقدسي

عز الدين أبو عبد الله بن محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي ، ولد سنة خمس وستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولايته ، فلما ولي ابن مسلم لم يزل يبيت به بحضور درس الجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجليل ويأوي إلى بيته ، فلما توفي ابن مسلم ولي قضاء الحنابلة بعده نحواً من أربع سنين ، وكان فيه

نواضع وتودد وقضاء لحوائج الناس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوماً مطيراً ، ومع هذا شهد الناس جنازته ، ودفن بترتيمهم رحمهم الله ، وولى بعده نائبه شرف الدين ابن الحافظ ، وقد قارب الثمانين . وفي نصف صفر توفى

الأمير سيف الدين قجليس

سيف النعمة ، وقد كان معاً على الحجاز ووزيراً بالقدس الشريف . وفي منتصف صفر توفى الأمير الكبير سيف الدين أرغون بن عبد الله الدويدار الناصري ، وقد عمل [على] نيابة بمصر مدة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب ، فكث بها مدة ثم توفى بها في سابع عشر ربيع الأول ، ودفن بترتيمها بحلب ، وقد كان عنده فهم وقفه ، وفيه ديانة واتباع للشرعية ، وقد سمع البخاري على الحجاز وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء في الافتاء ، وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين ابن تيمية وهو بمصر ، توفى ولم يكمل الحسين سنة ، وكان يكره اللهو رحمه الله . ولما خرج يلتقي نهر الساجور خرج في ذل ومسكنة ، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغاني ومن اللهو واللعب في ذلك رحمه الله .

القاضي ضياء الدين

أبو الحسن علي بن سليم بن ربيع بن سليمان الأزرعي الشافعي ، تنقل في ولاية الأقضية بمدارس كثيرة ، مدة سنين سنة ، وحكم بطرابلس وعلون وزرع وغيرها ، وحكم بدمشق نيابة عن القنوي نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير . نظم التنبيه في نحو ست عشرة ألف بيت ، وتصحبها في ألف وثلاثمائة بيت ، وله مدائح وموالي وأزجال وغير ذلك ، ثم كانت وفاته بالرملة يوم الجمعة ثالث عشر بن ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممن جمع بين على الشريعة والطبيعة .

أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربي

تلك في وقت بلاد قابس ثم انقلب عليه جماعة فانتزعوها منه فقصده مصر فأقام بها وأقطع أقطاعاً ، وكان يركب مع الجند في زى . المغاربة متقلداً سيفاً ، وكان حسن الهيئة يواظب على الخدمة إلى أن توفى في جمادى الأولى .

الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس

أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السفياطي الشافعي ، مدرس الحسامة ونائب الحكم بمصر ، وأعاد في أماكن كثيرة ، وتفقه على والده ، توفى في جمادى الآخرة وتولى الحسامة بعده ناصر الدين التبريزي .

الصدر الكبير تاج الدين الكارمي

المعروف بابن الرهايلي ، كان أكبر تجار دمشق الكارمية وبصر ، توفي في جهادى الآخرة ،
يقال إنه خلف مائة ألف دينار غير البضائم والأثاث والأملأ .

الإمام العلامة فخر الدين

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن المارداني التركاني الحنفي شرح فخر الدين هذا الجامع
وألقاه دروساً في مائة كراس ، توفي في رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالماً فاضلاً ، وقوراً
فصيحا حسن المفاكهة ، وله نظم حسن . وولى بعده المنصورية ولده تاج الدين .

تقي الدين عمر ابن الوزير شمس الدين

محمد بن عثمان بن السلموس ، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة ، ثم نشأ في الخدم ثم طلبه
السلطان في آخر وقت فولاه نظر الدواوين ببصر ، فباشره يوماً واحداً وحضر بين يدي السلطان
يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فما وصل إلى منزله إلا في محفة ، ومات بكرة
يوم السبت سادس عشر من ذي القعدة ، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ، ودفن عند والده بالقرافة
وكانت جنازته حافلة . جمال الدين أبو العباس

أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة بن أسد بن
علي بن محمد النيسبي الدمشقي ابن القلانسي ، قاضي العساكر ووكيل بيت المال ومدرس الامينية وغيرها
حفظ التنبيه ثم المحرر للرافعي ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وتقدم
لطاب العلم والرئاسة ، وباشر جهات كباراً ، ودرس بأماكن وتفرّد في وقته بالرياسة والبيت والمنصب
الدينية والدينية ، وكان فيه تواضع وحسن سمع وتودد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصالحين
وهو ممن أذن له في الافشاء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة فأفاد وأجاد ، وأحسن التعبير
وعظم في عيني . توفي يوم الاثنين ثامن عشر من ذي القعدة ، ودفن بترتهم بالسفح ، وقد سمع
الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له فخر الدين البعلبكي مشيخة سمعها عليه رحمه الله .

ثم دخلت سنة اثنتي وثلاثين وسبع مائة

استهلت وحكام البلاد هم هم ، وفي أولها فتحت القيسارية التي كانت مسبك الفولاذ جوابل
الصغير حولها تنكز قيسارية ببركة . وفي يوم الاربعاء ذكر الدرس بالأمينية والظاهرية علاء الدين بن
القلانسي عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس في
المصرونية ، تركها له عمه ، وحضر عندها جماعة من الأعيان . وفي تاسع المحرم جاء إلى حص سبل
عظيم غرق بسببه خلق كثير وجم غفير ، وهلك للناس أشياء كثيرة . ومن مات فيه نحو مائتي

امرأة بمهام النائب ، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فهلكن جميعا .

وفي صفر أمر تنكز ببياض الجمران المقابلة لسوق الخليل إلى باب الافراديس ، وأمر بتجديد خان الظاهر ، ففرم عليه نحواً من سبعين ألفاً . وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة فدفن بترته خارج باب شرقى . وفي تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقيازية عماد الدين الطرسوسى الحنفى عوضاً عن الشيخ رضى الدين المنطيقى ، توفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي أول ربيع الآخر خاع على الملك الأفضل على بن الملك المؤيد صاحب حماة وولاه السلطان الملك الناصر مكان أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والسبابة والفاشية أمامه . وفي نصف هذا الشهر سافر الشيخ فحمس الدين الأصفهاني شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل البريد وفارق دمشق وأهلها واستوطن القاهرة .

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب بالجامع الذى أنشأه الامير سيف الدين آل ملك واستقر فيه خطيباً نور الدين على بن شبيب الحنبلى . وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى الصميد فأحاطوا على ستائة رجل ممن كان يقطع الطريق فأتلف بعضهم . وفي جمادى الآخرة تولى شد الدواوين بدمشق نور الدين ابن الخشاب عوضاً عن الطرقتشى . وفي يوم الاربعاء حادى عشر رجب خاع على قاضى القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المنجا يقضاء الخنايلة عوضاً عن شرف الدين بن الحافظ ، وقرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان . وفي اليوم الثانى استناب برهان الدين الزرعى . وفي رجب باشر فحمس الدين موسى بن التاج إسحاق نظر الجيوش بمصر عوضاً عن نحر الدين كاتب الماليك توفى ، وباشر النشو مكانه فى نظر الخصاص ، وخام عليه بطارحة ، فلما كان فى شعبان عزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين وصودروا وضربوا ضرباً عظيماً ، وتولى نظر الجيش المسكين بن قرويته ، ونظر الدواوين أخوه فحمس الدين بن قرويته .

وفي شعبان كان عرس أنوك ، ويقال كان اسمه محمد بن السلطان الملك الناصر ، على بنت الامير سيف الدين بكتمر الساقى ، وكان جهازها بألف ألف دينار ، وذبح فى هذا العرس من الاغنام والدجاج والاوز والخليل والبقر نحو من عشرين ألفاً ، وحملت حلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار ، وحمل له من الشمع ثلاثة آلاف قنطار ، قاله الشيخ أبو بكر ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادى عشر شعبان وفى شعبان هذا حول القاضى محى الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بالشام ، ونقل شرف بن فحمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر ، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية فى خامس عشر شعبان ، وحضرها القضاة والامراء ، وخطب بها الشيخ زين الدين عبد النور المغربى وذلك بأشارة الامير حسام الدين اليشمقدار الحاجب بالشام ، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكى ، وفه

أمر نائب السلطنة بتبويض البيوت من سوق الخليل إلى ميدان الحصاء ففعل ذلك . وفيه زادت الفرات زيادة عظيمة لم يسمع بمنها ، واستمرت نحو من اثني عشر يوماً فأنلفت بالرحبة أموالاً كثيرة ، وكسرت الجسر الذي عند دير بسر ، وغلت الاسعار هناك فشرعوا في إصلاح الجسر ، ثم انكسر مرة ثانية .

وفي يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين أوزان ، وقاضيه جمال الدين ابن الشريشي ، وهو قاضي حمص الآن ، وحج السلطان في هذه السنة ومحبته قاضي القضاة القزويني وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلي ، وسبعون أميراً . وفي ليلة الخميس حادي عشرين شوال رسم على صاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النجيبية الجوانية ، موصودر وأخذت منه أموال كثيرة ، وأفرج عنه في الحرم من السنة الآتية .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد

ابن سلطان القرامذي ، أحد المشاهير بالعبادة والزهادة وملازمة الجامع الأموي ، وكثرة التلاوة والذكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، وله مع هذا ثروة وأملاك ، توفي في مستهل المحرم عن خمس أوست وثمانين سنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالعلم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .
الملك المؤيد صاحب حماة

عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين - علي بن الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه والهيئة والطب وغير ذلك ، وله مصنفات عديدة ، منها تاريخ حافل في مجلدين كبيرين ، وله نظم الحاوي وغير ذلك ، وكان يحب العلماء ويشاركهم في فنون كثيرة ، وكان من فضلاء بني أيوب ، ولي ملك حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك الناصر يكرمه ويدعّمه ، وولي بعده ولده الأفضل علي ، توفي في - - - - - يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة .

القاضي الإمام تاج الدين السعدي

تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سنان بن عبد الله السعدي الفقيه الشافعي ، سمع الكثير وخرج لنفسه مائة في ثلاث مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخط الجيد ، وكان متقناً عارفاً بهذا الفن ، يقال إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد ، وقد كان شافعيًا مفتيًا ، ومع هذا ناب في وقت عن القاضي الحنبلي ، وولى مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفي

بمصر في مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

الشيخ رضي الدين بن سليمان

المنطق الحنفي ، أصله من أب كرم ، من بلاد قونية ، وأقام بحماة ثم بدمشق . ودرس بالقيصرية ، وكان فاضلاً في المنطق والجدل ، واشتغل عليه جماعة في ذلك ، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ، وحج سبع مرات ، توفي ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الأول ، وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية وفي ربيع الأول توفي : الإمام علاء الدين طيغاً

ودفن بترته بالصالحية . وكذلك الأمير سيف الدين زبلاق ، ودفن بترته أيضاً .

قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد

عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وباشر نيابة ابن مسلم مدة ، ثم ولى القضاء في السنة الماضية ، ثم كانت وفاته فجأة في مستهل جمادى الأولى ليلة الخميس ، ودفن من الغد بترته الشيخ أبى عمر .

الشيخ ياقوت الحبشي

الشاذلى الاسكندراني ، بلغ الثمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم شمس الدين ابن اللبان الفقيه الشافعى ، وكان يعظمه ويطريه وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها ، توفي في جماد وكانت جنازته حافلة جداً .

النقيب ناصح الدين

محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدمشقى ، نقيب المنعمين ، تلهذ أولاً للشهاب المرقى ثم كان بعده في المحافل المزاء والهناء ، وكان يعرف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطلب من الناس ، ويطلبه الناس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة ، توفي في أواخر رجب .

القاضي فخر الدين كاتب المماليك

وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبلى فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوز السبعين وإليه تنسب الفخرية بالقدس الشريف ، توفي في نصف رجب واحتيط على أمواله وأملأه بعد وفاته رحمه الله .

الأمير سيف الدين الجساي الدويدار الملكى الناصري

كان فقيهاً حنفياً فاضلاً ، كتب بخطه أربعة وحصل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثير الإحسان إلى أهل العلم ، توفي في سلخ رجب رحمه الله .

الطبيب الماهر الحاذق الفاضل

أمين الدين سليمان بن داود بن سامان ، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرسه مدة ، ثم عزل
بجمال الدين بن الشهاب الكحال مدة قبل موته لأمر تعصب عليه فيه نائب السلطنة ، توفي يوم
السبت سادس عشر من شوال ودفن بالقبيبات .

الشيخ الامام العالم المقرئ شيخ القراء

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، ثم الخليلي الشافعي ،
صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها ، ولد سنة أربعين وستمائة بقلمة جعبر ، واشتغل
ببغداد ، ثم قدم دمشق وأقام ببلا الخليل نحو أربعين سنة يقرئ الناس ، وشرح الشاطبية وسمع
الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنف بالعربية والعروض والقراءات
نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والديانة والعفة والعصانة ، توفي
يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلا الخليل تحت الزيتون ، وله ثلثان وتسعون سنة رحمه
الله .

قاضي القضاة علم الدين

أبو عبد الله محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمه الأختاني السعدي
المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفاً نزهاً ذكياً سار العبارة محباً للفضائل ، معظماً لأهلها
كثيراً لاسماع - حديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ودفن بسفح
قاسيون عند ربه جته تجاه تربة العادل كتبها من ناحية الجبل .

قطب الدين موسى

ابن أحمد بن الحسين بن شيخ السلامية ناظر الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ،
وله فضائل وإفضال وكرم وإحسان إلى أهل الخير ، وكان مقصداً في المهمات ، توفي يوم الثلاثاء ثاني
الحجة وقد جاوز السبعين ، ودفن بقبرته تجاه الناصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الامام العلامة
عز الدين حمزة مدرس الحنبلية .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء والحكام المذكورون في التي قبلها ، وليس للشافعية قاض ، وقاض
الحنفية عماد الدين الطرسوسي ، وقاض المالكية شرف الدين الهمداني ، وقاض الحنابلة علاء الدين
ابن المنجا ، كاتب السر محي الدين بن فضل الله ، وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي .
وفي ثاني المحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجاز وباقتراب وصوله إلى البلاد ، فدقت
النشائر وزينت البلاد . وأخير البشير بوفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده شهاب الدين

أحمد وهما راجعان في الطريق ، بعد أن حجا قريبا من مصر : الوالد أولا ، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام بميون القصب ، ثم نقلوا إلى تربتهما بالقرافة ، ووجد لبكتمر من الأموال والجواهر والآلات والقماش والأمتعة والحواصل شيء كثير ، لا يكاد ينحصر ولا ينضب ، وأفرج عن صاحب شمس الدين غبريال في الحرم ، وطلب في صفر إلى مصر فتوجه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بعد مسيره وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال .

وفي أواخر صفر قدم صاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق عوضا عن غبريال ، وبعده بأربعة أيام قدم القاضي نحر الدين بن الحلى على نظر الجيش بعد وفاة قطب الدين ابن شيخ السلاطنة . وفي نصف ربيع الأول لبس ابن جملة خلع القضاء لاشافعية بدمشق بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه ، وذهب إلى العادلية وقرئ تقليده بها بحضرة الأعيان ، ودرس بالعادلية والغزالية يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر المذكور . وفي يوم الاثنين رابع عشر ينه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود إعادة القيصرية نزل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك في المحاسن ، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعد ذلك ، عزل عن النيابة بيومه ، واستناب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسف الحسباني ، وله همة وعنده نزاهة وخبرة بالأحكام .

وفي ربيع الأول ولي شهاب قرطاي نيابة طرابلس وعزل عنها طبلان إلى نيابة غزة وتولى نائب غزة حمص ، وحصل للذي جاء بتهاليد مائة ألف درهم منهم ، وفي ربيع الآخر أعيد القاضي محي الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سر مصر ، ورجع شرف الدين ابن الشهاب محمود إلى كتابة سر الشام كما كان . وفي منتصف هذا الشهر ولي نقابة الأشراف عماد الدين موسى الحسيني عوضا عن أخيه شرف الدين عدنان توفي في الشهر الماضي ودفن بترتهم عند مسجد الدبان . وفيه درس الفخر المصري بالدولعية عوضا عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء . وفي خامس عشر رجب درس بالبإدراية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويعرف بابن الوحيد ، عوضا عن ابن جهيل توفي في الشهر الماضي ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، وكنت إذ ذاك بالقدس أنا والشيخ شمس الدين ابن عبد الهادي وآخرون ، وفيه رسم السلطان الملك الناصر بالمنع من رمي البندق ، وأن لا تباع قسيها ولا تعمل ، وذلك لافساد رماة البندق أولاد الناس ، وأن الغالب على من تعاناه اللواط والفسق وقلة الدين ، ونودي بذلك في البلاد المصرية والشامية .

قال البرزالي : وفي نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة فضربوا وحبسوا لافسادهم حال النساء ، فمات منهم أربعة تحت العقوبة ، ثلاثة من المسلمين ونصراني ، وكتب إلى بذلك الشيخ أبو بكر الرحي . وفي أول رمضان وصل البريد بتولية الأمير فخر الدين ابن

الشمس أوّل ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني ، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق في رمضان يذكر فيه أنها وقعت صواعق ببلاد الحجاز فقتلت جماعة متفرقين في أماكن شتى ، وأطار كثيرة جداً ، وجاء البريد في رابع رمضان بتولية القاضي محي الدين بن جميل قضاء طرابلس فذهب إليها ، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية عوضاً عن الأصبهاني بحكم إقامته بمصر . وفي آخر رمضان أفرج عن صاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس عاشر شوال وأميره بدر الدين بن معبد وقاضيه علاء الدين ابن منصور مدرس الحنفية بالقدس بمدرسة تنكز ، وفي الحجاج صدر الدين المالكي ، وشهاب الدين الظهيري ، ومحيي الدين ابن الأعتف وآخرون . وفي يوم الأحد ثالث عشره درس بالتابكية ابن جملة عوضاً عن ابن جميل تولى قضاء طرابلس ، وفي يوم الأحد عشرينه حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التدمري ، الذي كان في خطابة الخليل بدمشق نيابة عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفي ذى القعدة مسك تنكز دوا داره ناصر الدين محمد ، وكان عنده بمكانة عظيمة جداً ، وضربه بين يديه ضرباً مبرحاً ، واستخلص منه أموالاً كثيرة ، ثم حبسه بالقلعة ثم نفاه إلى القدس ، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد حاجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، وماتت وتغيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدمها عنده حمزة الذي كان حميره وعشيرته في هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النعمة عن الدوادار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصعا من السبط الأحمر كأنه آبنوس ، مراكب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة وكسره ، وقلع الباب العتيق ، وهومن خشب الساج ، وعليه صفائح تسلمها بنو شيبه ، وكان زنتها ستين رطلا فباعوها كل درهم بدرهمين ، لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا . وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لثلاثين رطلاً بذلك . وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن في الفردتين ، واجدة عليها : اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ العالم تقي الدين محمود علي

ابن محمود بن مقبل الدقوقي أبو الثناء البغدادي محدث بغداد منذ خمسين سنة ، يقرأ لهم الحديث وقد ولي مشيخة الحديث بالمستنصرية ، وكان ضابطاً محصلاً بارعاً ، وكان يعظ ويتكلم في الأعزية

والأهنية ، وكان فرداً في زمانه وبلاده رحمه الله ، توفي في المحرم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بتربة الامام أحمد ، ولم يخلف درهما واحداً ، وله قصيدتان رثا بهما الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم عز القضاة

نفر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكي الاسكندري ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير في ست مجلدات ، وقصائد في رسول الله (ص) ، حسنة ، وله في كان وكان ، وقد سمع الكثير وروى ، توفي في جمادى الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالاسكندرية رحمه الله .

ابن جماعة قاضي القضاة

العالم شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم ابن سعد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر الكنتاني الحموي الأصل ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بحمادة ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصل علومًا متعددة ، وتقدم وساد أقرانه ، وباشر تدريس القيمرية ، ثم ولي الحكم والخطابة بالقدس الشريف ، ثم نقل منه إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية ، ثم باشر تداريس كبارها في ذلك الوقت ، ثم ولي قضاء الشام وجمع له مئة الخطابة ومشايخ الشيوخ وتدريس المعادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الرياسة والديانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التصانيف الفاتحة النافعة ، وجمع له خطبا كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره ، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكما بها إلى أن أضر وكبر وضعفت أحواله ، فاستقال فأقيل وتولى مكانه القزويني ، وبقيت معه بعض الجهات ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة إلى أن توفي ليلة الاثنين بعد عشاء الآخرة حادي عشر من جمادى الأولى ، وقد أكل أربعا وتسعين سنة وشهراً وأياماً ، وصلى عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصري بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محي الدين يحيى بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهبل الحامبي الأصل ثم الدمشقي الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء ، ولد سنة سبعين وستمائة واشتغل بالعلم ولزم المشايخ ولازم الشيخ الصدر بن الوكيل ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها ونحول إلى دمشق فبأشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولي مشيخة البادرائية فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات ، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما ، توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع جمادى الآخرة وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب

مفسل الموتى في سنة ستين وستمائة ، يقال إنه غسل ستين ألف ميت ، وتوفي في رجب وقد جاوز الثمانين .

الشيخ فخر الدين أبو محمد

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم ابن السقطي الشافعي ، كان مباشراً شهادة الخزانة ، وقاب في الحكم عند باب النصر ودفن بالقرافة الإمام الفاضل مجموع الفضائل

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكري ، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان لطيف المعاني فاسخاً مطبقاً يكتب في اليوم ثلاث كراريس ، وكتب البخاري ثمان مائة مرة ويقال له ويبيعه النسخة من ذلك بألف ومئوه ، وقد جمع تاريخاً في ثلاثين مجلداً ، وكان ينسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف ، وذكر أن له كتاباً سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً أيضاً ، وبالجملة كان فادراً في وقته ، توفي يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد الناسك

الكثير الحج علي بن الحسن بن أحمد الواسطي المشهور بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال إنه حج أزيد من أربعين حجة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة ، توفي وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذي القعدة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن

ابن أحمد ابن القواس ، كان مباشراً الشد في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالمقبة الصغيرة ، فلما جاءت الوفاة أوصى أن نجعل مدرسة ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل تدريسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي ، توفي يوم الأربعاء عشرين الحجة .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

استهل بيوم الأحد وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها . وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخطابونية البرانية ، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن المؤقت بالأموى ، وترك خطابة جامع القابون . وفي مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التدمري إلى القدس حاكماً به ، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق . وفي ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بخطابة القدس ، فخلع عليه من دمشق ثم سافر إليها . وفي آخر ربيع الأول باشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحسامي شد الأوقاف عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطيري ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بهاء عن أخيه بدر الدين مسعود ، وعزل القاضي علاء الدين ابن القلانسي ، وسائر الدواوين والمباشرين الذين في باب ملك الأمراء تنكز وصدروا بمائتي ألف

درم ، واستدعى من غزوة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السنى المستوفى ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النورى أيضا على العادة .

وفى شهر ربيع الأول أمر تنكز باصلاح باب توما فشرع فيه ورفع بابه عشرة أذرع، وجددت حجارته وحديده فى أسرع وقت ، وفى هذا الوقت حصل بدمشق سيل خرب بعض الجدران ثم تناقص ، وفى أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب الكرك مجتازاً إلى طرابلس نائبها عوضاً عن قرطاً ، وفى جمادى الأولى طلب القاضى شهاب الدين ابن المجد عبد الله إلى دار السعادة فولى وكالة بيت المال عوضاً عن ابن القلانسى ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنأه الناس . وفيه طلب الأمير نجم الدين ابن الزبيق من ولاية نابلس فولى شد الدواوين بدمشق ، وقد شغل منصبه شهوراً بعد ابن الخشاب . وفى رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ بالقدس عوضاً عن زين الدين ابن جماعة لأعراضه عنها واختياره العود إلى بلده .

قضية القاضي ابن جملة

لما كان فى العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضى ابن جملة وبين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء - وكان هو السفير فى تولية ابن جملة القضاء - فوقع بينهما منافسة ومحاربة فى أمور كانت بينه وبين الدوادار المتقدم ذكره ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه ، وتفصلاً من دار السعادة فى المسجد ، فلما رجع القاضى إلى منزله بالعادلية أرسل إليه الشيخ الظهير ليحكم فيه بما فيه المصلحة ، وذلك عن مرسوم النائب ، وكأنه كان خديعة فى الباطن وأظهاراً لنصرة القاضى عليه فى الظاهر ، فبدر به القاضى بآدى الرأى فمزره بين يديه ، ثم خرج من عنده فتسله أعوان ابن جملة فطافوا به بالبلد على حمار يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان ، وضربوه ضرباً عنيفاً ، وفادوا ، عليه : هذا جزاء من يكذب ويفتن على الشرع ، فتألم الناس له لكونه فى الصيام . وفى العشر الأخير من رمضان ، ويوم سابع وعشرين ، وهو شيخ كبير صائم ، فيقال : إنه ضرب يومئذ ألفين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم ، فما أمسى حتى استنقى على القاضى المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلما كان يوم ناسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتيين من سائر المذاهب ، وأحضر ابن جملة قاضى الشافعية والمجلس قد احتفل بأهله ، ولم يأذنوا لابن جملة فى الجلوس ، بل قام قائماً ثم أجلس بعد ساعة جيدة فى طرف الحلقة ، إلى جانب المحفة التى فيها الشيخ الظهير ، وادعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه ، واعتدى عليه فى العقوبة ، وأفاض الحاضرون فى ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النائب الخط على ابن جملة ، والميل عنه بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضى

شرف الدين المالكي بفسقه وعزله وسجنه ، فانفض المجلس على ذلك ، ورسم على ابن جملة بالمعذراوية ثم نقل إلى القلعة جزاء وفاقا والحمد لله وحده ، وكان له في القضاء سنة ونصف إلا أياما ، وكان يباشر الأحكام جيدا ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهة وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه صرامة وشهامة وإقدام ، لكنه أخطأ في هذه الواقعة ، وتعدى فيها فآل أمره إلى هذا .

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال وأميره الجلى بغا وقاضيه محمد الدين ابن حيان المصرى وفى يوم الاثنين رابع عشرينه درس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضى القضاة عماد الدين الطرسوسى الحنفى عوضا عن قمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصبهانى ابن العجمى الحبلى ، ويعرف بابن الحنبلى ، وكان فاضلا دينيا متقشفا كثير الوسوسة فى الماء جدا ، وأما المدرس مكانه وهو نجم الدين بن الحنفى فانه ابن خمس عشرة سنة ، وهو فى النباهة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاة فى حياة أبيه ، نزل له عنه وحدث سيرته وأحكامه .

وفى هذا الشهر أثبت محضر فى حق صاحب قمس الدين غبريال المتوفى هذه السنة أنه كان يشتري أملاكاً من بيت المال ويوقفها ويتصرف فيها تصرف الملاك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين الشيرازى وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسى وابن خاله عماد الدين القلانسى ، وعز الدين ابن المنجا ، وتقى الدين ابن مراحىل ، وكمال الدين بن الغوييرة ، وأثبت على القاضى برهان الدين الزرعى الحنبلى ونفذه بقية القضاة ، وامتنع المحتسب عز الدين ابن القلانسى من الشهادة فرسم عليه بالمعذراوية قريبا من شهر ، ثم أفرج عنه وعزل عن الحسبة ، واستمر على نظر الخزانة .

وفى يوم الأحد ثامن عشر من ذي القعدة حملت خلعة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن المجد وكيل بيت المال يومئذ ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقرىء تقليده بحضوره نائب السلطنة والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الاقبالية فقرأ بها أيضا وحكم بين خصمين ، وكتب على أوراق السائلين ، ودرس بالمعادلية والغزالية والافابكيين مع تدريس الاقبالية عوضا عن ابن جملة . وفى يوم الجمعة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وفى محبته صاحب حماة الأفضل ، فتلقاهما تنكز وأكرمهما ، وصايا الجمعة عند النائب ثم توجها إلى مصر ، فتلقاهما أعيان الأمراء وأكرم السلطان مهنا بن عيسى وأطلق له أموالا جزيلة كثيرة ، من الذهب والفضة والقماش ، وأقطعه عدة قرى ورسم له بالود إلى أهله ، وفرح الناس بذلك ، قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف دينار ، وخاع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلعة .

وفى يوم الأحد سادس الحجة حضر درس الرواحية الفخر المصرى عوضا عن قاضى القضاة

ابن المجد وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء . وفي يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبي الطيب بوكالة بيت المال ، عوضاً عن ابن المجد ، وعلى عماد الدين ابن الشيرازي بالحسبة عوضاً عن عز الدين ابن القلانسي وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الأجل التاجر بدر الدين

بدر الدين أوأو بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس ، وكان رجلاً حسناً يتجرف في الجوخ ، مات فجأة عصر يوم الخميس خامس محرم ، وخلف أولاداً وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وسبع بمسجد ابن هشام .

الصدر امين الدين

محمد بن نضر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي باني المسجد المشهور بالزبوة ، على حافة بردى ، والطهارة الحجارة إلى جانبه ، والسوق الذي هناك ، وله بمجامع النيرب ميعاد . ولد سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وسمع البخاري وحدث به ، وكان من أكابر التجار ذوى اليسار ، توفي بكرة الجمعة سادس المحرم ودفن بقربته بقاسيون رحمه الله .

الخطيب الأمام العالم

عماد الدين أبو حفص عمر الخطيب ، ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر ابن عبد الله بن الحسن القرشي الزهري النابلسي ، خطيب القدس ، وقاضى نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضاها ، وله اشتغال وفيه فضيلة ، وشرح صحيح مسلم في مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة ، توفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن بماملأ رحمه الله .

الصدر شمس الدين

محمد بن إسماعيل بن حماد التاجر بقيسارية الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولى التجار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة ومطالعة في الكتب ، توفي تاسع صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله . جمال الدين قاضي القضاة الزوغي

هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذري الشافعي ولد سنة خمس وأربعين وستمائة بأذرع ، واشتغل بدمشق فحصل ، وناب في الحكم بزور مدة ففرغ بالزرعي لذلك ، وإنما هو من أذرع وأصله من بلاد المغرب ، ثم ناب بدمشق ثم انتقل إلى مصر فناب في الحكم بها ، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، ولى قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عزل وبقى على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الانابكية ، ثم تحول إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر ، ثم توفي بها يوم الأحد سادس صفر وقد قارب

السبعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالي مشيخة معناها عليه وهو بدمشق عن اثنين وعشرين شيخا.
 الشيخ الأمام العالم الزاهد

زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي ، أحد فضلاء الخنابلة ،
 ومن صنف في الحديث والفقه والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك ، كان فاضلا له أعمال كثيرة ،
 وقد وقعت له كائنة في أيام الظاهر أنه أصيب في عقله أو زوال فكره ، أو قد عمل على الرياضة
 فاحترق بطنه من الجوع ، فرأى خيالات لاحقيقة لها فاعتقد أنها أمر خارجي ، وإنما هو خيال فكري
 فاسد . وكانت وفاته في نصف صفر بيملبك ، ودفن بباب سطحاو لم يكمل الستين ، وصلى عليه بدمشق صلاة
 الغائب ، وعلى القاضي الزرعي معا . الأمير شهاب الدين

نائب طرابلس له أوقاف وصدقات ، وبر وصلات ، توفي بطرابلس يوم الجمعة ثامن عشر صفر
 ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الاسعدي الموقت

كان فاضلا في صناعة الميقات وعلم الاضطراب وما جرى مجراه ، بارعا في ذلك ، غير أنه لا ينفع
 به لسوء أخلاقه وشراستها ، ثم إنه ضعف بصره فسقط من قياسارية بحسى عشية السبت عاشر ربيع
 الأول ، ودفن بباب الصغير . الأمير سيف الدين بلبات

طرقا بن عبد الله الناصري ، كان من المقدمين بدمشق ، وجرت له فصول يطول ذكرها ، ثم
 توفي بداره عند مأذنة فيروز ليلة الأربعماء حادى عشرين ربيع الاول ، ودفن بقرية اتخذها
 إلى جانب داره ، ووقف عليها مقرئين ، وبقي عندها مسجدا بأمام ومؤذن .

شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد بن قاضي حران

ناظر الأوقاف بدمشق ، مات الليلة التي مات فيها الذي قبله ، ودفن بقاسيون ، وتولى مكانه
 عماد الدين الشيرازي . الشيخ الامام ذو الفنون

تاج الدين أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله الأحمي الاسكندراني ، المعروف بابن
 الفاكهاني ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، وجمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك ، وبرع
 وتقدم بمعرفة النحو وغيره ، وله مصنفات في أشياء متفرقة ، قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين
 وسبعمائة في أيام الاختائي ، فأنزله في دار السعادة ومعهنا عليه ومعه ، وحج من دمشق عامئذ وجمع
 عليه في الطريق ، ورجع إلى بلاده ، توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى ، وصلى عليه بدمشق
 حين بلغهم خبر موته . الشيخ الصالح العابد الناسك أيمن

أمين الدين أيمن بن محمد ، وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبع عشر نفسا كلهم اسمه

محمد ، وقد جاور بالمدينة مدة سنين إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول ، ودفن بالبقيع وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب . الشيخ نجم الدين القبانى المحوى

عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى الأحمى القبانى ، قرية من قرى أشمون الرملية ، أقام بحماة في زاوية يزار ويلتمس دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، حسن الطريقة إلى أن توفي بها آخر نهار الاثنين رابع عشر رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شمالى حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الامام أحمد بن حنبل وله كلام حسن يؤثر عنه رحمه الله . الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

الحافظ العلامة البار ، فتح الدين بن أبي الفتح محمد بن الامام أبي عمرو محمد بن الامام الحافظ الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الرىعى اليعمرى الاندلسى الاشبلى ثم المصرى ، ولد في العشر الأول من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير وأجاز له الرواية عنهم جماعات من المشايخ ، ودخل دمشق سنة تسعين فسمع من الكندى وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه في علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية ، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين ، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذى ، رأيت منها مجلداً بخطه الحسن ، وقد حرر وحرير وأفاد وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشعر الرائق الفائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة النامة ، وحسن التصريف والتصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوية ، وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآسى والأخبار والآثار والافتناء بالآثار النبوية ، ويذكر عنه سوء أدب في أشياء أخر^(١) سأل الله فيها ، وله مدائح في رسول الله (ص) ، وكان شيخ الحديث بالظاهرية بمصر ، وخطب بجامع الخندق ، ولم يكن في مصر في مجموعه مثله في حفظ الأسانيد والمتون والعمال والفقه والملح والأشعار والحكايات ، توفي فجأة يوم السبت حادى عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبي جرة رحمه الله . القاضي محمد الدين بن حرمي

ابن قاسم بن يوسف العامرى الفاقوسى الشافعى ، وكيل بيت المال ، ومدرس الشافعى وغيره ، كانت له همة ونهضة ، وعلمت منه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشغل ، ويلقى الدروس من حفظه إلى أن توفي ثانى ذى الحجة ، وولى تدريس الشافعى بعده فممس الدين ابن القلاح ، والقبطية بهاء الدين ابن عقيل ، والوكالة نجم الدين الاسعدى المحتسب ، وهو كان وكيل بيت الظاهر .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد هم المذكورون في التى قبلها ، وناظر الجامع عز الدين ابن المنجا ، والمحتسب

(١) في الشذرات « ويذكر عنه شئون أخر » .

عماد الدين الشيرازي وغيرهم . وفي مستهل المحرم يوم الخميس درس بأم الصالح الشيخ خطيب تبرور عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي سادس المحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان فتلقيه النائب والجيش ، وعاد إلى أهله في عز وعافية . وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه ، وعمارة جامع مصر العتيق . وقدم إلى دمشق القاضي جمال الدين محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سر بها عوضاً عن ابن الشهاب محمود . ووقع في هذا الشهر والذي بعده موت كثير في الناس بالخانوق .

وفي ربيع الأول مسك الأمير نجم الدين بن الزبيق مشد الدواوين ، وصودرو بيعت خيوله وحواصله ، وتولاه بعده سيف الدين ثمر مملوك بكنتمر الحاجب ، وهو مشد ازكاة . وفيه كملت عمارة حمام الأمير فحمس الدين حمزة الذي تمكن عند تنكيز بعد ناصر الدين الدوادار ، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظله في عمارة هذا الحمام فقابله النائب على ذلك وانتصف للناس منه ، وضربه بين يديه وضربه بالبندق بيده في وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم نقله إلى بحيرة طبرية ففرقه فيها ، وعزل الأمير جمال الدين نائب السكر عن نيابة طرابلس حسب سؤاله في ذلك ، وراح إليها طيغال وقدم نائب السكر إلى دمشق وقد رسم له بالقامة في سلخد ، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل في دار السمادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت ثم إلى الاسكندرية ، ثم كان آخر العهد به . وفي جمادى الأولى احتيط على دار الأمير بكنتمر الحاجب الحسامي بالقاهرة ، ونبشت وأخذ منها شيء كثير جداً ، وكان جد أولاده نائب السكر المذكور . وفي يوم السبت تاسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيك النجبي شد الأوقاف عوضاً عن ابن بكتاش ، اعتقل ، وخاع على المتولى وهناه الناس . وفي منتصف هذا الشهر علق الستر الجديد على خزانة المصحف العثماني ، وهو من خز طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة ، وعمل في مدة سنة ونصف .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس تاسع شوال وأميره علاء الدين المرسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . وفيه رجع جيش حلب إليها وكانوا عشرة آلاف سوى من تبعهم من الفرکان ، وكانوا في بلاد أذنة وطرسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا خلقاً كثيراً ، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيه وقع حريق عظيم بحماسة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأمسلاك وأوقاف ، وهلكت أموال لا تحصى ، وكذلك احترق أكثر مدينة إنطاكية ، فتألم المسلمون لذلك . وفي ذى الحجة خرب المسجد

الذى كان فى الطريق بين باب النصر وبين باب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ،
وبنى غريبه مسجد حسن أحسن وأنفع من الأول .

وتوفى فيها من الأعيان الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بجامع دمشق

برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوائى ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وسمع
الحديث ، وروى ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ، توفى يوم الخميس سادس صفر
ودفن بباب الصغير ، وقام من بعده فى الرياسة ولده أمين الدين محمد الوائى المحدث المفيد ، وتوفى
بعده ببضع وأربعين يوماً رحمهما الله .

الكاتب المطبق المجود المحرر

بهاء الدين محمود ابن خطيب بعلبك محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمى ،
ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدم على أهل زمانه قاطبة فى
النسخ وبقية الأقلام ، وكان حسن الشكل طيب الأخلاق ، طيب الصوت حسن التودد ، توفى فى
سلىخ ربيع الأول ودفن بتربة الشيخ أبى عمر رحمه الله .

علاء الدين السنجارى

واقف دار القرآن عند باب الناطفانيين شمالى الأتوى بدمشق ، على بن إسماعيل بن محمود
كان أحد التجار الصدق الأخيار ، ذوى اليسار المسارعين إلى الخير ، توفى بالقاهرة ليلة الخميس
ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن عند قبر القاضى قيس الدين بن الحريرى .

العدل نجم الدين التاجر

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الرحمن الرحبى باني التربة المشهورة بالمزة ، وقد جعل لها مسجداً
ووقف عليها أوقافاً دارية ، وصدقات هناك ، وكان من أخيار أبناء جنسه ، عدل مرضى عند جميع
الحكام ، وترك أولاداً وأموالاً جمة ، وداراً هائلة ، وبساتين بالمزة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع
عشرين جمادى الآخرة ودفن بتربته المذكورة بالمزة رحمه الله .

الشيخ الامام الحافظ قطب الدين

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن على بن عبد الحق بن
عبد الصمد بن عبد النور الحلبي الأصل ثم المصرى ، أحد مشاهير المحدثين بها ، والقائمين بحفظ
الحديث وروايته وتدوينه وشرحه والكلام عليه ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بحلب ، وقرأ
القرآن بالروايات ، وسمع الحديث وقرأ الشاطبية والألفية ، وبرع فى فن الحديث ، وكان حنفى المذهب
وكتب كثيراً وصنف شرحاً لاكثر البخارى ، وجمع تاريخاً لمصر ولم يكملها ، وتكلم على السيرة

التي جمعها الحافظ عبد الغني وخرج لنفسه أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وكان حسن الأخلاق مطروحاً للكلفة طاهر اللسان كثير المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من الغد مستهل شعبان عند خاله نصر المنبجي ، وخلف تسعة أولاد رحمه الله .

القاضي الامام زين الدين أبو محمد

عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ، قاضي المحلة ، والده العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، سمع من ابن الانماطي وابن خطيب المزة ، وحدث وتوفي ناسع شعبان ، وتبعته زوجته فاصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقرافة ، وقد سمعت من ابن الصابوني شيئاً من سنن النسائي ، وكذلك ابنتها محمديّة ، وقد توفيت قبلها .

تاج الدين علي بن إبراهيم

ابن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكتاب قطبك ، وهو والد العلامة فخر الدين شيخ الشافعية ومدرسهم في عدة مدارس ، والده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالعادية الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

الشيخ الصالح عبد الكافي

ويعرف بعبيد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المنيني ، ويعرف بابن أبي الازرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وستمائة بقرينته من بلاد بعلبك ، ثم أقام بقرية منين ، وكان مشهوراً بالصالح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

الشيخ محمد بن عبد الحق

ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالسباح ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمور وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شوال من هذه السنة .

الأمير سلطان العرب

حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد الذي جاء من العباسية أخت الرشيد فآله أعلم .

وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كاهم ، بالشام ومصر والعراق ، وكان ديناً خيراً متحيزاً للحق ، وخلف أولاداً وورثة وأموالاً كثيرة ، وقد بلغ سناً عالية ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حباً زائداً ، هو وذريته وعربيه ، وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمثلونه ، وهو الذي نهام أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ،

وكانت وفاة مهنا هذا بيلاد سلمية في ثامن عشر ذي القعدة ، ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ الزاهد فضل العجلوني

فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي المقيم بالمسارية ، أصله من بلاد حبراحي ، كان متقللاً من الدنيا يلبس ثياباً طوالاً وعباءة هائلة ، وهي بأرخص الأثمان ، وكان يعرف تعبیر الرؤيا ويقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وقد عرضت عليه وظائف بجوامك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضى بالرغيد المني من العيش الخشن إلى أن توفي في ذي الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جداً .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة

استهلت بيوم الجمعة والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها ركب تنكرز إلى قلعة جمبر ومعه الجيش والمناجنيق فهابوا شهراً وخسة أيام وعادوا سالمين . وفي ثامن صفر فتحت الخانقاه التي أنشأها سيف الدين قوصون الناصري خارج باب القرافة ، وتولى مشيختها الشيخ فحمس الدين الأصهباني المتكلم . وفي عاشر صفر خرج ابن جملة من السجن بالقلعة وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر بدار السلطنة بقراباغ ، وهي منزله في الشتاء ، ثم نقل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريبا من السلطانية مدينة أبيه ، وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلت الرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يبق للتتار قائمة ، بل اختلفوا ففرقوا شذر مندر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكأون من ذرية أبغا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلا .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأردبيلي عوضا عن كمال الدين ابن الشيرازي توفي ، وحضر عنده القضاة . وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الامام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضا عن بدر الدين الأردبيلي ، تركها لما حصلت له بالناصرية الجوانية ، وبعده بيوم درس بالنجيبية كاتبه إسماعيل ابن كثير عوضاً عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان وكان درسا حافلا أثنى عليه الحاضرون وتعجبوا من جمعه وترتيبه ، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى [إنما يخشى الله من عباده العلماء] وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل . وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني عوضا عن علاء الدين ابن القلانسي توفي ، وحضر عنده القضاة والاعيان ، وكان يوما مطيرا .

وفي أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بديار مصر واشتد ذلك إلى شهر رمضان، وتوجه خلق كثير في رجب إلى مكة نحواً من ألفين وخمسمائة، منهم عز الدين ابن جماعة، ونفر الدين النويري وحسن السلمي، وأبو الفتح السلمي، وخاق وفي رجب كملت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه بأسورة ورسم باستمرار فتحه إلى بعد العشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب، وكان قبل ذلك يغلق من المغرب. وفي سلخ رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين ابن خيلخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب فيه الشيخ الامام العلامة فحمس الدين ابن قيم الجوزية. وفي ثاني شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضي علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل، عوضاً عن كمال الدين ابن الأثير، عزل وراح إلى مصر. وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر الدرس بالأمينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي. وفي العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبي الطيب بنظر الخزانة مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال، وبعد وفاة ابن القلانسي بشهور.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطاودمر الخليلي. ومن حج فيه قاضي طرابلس محيي الدين بن جهل، والفخر المصري، وابن قاضي الزبداني، وابن العز الحنفي، وابن غاتم والسغاوي وابن قيم الجوزية، وناصر الدين بن البربوه الحنفي، وجاءت الأخبار بوقعة جرت بين التتار قتل فيها خلق كثير منهم، وانتصر على باشا وسلطانته الذي كان قد أقامه، وهو موسى كاوون على أرباكاوون وأصحابه، قتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة، وجرت خطوب كثيرة طويلة، وضربت البشائر بدمشق.

وفي ذي القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا بسبب إكالة البطائن في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، ولم يكن قبل ذلك له بطائن. وفي يوم الأربعاء سابع الحجة ذكر الدرس بالشبلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي، وهو ابن سبع عشرة سنة، وحضر عنده القضاة والأعيان، وشكروا من فضله ونباهته، وفرحوا لأبيه فيه. وفيها عزل ابن النقيب عن قضاء حلب ووليها ابن خطيب جسرين، وولى الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد خطيب بيت الأبار، خلع عليه السلطان. وفي ذي القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكني وأهله، وأن يمنعوا من الاجتماع، فأل أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور.

ومن توفي فيها من الأعيان. السلطان أبو سعيد ابن خوربندا

وكان آخر من اجتمع قتل التتار عليه، ثم تفرقوا من بعده.

الشيخ البندنيجي

فحمس الدين علي بن محمد بن محمود بن عيسى البندنيجي الصوفي، قدم علينا من بغداد شيخنا

كبيراً راوياً لأشياء كثيرة ، فيها صحيح مسلم والترمذي وغير ذلك ، وعنده فوائد ، ولد سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وكان والده محدثاً فاسمعه أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بدمشق رابع المحرم .

قاضي قضاء بغداد

قطب الدين أبو الفضائل محمد بن عمر بن الفضل التبريزي الشافعي المعروف بالأحوس ، سمع شيئاً من الحديث واشتغل بالفقهاء والأصول والمنطق والعربية والمعاني والبيان ، وكان بارعاً في فنون كثيرة ودرس بالمستنصرية بعد الماقلولي . وفي مدارس كبار ، وكان حسن الخلق كثير الخير على الفقراء والضعفاء ، متواضعاً يكتب حسناً أيضاً ، توفي في آخر المحرم ودفن بترتبة له عند داره ببغداد رحمه الله .

الأمير صارم الدين

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر ، المعروف بالمرزال ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضر جيداً ، ولما توفي يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بترتبة له عند حمام العديم .

الأمير علاء الدين مغلطاي الحازن

نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفرى من الغرب ، كان رجلاً جيداً ، له أوقاف وبر صدقات ، توفي يوم الجمعة بكرة عاشر صفر ، ودفن بتربته المذكورة .

القاضي كمال الدين

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وفقه على الشيخ تاج الدين الفزارى ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وحفظ مختصر المزني ودرس في وقت بالبادرائية ، وفي وقت بالشامية البرانية ، ثم ولى تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدراً كبيراً ، ذكر لقضاء قضاء دمشق غير مرة ، وكان حسن المباشرة والشكل ، توفي في ثالث صفر ودفن بتربتهم بسفح قاسيون رحمه الله .

الأمير ناصر الدين

محمد بن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن المادل ، كان شيخاً مسناً قد اعتنى بصحيح البخاري يختصره ، وله فهم جيد ولديه فضيلة ، وكان يسكن المزة وبها توفي ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربع وسبعون سنة ، ودفن بتربتهم بالمزة رحمه الله .

علاء الدين

علي بن شرف الدين محمد بن القلانسي قاضي السكر ووكيل بيت المال ، وموقع الدست ، ومدرس الأئمنية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثم سلبها كلها سوى التدريس ، وبقي معزولاً إلى حين أن توفي بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودفن بتربتهم .

عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين

محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، ويعرف بابن القلانسي ، محتسب دمشق وناظر الخزانة ، كان محمود المباشرة ، ثم عزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون .

الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد الحمصي

تم الدمشقي مؤذن البربوة خمساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر وتعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها ، وكان محلولا في دينه ، توفي في جمادى الأولى أيضا .

الأمير شهاب الدين بن برق

متولى دمشق ، شهد جنازته خباق كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأثني عليه الناس .

الأمير فخر الدين ابن الشمس لؤلؤ

متولى البر ، كان مشكورا أيضا ، توفي رابع شعبان ، وكان شيخا كبيرا ، توفي ببستانه ببیت لها ودفن بتربته هناك وترك ذرية كثيرة رحمه الله .

عماد الدين إسماعيل

ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صغير بن القيسرائي ، أحد كتاب الدست ، وكان من خيار الناس ، محببا إلى الفقراء والصالحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصر ثم صار إلى حلب كاتب سرها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلة الأحد ثالث عشر القعدة ، وصلى عليه من الفد بجامع دمشق ، ودفن بالصوفية عن خمس وستين سنة ، وقد سمع شيئا من الحديث على الأبرقوهي وغيره .

وفي ذي القعدة توفي شهاب الدين ابن القديسة المحدث بطريق الحجاز الشريف . وفي ذي الحجة توفي الشمس محمد المؤذن المعروف بالنجار ويعرف بالبقى ، وكان يتكلم وينشد في المحافل والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبع مائة

استهلت بيوم الجمعة والخليفة المستنفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ونائب الشام تنكز بن عبد الله الناصري ، والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب السر فانه علم الدين بن القطب ، وإلى البر الأمير بدر الدين بن قطلوبك ابن شنشكير ، وإلى المدينة حسام الدين طرقاتي الجوكنداري .

وفي أول يوم منها يوم الجمعة وصات الأخبار بأن علي باشا كسر جيشه ، وقيل إنه قتل ، وصات كتب الحاجاج في الثاني والعشرين من المحرم نصف مشقة كثيرة حصلت للحجاج من

موت الجلال وإلقاء الأحمال ومشى كثير من النساء والرجال ، فاما الله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

وفي آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضي حسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي بغداد ، وكان والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان الكردي ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدي فأقاموا ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الحنفية كما سيأتي ، واستوزر الثاني وأمر الثالث . وفي يوم عاشوراء أحضر شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين بن اللبان الفقيه الشافعي إلى مجلس الحكم الجلالى ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله محمد الدين الأقصري شيخ الشيوخ ، وشهاب الدين الأصمبهاى ، قاضى عليه بأشياء منكورة من الحلول والانحداد والغلو فى القرمطة وغير ذلك ، فأقر ببعضها فحكم عليه بمحقن دمه ثم توسط فى أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومنع من الكلام على الناس ، وقام فى صفه جماعة من الأمراء والاعيان . وفى صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم أتلّف دورا ودكا كين عديدة .

وفى ربيع الأول ولد للسلطان ولد فدقت البشار وزينت البلاد أياما . وفى منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساكن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين رحمه الله ، وله مقاصد حسنة صالحة ، وهو فى نفسه رجل جيد . وفيه أفرج عن الخليفة المستكفى وأطلق من البرج فى حادى عشرين ربيع الآخر ولزم بيته . وفى يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة فى جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيدير بن عبد الله الخطيرى ، ومات بعد ذلك باثنى عشر يوما رحمه الله ، والثانى أنشأته امرأة يقال لها الست حديق دادة السلطان الناصر عند قنطرة السباع . وفى شعبان سافر القاضى شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب فى الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي . وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة ، مع ما بيده من نظر الأوقاف وغيره . وفيه أمر الأمير ناظر القدس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفى عاشر رمضان قدمت من مصر مقدمتان ألفتان إلى دمشق سائرة إلى بلاد سويس ، وفيهم علاء الدين ، فاجتمع به أهل الدلم وهو من أفاضل الحنفية ، وله مصنفات فى الحديث وغيره . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر شوال وأسيره بهادر قبجق ، وقاضيه محيى الدين الطرابلسى مدرس الحصية ، وفى الركب تقي الدين شيخ الشيوخ وعماد الدين ابن الشيرازى ، ونجم الدين الطرسوسى ، وجمال الدين المرداوى ، وصاحبه شمس الدين ابن مفلح ، والصدر المالكى

والشرف ابن القيسرائي ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .
وفي ذي القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سبب سبع قلاع ، وحصل لهم
خير كثير والله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك . وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ
وذووه . وفيها نفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريبا من
مائة نفس إلى بلاد قوص ، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ علاء الدين بن غانم
أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدمي ^(١) أحد الكبار المشهورين بالفضائل
وحسن الترتيل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة التامة ، مولده سنة إحدى وخمسين وستائة ،
وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن والتنبية ، وياشر الجهات ، وقصده الناس في الامور المهمات
وكان كثير الاحسان إلى الخاص والعام . توفي مرجعه من الحج في منزلة تبوك يوم الخميس ثالث عشر
الحرم ، ودفن هناك رحمه الله ، ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد في شهر رمضان ، وكان أصغر منه
سنا بسنة ، وكان فاضلا أيضا بارعا كثير الدعاة .

الشرف محمود الحريري

المؤذن بالجامع الأموي ، بنى حماما بالنيرب ، ومات في آخر الحرم .

الشيخ الصالح العابد

ناصر الدين بن الشيخ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الجبيري ثم المصري ،
ولد سنة خمسين وستائة بقلعة جبر ، وسمع مصحح مسلم وغيره ، وكان يتكلم على الناس ويعظمهم
ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة ، توفي في الرابع والعشرين
من الحرم ، ودفن بزاويتهم عند والده خارج باب النصر .

الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفي

أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن قاضي الحنفيين ويعرف بابن عبد الحق الحنفي ،
شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعا فاضلا دينيا ، توفي في ربيع الأول .

الشيخ عماد الدين

إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي الامام العالم
العابد شيخ الحنابلة بها وقيهم من مدة طويلة ، توفي في ربيع الاول .

الشيخ الامام العابد الناسك

عبد الدين عبد الله بن أحمد بن الحب عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

(١) في شذرات الذهب . « المنشي » .

عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطبايع وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسنة في الجامع الأموي وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيده مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحبه ويحب قراءته ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، وبلغ خمسا وخمسين سنة .

المحدث البارع المحصل المفيد المخرج المجيد

ناصر الدين محمد بن طغرل بن عبد الله الصيرفي أبوه ، اخلوارزمي الأصل ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريع القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرج شيئا كثيرا ، وكان بارعا في هذا الشأن ، رحل فأدركته منيته بحمأة يوم السبت ثاني ربيع الأول ، ودفن من القند بمقابر طيبة رحمه الله .

شيخنا الامام العالم العابد

شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي ، إمام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسمت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعائة مرجعنا من القدس كثيرا من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتية الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح ، توفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد

إبراهيم المرشدي المقيم بمنية مرشد ، يقصده الناس للزيارة ، ويضيف الناس على حسب مراتبهم وينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئا فيما يبدو للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دهروط ، وأقام بالقاهرة مدة واشتغل بها ، ويقال إنه قرأ التنبيه في الفقه ، ثم انقطع بمنية مرشد واشتهر أمره في الناس وحج مرات ، وكان إذا دخل القاهرة يزدحم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودفن بزاويته ، وصلى عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها .

الامير اسد الدين

عبد القادر بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان يأتي كل سنة من مصر إلى دمشق ويكرم أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بني أيوب أعلا سنامنه ، توفي بالرملة في سلخ رمضان رحمه الله .

الشيخ الصالح الفاضل

حسن بن إبراهيم بن حسن الحاككي الحكري إمام مسجد هناك ، ومذكر الناس في كل جمعة ،

ولديه فضائل ، وفي كلامه نفع كثير إلى أن توفي في العشرين من شوال ، ولم ير الناس مثل جنازته
بديار مصر رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة

استهلت بيوم الأربعاء والخليفة المستكفي منفي ببلاد قوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوذ به ،
وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، ولانائب بديار مصر ولا وزير ، ونائبه بدمشق
تسكز ، وقضاة البلاد ونوابها ومباشرها المذكورون في التي قبلها . وفي ثالث ربيع الأول رسم
السلطان بقسفير على ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الفيوم
يقيمون به . وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة
السرو ضرب وصور ، ونكب بسببه القاضي نغر الدين المصري ، وعزل عن مدرسته الدولية وأخذها
ابن جملة ، والعامالية الصغيرة بأمرها ابن النقيب ، ورسم عليه بالمعذراوية مائة يوم ، وأخذ شيء من ماله .
وفي ليلة الأحد ثالث عشر من ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر وأعقبها
رعد وبرق وبرد بقدر الجوز ، وهذا شيء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاولة بتلك البلاد . وفي عاشر
جمادى الأولى استهل الغيث بمكة من أول الليل ، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل لم ير مثله
من دهر طويل ، غمر دورا كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جماعة وكسر أبواب المسجد ،
ودخل الكعبة وارتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاها الشيخ عفيف الدين
الطبري . وفي سابع عشرين من جمادى الأولى عزل القاضي جلال الدين عن قضاء مصر ، واتفق
وصول خبر موت قاضي الشام ابن المجد بعد أن عزل بيسير ، فولاه السلطان قضاء الشام فصار إليها
راجعا عوداً على بدء ، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية ، وعزل قاضي
الحنابلة تقي الدين ، ورسم على ولده صدر الدين بأداء ديون الناس إليهم ، وكانت قريباً من ثلثمائة
ألف ، فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام طلب السلطان
أعيان الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عن من يصالح للقضاء بمصر فوقع الاختيار على القاضي عز الدين
ابن جماعة ، فولاه في الساعة الراهنة ، وولى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي
بغداد ، وخرجا من بين يديه إلى المدرسة الصالحية ، وعليهما الخلع ، ونزل عز الدين بن جماعة عن
دار الحديث الكاملية لصاحبه الشيخ عماد الدين الديماطي ، فدرس فيها وأورد حديث «إنما الأعمال
بالنيات» . بسنده ، وتسكلم عليه . وعزل أكثر نواب الحكم واستمر بمضهم ، واستمر بالنادي
الذي أشار بتوليته . ولما كان يوم خامس عشرين منه ولى قضاء الحنابلة الامام العالم موفق الدين
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي عوضاً عن المعزول ، ولم يبق من القضاة سوى
الاخنائي المالكي .

وفي رمضان فتحت الصبائية التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب الناجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربة شنيعة قبل ذلك . وفي رمضان باشر علاء الدين علي ابن القاضي محي الدين بن فضل الله كتابة السرب بمصر بعد وفاة أبيه كما سيأتي ترجمته ، وخلع عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدين إلى الحج . وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصر بردكا لبيض وكالمان ، فأتلف شيئا كثيرا ، ذكر ذلك البرزالي ونقله من كتاب الشهاب الدمياطي . وفي ثالث عشر من رمضان درس بالقبة المنصورية بمشيخة الحديث شهاب الدين المسجدي عوضا عن زين الدين الككناني توفي ، فأورد حديثا من مسند الشافعي بروايته عن الجاولي بسنده ، ثم صرف عنها بالحجة بالشيخ أنيرالدين أبي حيان ، فساق حديثا عن شيخه ابن الزبير ودعا للسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ذي القعدة حضر تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة شمس الدين ابن النقيب عوضا عن القاضي جمال الدين ابن جملة توفي ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ثاني ذي الحجة درس بالمعادية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضا عن الشيخ شمس الدين بن النقيب بحكم ولايته الشامية البرانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر درس القاضي صدر الدين بن القاضي جلال الدين بالتابكية ، وأخوه الخطيب بدر الدين بالغزالية والمعادية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الامير الكبير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى ابن التركماني

باني جامع المقياس بديار مصر في أيام وزارته بها ، ثم عزل أميرا إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفي بها في خامس ربيع الآخر ، وتوفي بالحسينية ، وكان مشكورا رحمه الله ، انتهى .

قاضي القضاة شهاب الدين

محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين بن علي الرازي الاربلي الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، قاضي الشافعية بدمشق ، ولد سنة ثنتين وستين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل وأفتى سنة ثلاث وتسعين ، ودرس بالاقبالية ثم الرواحية وتربة أم الصالح ، وولى وكالة بيت المال ، ثم صار قاضي قضاة الشام إلى أن توفي بمسجل جمادى الأولى بالمدرسة المعادية ، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ الإمام العالم بن المرحل

زين الدين محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن عبيد الصمد بن المرحل مدرس الشامية البرانية والمندراوية بدمشق ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، وكان فاضلا بارعا قديما

أصوليا مناظرا ، حسن الشكل طيب الأخلاق ، دينا صينا ، وفاب في وقت بدمشق عن علم الدين الأحنائي فحمدت سيرته ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع عشر رجب ، ودفن من الغد عند مسجد الدين في تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضي جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان فقط ، وقدم بعده القاضي برهان الدين عبد الحق بخمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضا ، وباشر بعده تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة جمال الدين ابن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة . وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي :

قاضي القضاة جمال الدين الصالحى

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن همام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعى المحمى والده ، بالمدرسة السرورية وصلى عليه عقيب الظهر يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده في أوائل سنة ثنتين وثمانين وسبعمائة ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وحدث وكان رجلا فاضلا في فنون ، اشتغل وحصل وأفتى وأعاد ودرس ، وله فضائل جمة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحرمة وأفرة ، وفيه تودد وإحسان وقضاء للحقوق ، وولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالا ، ودرس بمدارس كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله .

شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن البارري

شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن القاضى شمس الدين أبى الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجبىنى الحموى ، المعروف بابن البارزى قاضى القضاة بحماة ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة فى الفنون العديدة ، ولد فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وسمع الكثير وحصل فنونا كثيرة ، وصنف كتبها جما كثيرة ، وكان حسن الأخلاق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد فى الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، وأذن لجماعة من البلد فى الافتاء ، وعى فى آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ، وهو فى ذلك لا يقطع نظره عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء العشرين من ذى القعدة بعد أن صلى العشاء والوتر ، فلم تفته فرضة ولا نافلة ، وصلى عليه من الغد ودفن بعقبة قبرين ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة .

الشيخ الامام العالم

شهاب الدين أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ، شارح الجامع الكبير ، وكان رجلا صالحا منقطعا عن الناس ، وانتفع الناس به ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن والعشرين من رجب ، وكانت

له معرفة بالعربية والقراءات ، ومشاركات في علوم آخر رحمه الله ، والله أعلم .

القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب السر

هو أبو المعالي محي بن فضل الله بن المحلى بن دعجان بن خلف المدوى العمرى ، ولد في حادى عشر شوال سنة خمس وأربعين وستائة بالكرك ، وجمع الحديث وأسمعه ، وكان صدرا كبيرا معظما في الدولة في حياة أخيه شرف الدين وبعده ، وكتب السر بالشام والديار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع رمضان بديار مصر ، ودفن من القصد بالقرافة وتولى المنصب بعده ولده علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

الشيخ الإمام العلامة ابن الكتانى

زين الدين ابن الكتانى ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى الأصل ، ولد بالقاهرة في حدود سنة ثلاث وخمسين وستائة ، واشتغل بدمشق ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى بها بعض الأقضية بالحكر ، ثم ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ، ودرس بمدارس كبار ، ولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية ، وكان بارعا فاضلا ، عنده فوائد كثيرة جدا ، غير أنه كان سىء الأخلاق منقبضا عن الناس ، لم يتزوج قط ، وكان حسن الشكل بهى المنظر ، يأكل الطيبات ويلبس اثنين من الثياب ، وله فوائد وفرائد وزوائد على الروضة وغيرها ، وكان فيه استهتار لبعض العلماء فأنه يسأله ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودفن بالقرافة رحمه الله انتهى .

الشيخ الإمام العلامة ابن القويح

ركن الدين بن القويح ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الوسى الهاشمى الجعفرى التونسى المالكى ، المعروف بابن القويح ، كان من أعيان الفضلاء وسادة الأذكياء ، ممن جمع الفنون الكثيرة والمعلوم الأخرى الدينية الشرعية العلمية ، وكان مدرسا بالنكود مريّة ، وله وظيفة في المارستان المنصورى ، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذى الحجة ، وترك مالا وأثانا ورثه بيت المال .

وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالى في كتابه الذى ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسى ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغى من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها آمين . وإلى هنا انتهى ما كتبت من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا والله الحمد والمنة . وما أحسن ما قال الحريرى !

وإن نَجَّدَ عيباً فسدَ الخُللاً • فجلَّ مَنْ لا عيبَ فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن صنو القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين . (١)

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

استهلت وسلطان الاسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ولا وزير أيضا بمصر ، وقضاة مصر ، أما الشافعي فقاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، وأما الحنفي فقاضي القضاة حسام الدين الغوري ، حسن بن محمد ، وأما المالكي فتقي الدين الأخنائي ، وأما الحنبلي ففوق الدين بن نجما المقدسي ، ونائب الشام الأمير سيف الدين تنكز وقضاته جلال الدين التزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي .

ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكرية وباشتر مشيخة الحديث بها الشيخ الامام الحافظ مؤرخ الاسلام محمد بن قيس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثا لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون ورطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون فترا يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام وقارئ حديث ونواب ، ولقارئ الحديث عشرون درهما وثمان أواق خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكاالتها وبنائها ، وهي نجاة دار الذهب التي أنشأها الواقف الأمير تنكز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشاشيين بباب الفرج ، طوله عشرون ذراعا شرقا وغربا ، سماه في كتاب الوقف ، وبندر زيردين ، وحمام بمحصر وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصا في قرايا أخر ، ولكنه تغلب على ماعدا القشاشيين ، وبندر زيردين ، وحمام حصص .

وفيها قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية حاكما على دمشق وأعمالها ، وفرح الناس به ، ودخل الناس يسلمون عليه لعلمه وديانته وأمانته ، ونزل بالعادية الكبيرة على عادة من تقدمه ، ودرس بالفزالية والاتبكية ، واستناب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء ، ثم استناب ابن عمه أبا الفتح ، وكانت ولايته الشام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم التزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان في الحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

العلامة قاضي القضاة فخر الدين

عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جسر بن الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان

إماماً صنّف شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ، وشرح البديع لابن الساعاتي ، وله فوائد غزيرة ومصنفات جليلة ، تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن النقيب ، ثم طلبه السلطان فلت هو وولده الكمال وله بضع وسبعون سنة . ومن توفى فيها

قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

القزويني الشافعي ، قدم هو وأخوه أيام النورمن بلادهم إلى دمشق ، وهما فاضلان ، بعد التسعين وستائة فدرس إمام الدين في تربة أم الصالح وأعاد جلال الدين بالبادية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن ولي إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضي بدر الدين ابن جماعة ، ثم هرب سنة قازان إلى القبط المصرية مع الناس فأت هناك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخلت خطابة البلاد سنة ثلاث وسبعائة ، فولها جلال الدين المذكور ، ثم ولي القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن عجز قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر في عينيه فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تمصّب عليه السلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، ونفاه إلى الشام ، وانفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله كما تقدم ، فولاه السلطان قضاء الشام عوداً على بدء ، فاستناب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذي هو خطيب دمشق ، كانت وفاته في أواخر هذه السنة ، ودفن بالصوفية ، وكانت له يد طول في المعاني والبيان ، ويفتي كثيراً ، وله مصنفات في المعاني مصنف مشهور [اسمه للتلخيص] اختصر فيه المفتاح للسكاكي ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السبعين أو جاوزها . ومن توفى فيها رابع الحجة يوم الأحد :

الشيخ الإمام الحافظ ابن البرزالي

علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي مؤرخ للشام الشافعي ، ولد سنة وفاة الشيخ ابن أبي شامة سنة خمس وستين وستائة ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولد البرزالي إلى أن توفى في هذه السنة ، وهو محرم ، ففسل وكفن ولم يستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يبكون حوله ، وكان يوماً مشهوداً ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرج له المحدث شمس الدين ابن سعد مشيخة لم يكملها ، وقرأ شيئاً كثيراً ، وأسمع شيئاً كثيراً ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل العلم ، سمعت العلامة ابن تيمية يقول : نقل البرزالي نقر في حجر . وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرّمونه ، وكان له أولاد ماتوا قبله ، وكتبت ابنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلداً مقابلها لها ، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزني تحت القبة ، حتى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها الناس ، وكان شيخ حديث بالنورية

وفيها وقف كتبه بدار الحديث السفية ، و بدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره وعلى كراسي الحديث ، وكان متواضعا محببا إلى الناس ، متوددا إليهم ، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

المؤرخ شمس الدين

محمد بن إبراهيم الجوزي ، جمع تاريخا حافلا ، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالزلي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله ، وكان شيخا قد جاوز الثمانين ، ، ونقل ممة وضف خطه ، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه محمد الدين .

ثم دخلت سنة أربعين وسبع مائة

استمرت هذه السنة وساطان المسلمين الملك الناصر ، وولاته وقضاته المذكورن في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي . ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رؤس النصاري اجتمعوا في كنيسهم وجمعوا من بينهم مالا جزيلافدفعوه إلى راهبين قدما عليها من بلاد الروم ، يحسنان صنعة النفط ، اسم أحدهما ملاني والآخر عازر ، فعملا كحطام من نفط ، وتناحفا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا في شقوق دكا كين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكا كين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما في زى المسلمين ، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا بالنار قد عملت في تلك الدكا كين حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق المذكور ، وأحترقت الدرابزينات ، وجاء نائب السلطنة تنكز والأمرأه الأمرأه الأنوف وصعدوا المنارة وهي تشمل نارا ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق والله الحمد والمنة ، وأما المأذنة فانها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلام فهدمت وأعيد بناؤها بمجاعة جدد ، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالرجال والمقصود أن النصاري بعد ليال عمدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكاملها ، وبما فيها من الأقواس والمدد ، فأنفقه وإنا إليه راجعون ، وتطابشر شرر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم الا وصول النار إلى معبد المسلمين ، فحال الله بينهم وبين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والأمرأه وحالوا بين الحريق والمسجد ، جزاهم الله خيرا . ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤس النصاري فأمسك منهم نحو من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات ، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجبال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتأوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله ، انتهى

والله أعلم . سبب مسك تنكز

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة جاء الأمير طشتمر من صفد مسرعاً وركب جيش دمشق ملبساً ، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعاً إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقفوا على باب النصر ، وكان أراد أن يلبس ويقابل فذلوه في ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السلطان سامعاً طبعاً ، فخرج بلا سلاح ، فلما برز إلى ظاهر البلد التف عليه الفخرى وغيره ، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية الكسوة ، فلما كان عند قبة يلبغوا نزلوا وقيدوه وخصايه من قصره ، ثم ركب البريد وهو مقيد وساروا به إلى السلطان ، فلما وصل أمر بمسيره إلى الاسكندرية ، وسألوا عن ودائمه فأقر ببعض ، ثم عوقب حتى أقر بالباقي ، ثم قتلوه ودفنوه بالاسكندرية ، ثم نقلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله ، وقد جاوز الستين ، وكان عادلاً مهيباً عفيف الفرج واليد ، والناس في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة فرحمه الله ، وبلى بالرحمة نراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصغد ، وجامع بنابلس وعجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شباكا في المسجد ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان : أمير المؤمنين المستكفي بالله

أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بن العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العباسي ، البغدادي الأصل والمولد ، مولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة أو في التي قبلها ، وقرأ واشتغل قليلاً ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمائة ، وفوض جميع ما يتعلق به من الحل والعقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو التتر فشهد مصاف شقحب ، ودخل دمشق في شعبان سنة اثنتين وسبعمائة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وأنزل بالكرك التمس الأمراء من المستكفي أن يسلم من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له اللواء وألبسه خلعة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعذر الخليفة في فعله ، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص فتوفي في هذه السنة في قوص في مستهل شعبان .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء وسلمان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها ، وليس في دمشق نائب سلطنة ، وإنما الذي يسد الأمور الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر ، الذي جاء بالقبض على الأمير سيف الدين تنكز ،

ثم جاء الرسوم بالرجوع إلى صفد فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده ، وحواصل الأمير تنكز تحت الحوطة كما هي .

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء الأمير سيف الدين بشتك الناصري ومعه برصيف الحاجب ، وطاشار الدويدار وبنعراو بطا ، فنزل بشتك بالقصر الأباقي والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان لما توهبوا من ممالأة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، والحوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام وتجهزها للديار المصرية . وفي صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق نائباً ، وتلقاه الناس وبشتك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبته فقبلوا العتبة الشريفة ، ورجعوا معه إلى دار السعادة ، وقرئ تقليده . وفي يوم الاثنين ثالث عشره مسك من الأمراء المقدمين أميران كبيران الجي بغا العادلي ، وطنبغا الحجي ، ورفعا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما . وفي يوم الثلاثاء تمحوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية . وفي يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصري والحاجة رقطية وسيف الدين قطلو بغا الفخري وجماعة من الأمراء المقدمين واجتمعوا بسوق الخيل واستدعوا بمملوكي الأمير سيف الدين تنكز وهما جفای وطفای . فأمر بتوسيطهما فوسطا وعلقا على الخشب ونودي عليهما : هذا جزاء من تجامر على السلطان الناصر .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة اسكندرية ، قبل مخنوقا وقيل مسموماً وهو الأصح ، وقيل غير ذلك ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفي كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن إقامته على ذوى الحاجات وغيرهم ، ويشند تأسفهم عليه رحمه الله . وقد أخبر القاضي أمين الدين ابن القلانسي رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وتوفي يوم الثلاثاء وصلى عليه بالاسكندرية ودفن بمقبرتها في الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القباري ، وكانت له جنازة جيدة .

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشنمر الذي مسك تنكز إلى دمشق فنزل بوطة برزة بمحيشه ومن معه ثم توجه إلى حلب المحروسة نائباً بها عوضاً عن الطنبغا المنفصل عنها وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودي في البلد بمجنازة الشيخ الصالح العابد

الناسك القدوة الشيخ محمد بن تمام توفي بالصالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفرى ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضاقت الجامع المذكور عن أن يسلمهم ، وصلى الناس في الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيرا جدا لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية منها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالا ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمرأه وجمهور الناس يقاربون عشرين ألفا ، وانتظر الناس نائب السلطنة فاشتغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية ، فصلى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفرى ، ودفن عند أخيه في تربة بين تربة الموفق وبين تربة الشيخ أبى عمر رحمهم الله وإيانا .

وفي أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة قارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزي عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر وصلى عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربى قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديمة النظير في نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقراءها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح ، يعجز كثير من الرجال عن تجويده ، وختمت نساء كثيرا ، وقرأ عليها من النساء خاق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهداها في الدنيا ، وتقلها منها ، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أنفقتها في طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسنا إليها مطيعا ، لا يكاد يخالفها لحبه لها طبعيا وشرعا فرحمها الله وقدس روحها ، ونور مضجعا بالرحمة آمين .

وفي يوم الأربعاء والعشرين منه درس بمدرسة الشيخ أبى عمر بسفح قاسيون الشيخ الامام فحمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى ، في التدريس البكتمرى عوضا عن القاضي برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده المقدسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوحل يومئذ . وتكامل عمارة المنارة الشرقية في الجامع الأموى في العشر الأخير من رمضان ، واستحسن الناس بناءها وإتمامها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن في الاسلام منارة مثلها والله الحمد . ووقع لكثير من الناس في غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التى ذكرت في حديث النواس بن سمعان في نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء في شرق دمشق ، فدل لفظ الحديث انقلاب على بعض الرواة ، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر شوال عقد مجلس في دار العدل بدار السعادة وحضرته يومئذ واجتمع القضاة والأعيان على العادة وأحضر يومئذ عثمان الدكاكى قبحه الله تعالى ، وادعى عليه بمظالم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلاج ولا عن ابن أبى الغدافر السلماني ، وقامت عليه البينة بدعوى الآلهية

لعنه الله ، وأشياء أخر من التنقيص بالأنبياء ومخالطته أرباب الريب من الباجريقية وغيرهم من
الانحادية عليهم لعائن الله ، ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الحنبلي وتضمن
ذلك تكفيره من المالكية أيضاً ، فادعى أن له دوافع وقوادح في بعض الشهود ، فرد إلى السجن مقيداً
مفلولاً مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأيبده ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة
أحضر عثمان الدكاكي المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدي الأمراء والقضاة وسئل عن
القوادح في الشهود فمجز لم يقدر ، وعجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم ، فسئل القاضي المالكى الحكم
عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم بأراءة دمه وإن تاب ، فأخذ المذكور فضربت
رقبته بدمشق بسوق الخليل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الانحادية ، وكان يوماً
مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايخ ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ ،
وشيخنا الحافظ فحمس الدين الذهبي ، وتكلموا وحرصوا في القضية جداً ، وشهدا بزندقة المذكور
بالاستفاضة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة
المالكى والحنفى والحنبلى ، وم نفذوا حكمه في المجلس فحضروا قتل المذكور وكنت مباشراً لجميع
ذلك من أوله إلى آخره .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة أفرج عن الأميرين العقيلين بالقلمة وهما
طنبغا حجا والجي بنا ، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكز للذين تأخروا بالقلمة ، وفرح الناس
بذلك .

ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون

في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف
الدين قطلوبغا الفخرى فخرج نائب السلطنة وعامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ،
فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد
العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أنوك ، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين
أبى بكر ولقبه بالملك المنصور ، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد
ولى عليه الأمير علم الدين الجاولى ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن
محمد بن إبراهيم الجمبرى ، وشخص آخر من الجبارية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولى عهده
دفنه ، ولم يخرج من القلمة ليلتذ عن مشورة الأمراء لتلايتخط الناس ، وصلى عليه القاضي
عز الدين بن جماعة إماما ، والجاولى وايدغمش وأمير آخر والقاضى بهاء الدين بن حامد بن قاضى
دمشق السبكى ، وجلس انلك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المالى أبو بكر على سرير المملكة .
وفي صبيحة يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، بإيعه

الجيش المصرى ، وقدم الفخرى لأخذ البيعة من الشاميين ، ونزل بالقصر الأبلق وبيع الناس للملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة بدمشق صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وترحوا على الملك ودسوا له وتأسفوا عليه رحمه الله . ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

استهلت بيوم الأحد وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، وقائب الشام الأمير علاء الدين طنبغا وقضاة الشام ومصرهم المذكورون فى التى قبلها ، وكذا المباشرون سوى الولاية شهر الله المحرم . ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله وفى هذا اليوم بيع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكن بالله أبى الربيع سليمان العباسى ولبس السواد وجلس مع الملك للمنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلة سوداء أيضاً ، فجلسا وعليهما السواد ، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة مشتملة على أشياء من المواعظ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلع يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك ، وولى أباه إسحاق إبراهيم ابن أخى أبى الربيع ، ولقبه الوائق بالله ، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة فغزله المنصور وقرأ أبو القاسم هذا ، وأمضى المهدي ولقبه المستنصر بالله كاذباً .

وفى يوم الأحد فلما فى الحرم مسك الأمير سيف الدين بشتك الناصرى آخر التهانى ، وكان قد كتب تقليده بباية الشام وخلع عليه بذلك وبرز فله ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به وأجلسه وأحضر طعاماً وأكل ، وتأسف الملك على فراقه ، وقال : تنهب وتتركنى وحدى ، ثم قام لتوديعه وذهب بشتك من بين يديه نمائى خطوات أو نحوها ، ثم تقدم إليه ثلاثة نفر قطع أحدهم سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فكه وكنتفه الآخر ، وقيدوه وذلك كله بحضور السلطان ، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار ، ثم قالوا للمالكة : اذهبوا أنتم فائتوا بمركب الأمير فداً ، فهو بائت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من الأمراء وتسعة من الكبار ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملاكه ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار ، وسبعمائة ألف دينار .

وفات شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزرى

نمرض أليماً يسيرة مرضاً لا يشغل عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس ، وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادى عشر صفر أجمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله ليتوضأ

ويذهب للصلاة فاعترضه في باطنه منصف عظيم، ظن أنه قولنج، وما كان إلا طاعون، فلم يقدر على حضور الصلاة، فلما فرغنا من الصلاة أخبرنا بأنه منقطع، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد، وصلى الظهر بنفسه، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة، وهو في قوة الوجع ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تغير ذهنه قليلا، فقالت: يا أبة أذن الظهر، فذكر الله وقال: أريد أن أصلي فتيمم وصلى ثم اضطجع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلاتين، رحمه الله يوم السبت ثاني عشر صفر، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة، فلما كان من الغد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم، غسل وكفن وصلى عليه بالجامع الأموي، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة، وخرج بمجنازته من باب النصر، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه ديوان السلطان، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء، فصلوا عليه خارج باب النصر، أهمهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافعي، وهو الذي صلى عليه بالجامع الأموي، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله، عائشة بنت إبراهيم بن صديق، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله أجمعين.

كائنة غريبة جدا

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة للملك الأشرف علاء الدين كحك بن الملك الناصر، وذلك بعد عزل أخيه المنصور، لما صدر عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها من شرب السكر وغشيان المنكرات، وتعاطى ما لا يليق به، ومعاشرة الخاصكية من المردان وغيرهم، قتلوا على خلمه كبار الأمراء لما رأوا الأمر تنافس إلى الفساد العريض فأحضروا الخليفة الحاكم بأمر الله أبي الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الأمور فحينئذ خلمه وخلمه الأمراء الكبار وغيرهم، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور، وسيرهه إذ ذاك إلى قوص مضيقا عليه ومعه إخوة له ثلاثة، وقيل أكثر، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير، وقاب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري، واستمرت الأمور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء المذكور، وضربت البشائر عشية الخميس مستهل ربيع الأول وخطب له بدمشق يوم الجمعة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية القاضي القضاة تقي الدين السبكي عوضا عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزي، ومشيخة دار الحديث النورية عوضا عن

ابنه رحمه الله . وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحص الأخر قائم في نصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذى بالكرك ، وأنه يستخدم لذلك ويجمع الجوع فله أعلم . وفي العشر الثانى منه وصلت الجيوش صحبة الأمير سيف الدين قطلو بغا الفخرى إلى الكرك فى طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفى هذا الشهر كثر الكلام فى أمر الأمير أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، بسبب محاصرة الجيش الذى صحبة الفخرى له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحص الأخر قائم بجانب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد ، وفى القيام بالمداومة عن الأمير أحمد ، ليصرف عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، ونهياً له نائب الشام بدمشق ، وفادى فى الجيش للمنتقاء ومدافعتهم عما يريد من إقامة الفتنة وشق العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهبوا واستعدوا ، ولحقهم فى ذلك كافة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوفوا أن تكون فتنة ، وحسبوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم العشيرات فى الجبال وحوران ، وتمتعل مصالح الزراعات وغير ذلك ، ثم قدم من حلب صاحب السلطان فى الرسالة إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين الطنبغا ومعه مشافهة ، فاستمع لها فبعث معه صاحب الميسرة أمان الساقى ، فذهبوا إلى حلب ثم رجعا فى أواخر جمادى الآخرة وتوجها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخلى عن محاصرة الكرك .

وفى العشر الأخير من جمادى الأولى توفى ظاهر الدين موسى بن مهنا ملك العرب ودفن بتدمر وفى صبيحة يوم الثلاثاء الثانى جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفى الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قدمنا ، فخطب الجمعة واحدة وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاثة جمع ، وهو مريض إلى أن توفى يومئذ ، وتأسف الناس عليه لحسن شكله وصباحة وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع الناس للصلاة عليه لظفر فأنخر تجهيزه إلى المصر فصلى عليه بالجامع قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وخرج به الناس إلى الصوفية ، وكانت جنازته حافلة جداً ، فدفن عند أبيه بالقرية التى أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله .

وفى يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا وجميع الجيش قاصدين للبلاد الحلبية للقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر ، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذى فى الكرك ، وخرج الناس فى يوم شديد المطر كثير الوحل ، وكان يوماً مشهوداً عصيباً ، أحسن الله العاقبة . وأمر القاضى تقي الدين السبكي الخطيب

المؤذنين بزيادة أذكار على الذى كان سنة فيهم الخطيب بدر الدين من التسبيح والتحميد والتهليل الكثير ثلاثاً وثلاثين ، فزادهم السبكي قبل ذلك : أستغفر الله العظيم ثلاثاً ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم أثبت ما في صحيح مسلم بعد صلاتي الصبح والمغرب : اللهم أجرنا من النار سبعاً ، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً ، وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله (ص) ، يبتدئ الرئيس منفرداً ثم يعيد عليه الجماعة بطريقة حسنة ، وصار ذلك سبباً لاجتماع الناس في صحى الجامع لاستماع ذلك ، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعاً ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخرت الصلاة عن أول وقتها . انتهى .

كائنة غربية جداً

وفي ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى بظاهر دمشق بين الجسورة وميدان الحصو بالأطالاب الذين جاءوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكرك لقمبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فمكثوا على الثنية محاصرين مضيقين عليه إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب ، ومضت هذه الأيام المذكورة ، فما درى الناس إلا وقد جاء الفخرى وجوعه ، وقد بايعوا الأمير أحمد وصموه الناصر بن الناصر ، وخلعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك واعتلوا بصغره ، وذكروا إن أتابكة الأمير سيف الدين قوصون الناصرى قد عدى على ابنى السلطان فقتلها خنقا ببلاد الصعيد : جبر إلهم من تولى ذلك ، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فتنكر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا هذا يريد أن يجتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فحموا لذلك وبايعوا ابن أستاذهم وجاءوا في الذهاب خلف الجيش ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا ، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكابر والقضاة والمباشرين ، مثل والى البر ووالى المدينة وابن سمندار وغيرهم ، فلما كان الصباح خرج أهالى دمشق عن بكرة أبيهم ، على عادتهم في قدوم السلاطين ، ودخول الحجاج ، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه ، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قطلوبغا في دست نيابة السلطنة التى فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعى ، وعن شماله الخنقى على العادة ، والجيش كله محقق به في الحديد ، والمقاربات والبوقات والنشابة السلطانية والسناجق الخليفية والسلطانية تحقق ، والناس في الدعاء والثناء للفخرى ، وهم في غاية الاستبشار والفرح ، وربما قال بعض جهلة الناس من النواب الآخر الذى ذهب إلى حلب ، ودخلت الأطلال بعده على ترتيبهم ، وكان يوماً مشهوداً ، فنزل شرق دمشق

قريباً من خان لاجين ، وبعث في هذا اليوم فرسماً على القضاة والصاحب ، وأخذ من أموال الأيتام وغيرها خمسمائة ألف ، وعرضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ، واستخدم جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة منهم عمر الساقى مقدم ، وابن قراسنقر وابن الكامل وابن المعظم وابن البلدى وغيرهم ، وبايع هؤلاء كلهم مع مباشرى دمشق للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخرى على خان لاجين ، وخرج المتعيشون بالصنائع إلى عندهم وضربت البشار بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر ، ونودي بالبلد إن سلطانكم الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، وفائبكم سيف الدين قطلو بغا الفخرى ، وفرح كثير من الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صفد وبايمه نائب بعلبك ، واستخدموا له رجالاً وجنداً ، ورجع إليه الأمير سيف الدين سنجر الحقدار رأس الميمنة بدمشق ، وكان قد تأخر في السفر عن نائب دمشق علاء الدين الطنبغا ، بسبب مرض عرض له ، فلما قدم الفخرى رجع إليه وبايع الناصر ابن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تفردمر الذى ناب بمصر للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على العسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، فى تجمل عظيم وخزائن كثيرة ، وثقل هائل . وفى صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر ، وفى صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آق سنقر فى جيش غزة ، وهو قريب من ألفين ، فدخلوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى معسكر الفخرى ، فانضافوا إليهم ففرحوا بهم كثيراً ، وصار فى قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكابر التجار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخرى ، يقوى بها جيشه الذى معه ، ومبايع ذلك الذى أراده منهم ألف ألف درهم ، ومعه مرسوم الناصر بن الناصر بببيع أملاك الأمير سيف الدين قوصون ، إتباك الملك الأشرف علاء الدين كجك ، ابن الناصر التى بالشام ، بسبب إياته عن مبايعة أحمد بن الناصر ، فأشار على الفخرى من أشار بأن يباع للتجار من أملاك الخصاص ، ويجمع مال قوصون من الخصاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع للتجار قرية دويه قومت بألف ألف وخمسمائة ألف ، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وتموضوا عن ذلك بمواصل قوصون ، واستمر الفخرى بمن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والاجناد مقيمين بثنية العقاب ، واستخدم من رجال البقاع جماعة كثيرة أكثر من ألف رام ، وأميرهم يحفظ أفواه الطارق ، وأزف قدوم الأمير علاء الدين طنبغا بمن معه من عساكر دمشق ، وجهور الحلبيين وطائفة الطرابلسيين ، وتأهب هؤلاء لهم . فلما كن الخادى من الشهر اشتهر أن الطنبغا وصل إلى القسطل وبعث طلائعه فالتفت بطلائع الفخرى ، ولم يكن بينهم قتال والله الحمد والمنة وأرسل الفخرى إلى

القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء فخرجوا ورجع الشافعي من أثناء الطريق ، فلما وصلوا أمرهم بالسمي بينه وبين الطنبغا في الصلح ، وأن يوافق الفخري في أمره ، وأن يبائع الناصر بن الناصر ، فأبى فردم إليه غير مرة ، وكل ذلك يمتنع عليهم ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشره عند العصر جاء يريد إلى متولى البلد عند العصر من جهة الفخري يأمره بفلق أبواب البلد ، ففلقت الأبواب ، وذلك لأن المسافر توجهوا وتوافقوا للقتال ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وذلك أن الطنبغا لما علم أن جماعة قتلوا بغا على ثنية العقاب دار الذروة من ناحية المعصرة ، وجاء بالجيش من هناك ، فاستدار له الأمير سيف الدين قتلوا بغا الفخري بجماعته إلى ناحيته ، ووقف له في طريقه ، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد ، وانزعج الناس انزعاجا عظيما ، وغلقت القياسر والأسواق وخاف الناس بعضهم من بعض أن يكون نهب ، فركب متولى البلد الأمير ناصر الدين بن بكباشي ومعه أولاده ونوابه والرجالة ، فسار في البلد وسكن الناس ودعوا له ، فلما كان قريب المغرب فتح لهم باب الجابية ليدخل من هو من أهل البلد ، فجرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة ، وتسخط الجند على الناس في هذه الليلة ، واتفق أنها ليلة الميلاد ، وبات المسلمون مهمومون بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقة في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع الطنبغا وأمرأؤه ، واتفق أمرأه دمشق وجهورهم الذين هم معه على أن لا يقتلوا مسلما ولا يسأوا في وجه الفخري وأصحابه سيفا ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه مرارا للصلح ، فأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

عجيبه من عجائب الدهر

فبات الناس متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبغا إلى الفخري خلق كثير من أجناد الحلفاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلا فنفذ الطنبغا القضاة وبعض الأمراء إلى الفخري يتهدده ويتوعده ويقوى نفسه عليه . فمأساروا عنه قليلا لإساقط المسافر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مفرين إلى الفخري ، وذلك لما هم فيه من ضيق العيش وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وعلف الدواب ، وكثرة ما معهم من الكفاف ، فأروا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المقت ، وتطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيما لا يجدي عليه ولا عليهم شيئا ، فبايعوا على الخامرة عليه ، فلم يبق معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كر راجعا هاربا من حيث جاء وصحبته

الأمير سيف الدين رقطبة نائب طرابلس ، وأميران آخران ، والنقت المساك والأمرء ، وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جدا ، الرجال والنساء والولدان ، حتى من لآوبة له ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا في طلب من هرب ، وجلس الفخرى هناك بقية اليوم يحاف الأمر على أمره الذي جاء له ، فخلعوا له ، ودخل دمشق عشية يوم الخميس في أبهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأبق ونزل الأمير تغردمر بالميدان الكبير ، ونزل عمارى بدار السعادة وأخرجوا الموساوى الذى كان معتقلا بالقلعة ، وجعلوه مشدا على حوطات حواصل الطنبغا وكان قد نفض الفخرى على جماعة من الأمرء منهم الأمير حسام الدين السمقدار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب املاء الدين الطنبغا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخرى ، بل دخل البلد فتوسط فى الأمر : لم يذهب مع ذاك ولا جاء مع هذا ، ثم إنه استدرك ما فاتة فرجع من البار إلى الفخرى ، وقبل بل رسم عليه حين جاء وهو مهوم جدا ، ثم إنه أعطى مندبل الأمان ، وكان معهم كاتب السر القاضى شهاب الدين بن فضل الله ، ثم أفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حفطية وكان شديد الخلق عليه ، فأطلقه من يومه وأعادته إلى الحجوبية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورياسة كبيرة ، وكان للقاضى علاء الدين بن المنبجاضى قضاة الخنايلة فى هذه الكائنة سمى مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبغا ، حتى خيف عليه منه ، وخاطر بنفسه معه ، فأنجح الله مقصده وسلمه منه ، وكبت عدوه والله الحمد والمنة .

وفى يوم السبت السادس والعشرين منه قلدا قضاء المساك الشيخ نغر الدين بن الصائغ عوضا عن القاضى الخنى ، الذى كان مع النائب المنفصل ، وذلك أنهم تقموا عليه إفتاء الطنبغا بقتال الفخرى ، وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من محبيه قديما ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوما .

وفى يوم الأربعاء سابع رجب آخر النهار قدم الأمير قارى من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبغا ، وفرح بذلك وأخبر قارى بقدم السلطان ففرح الناس بذلك واستمدوا له بالآت المملكة وكثرت مطالبته أرباب الأموال والنفعة بالجزية .

وفى مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخرى فى دست النيابة بالوكب المنصور ، وهو أول ركوبه فيه ، وإلى جانبه قارى وعلى قارى خلعة هائلة ، وكثردعاء الناس للفخرى يومئذ ، وكان يوما مشهودا . وفى هذا اليوم خرج جماعة من المقدمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تغردمر وإقبغا عبد الواحد وهو الساقى ، وميكلى بغا وغيرهم . وفى يوم السبت ثالثه استدعى الفخرى القاضى الشافى وألح عليه فى احضار الكتب فى سلة الحكم التى كانت أخذت من

عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين القزويني ، فأحضرها القاضي بمد جهده ومدافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخري بالقصر وأذن له في الانصراف من عنده ، وهو متغضب عليه ، وربما هم بعزله لما نعته إياها ، وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة ، فقال الفخري : كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم . واستبشر الفخري بأحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، وبالشيوخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعي مشكور فيها ، فهنأها بأحضارها الكتب ، وبيت الكتب تلك الليلة في خزائنه للتبرك وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخري إكراما زائدا لمحبهته الشيخ رحمه الله .

وفي يوم الأحد رابعه دقت البشار بالقلعة وفي باب الميدان لقدم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية ، واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك ، وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلوه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر في أمره وردم إلى دمشق . وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخري من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف ، وصودر أهل النمة بقریب من ذلك زيادة على الجزية التي أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتعميلا ، ثم نودي في البلد يوم الاثنين الحادي والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخري برفع الظلمات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة الكثيرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخصاص ، والبرهان بن بشارة الحنفي تحت المصادرة والمقوبة على طلب المال الذي وجده في طميرة وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب الساطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر ، ووعدهم وقتا آخر فرجعوا ، وخرج الفخري لتلقيهم ، فاجتمعوا قبل جامع القبيبات الكريمي ، ودخلوا كلهم إلى دمشق في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجنود ، وعليهم خدمة لعدم قدوم الساطان أيده الله . وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قاري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أن السلطان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يأمره بالنزول من الكرك وقبول المملكة ، فانشرح الناس لذلك .

وتوفي الشيخ عمر بن أبي بكر بن اليثني البسلي يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة ، وحضور مجالس الذكر والحديث ، له همة وصوله على الفقراء

المتشبهين بالصالحين وليسوا منهم ، مع الحديث من الشيخ نحر الدين بن البخارى وغيره وقرأت عليه عن ابن البخارى مختصر المشيخة ، ولازم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وانتفع به ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفى شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودى فى الجيش : آن الرحيل للملتقى السلطان فى سابع الشهر ، ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد وقدم فى عاشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفى ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيمارستان النورى ، ومشيخة الربوة ومرتب على الجهات السلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضى شهاب الدين بن البارزى بقضاء حصص من السلطان أيده الله تعالى ، وفرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان فى المملكة وباشروا أمر وولى ووقع والله الحمد . وفى يوم الأربعاء ثالث عشره دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحمص الأخضر من البلاد الحلبية إلى دمشق المحروسة ، وتلقاه الفخرى والأمراء والجيش بكمله ، ودخل فى أبهة حسنة ودعاه للناس وفرحوا بقدمه بعد شتاته فى البلاد وهر به من بين يدي الطنبا حين قصده إلى حاب كما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : تفردمر واقبغا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة ، فلما كان يوم السبت خرج الفخرى ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ، ولم يقم بعده بدمشق إلا من احتيج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاة الأربعة ، وقاضى المساكر والموقعين والمصاحب وكاتب الجيش وخلق كثير .

وتوفى الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد بن .. الملقب بالقصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصلى عليه بجامع شكر ، ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزي ، تفعدهما الله برحمته ، وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصلاة فى جماعة ، وأمر بمرووف ونهى عن منكر مشكورا عند الناس بالخير ، وكان يكثر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره ، وفيه إيتار وقناعة وتزهد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا .

واشتهر فى أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك المحروس محبة جماعة من العرب والآتراك قاصداً إلى الديار المصرية ، ثم تحرر خروجه منها فى يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام . هذا والجيش صامدون إليه ، فلما تحقق دخوله مصر حنوا فى السير إلى الديار المصرية ، وبعث يستحثهم أيضا ، واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون محبة فائبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، ولهذا لم تدق

البشار بالقلاع الشامية ولا غيرها فيما باعنا . وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلاس السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستنفي فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والقضاة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فخطب الخليفة ، وخلع الأشراف كجك وولى هذا الناصر ، وكان يوما مشهودا ، وأظهر ولايته لطشتمر نيابة مصر ، والفخرى دمشق ، وأيد غمش حاب فآله أعلم ، ودقت البشار بدمشق ليلة الجمعة الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة ، وزينت البلديوم الأحداث ثلاث عشرين منه ، واحتفل الناس بالزينة . وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين الملك أحد الرؤس المشهورة بمصر إلى دمشق في طلب نيابة حماة حرسها الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحص الأخرى مسك ، فتهجب الناس من هذه الكائنة كثيرا ، ونخرج من بدمشق من اعيان الأمراء أمير الحج وغيره وخيم بوطاة برزة وخرج إلى الحج أمير فأخبره بذلك وأمره عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتى المرسوم بما يعتمد أمير الحج فأجاب إلى ذلك ، وركب في الموكب يوم السبت السادس منه ، وأما الفخرى فانه لما تنسم هذا الخبر وتحمقه وهو بالزعة فرقى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر ، فاحترق وساق سواقا حنيثا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية في نحو من ألف فارس ، صحبة الأميرين : الطنبغا المارداني ، و يبلغا التحناوى ، ففاتهما وسبق واعترض له نائب غزة في جنده فلم يقدر عليه ، فسلطوا عليه العشيرات ينهبوه فلم يقدروا عليه إلا فى شىء يسير ، وقتل منهم خلقا ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين إيدغمش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافقه على ما قام بنفسه ، فلما وصل أكرمه وأنزله ، وبات عنده ، فلما أصبح قبض عليه وقيدته وردته على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم .

ولما كان يوم الاثنين سلخ ذى القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية فى طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ، ومعه أموال جزيلة ، وحواصل وأشياء كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذى الحجة وصحبته طشتمر فى محفة ممرضا ، والفخرى مقيدا ، فاعتقلا بالكرك المحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناع ونحوها لاصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحملت إليه ، ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذى الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصغد ركب فى مماليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منها فاراً بنفسه من القبض

عليه ، وذ كر أن نائب غزة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من السكر ، فهرب الأحمدي بسبب ذلك ، ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الأمراء لذلك ، واجتمعوا بدار السعادة ، وضرخوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميراً ليصدوه عن الذهاب إلى البرية . فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخبر بأنه في نواحي الكسوة ، ولا مانع من خلاصه ، فركبوا كلهم ونادى المنادى : من تأخر من الجند عن هذا انفير شنىق ، واستوتقوا في الخروج وقصدوا ناحية الكسوة وبعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذاراً في خروجه وتخلص منهم ، وذهب يوم ذلك ، ورجعوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار ، وليس معهم من الازواد ما يكفيهم سوى يومهم ذلك ، فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنية العقاب ، فرجعوا في اليوم الثاني وهو في صحبتهم ، ونزل في القصور التي بناها تنكر رحمه الله ، في طريق داريا ، فأقام بها ، وأجروا عليه مرتباً كاملاً من الشعير والغنم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان فقرى على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقدم خدمه على السلطان الملك الناصر وأنه الملك المنصور . ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب] إلى الأمير ركن الدين بيبرس نائب الغيبة ابن الحاجب ألمش بالقبض على الأحمدي ، فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكبوا بسوق الخيل وراسلوه - وقد ركب في مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع - فكان جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية ، فأما من هو مقيم بالسكر ويصدر عنه ما يقال عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركب ، فلا . فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

استهلّت هذه السنة المباركة وسلطان المسلمين الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو مقيم بالسكر ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة السكر ، ونائبه الديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلاوي ، الذي كان نائباً بغزة ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية ، سوى القاضي الحنفى . وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخرى بدمشق نائب غيبته ، فهو الذى يسد الأمور مع الحاجب ألمش ، وتغر المهمندار ، والأمير سيف الدين الملقب بحلاوة ، وإلى البر ، والأمير ناصر الدين ابن ركباس متولى البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمر السلطانية ، والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الخالية ، وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي جلال الدين القزوينى ، وكانت اسر القاضي شهاب الدين بن فضل الله .

واستهلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازل بقصر تنكز بطريق داريا ، وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يسك ويرسل إلى الكرك ، هذا والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، ويحملهم على ذلك أن الأحمدي لا ذنب له ، ومتى مسكه تطرف إلى غيره ، مع أن السلطان يبلغهم عنه أحوال لا ترضيهم من اللعب والاجتماع مع الاراذل والأطراف ببلد الكرك ، مع قتله الفخري وطشتمر قتلاً فظيماً ، وسلبه أهلها وسلبه لما على الحريم من الثياب والحلى ، وإخراجهم في أسوأ حال من الكرك ، وتقريبه النصاري وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل إليه ، ورجع هارباً خائفاً ، فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق الخليل مراراً وضرربوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلعوه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا نائب حلب أيدغش ونواب البلاد ، وبقوا متوهمين من هذا الحال كثيراً ومتردددين ، ومنهم من يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لاصح له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ، ويجاس على سرير المملكة ، وجاء كتابه إليهم يعيهم ويعنفهم في ذلك ، فلم يفد ، وركب الأحمدي في الموكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلموا عليه وخدموه ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب ، وحلوا هموما عظيمة خوفاً من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلف الشاميين ، فحمل الناس همهم فأنه هو المستول أن يحسن العاقبة . فلما كان يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ، ولكن ترددوا خوفاً من الشاميين أن يخالفهم فيه ويتقدموا في محبة السلطان لقتالهم ، فلما أطمأنوا من جهة الشاميين صمموا على عزيمتهم فخلعوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور ، جعله الله مباركا على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء كتابه مسلماً على أمراء الشام ومقدميه ، وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحاً شديداً ، ودقت البشائر بالقلمة المنصورة يومئذ ، ورسم بزيين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه ، ولما كان يوم الجمعة سلبخ المحرم خطب بدمشق للملك الصالح عماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور .

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الامام العلامة فحمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدرعي إمام الجوزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها ، وجماعة من الفضلاء . وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تغرمر من الديار

المصرية ، إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب الحروسة ، فنزل بالقابون .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي الشيخ الامام العالم الزاهد عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي ، إمام المالكية ، هو وأخوه أبو عمرو ، بالجامع الأموي بحراب الصحابة . توفي ببستان بقية السحف ، وصلى عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمهما الله بمقابر باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلا صالحا مجتمعا على ديانتته وجلالته رحمه الله .

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير ايدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليهم ناحية القابون قادما من حلب ، وتلقاه الجيش بكاله ، وعليه خلعة النيابة ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ومعهم الشموع ، وكان يوما مشهودا ، وصلى يوم الجمعة بالمقصورة ، من الجامع الأموي ، ومعه الأمراء والقضاة ، وقرأ تقليده هناك على السدة وعليه خلعته ، ومعه الأمير سيف الدين ملككم الرحوى ، وعليه خلعة أيضا .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولي دمشق الحروسة ذاهبا إلى نيابة حماة الحروسة ، وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح فنزل بالقابون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، وسمع عليه من مسند الشافعي فانه يرويه ، وله فيه عمال ، ورتبه ترتيبا حسنا ورأيته ، وشرحه أيضا ، وله أوقف على الشافعية وغيرهم .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك انكالي من مشهد عثمان بسبب القاضي نضر الدين المصري ، وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضي جلال الدين القزويني ، بسبب العادلية الصغيرة ، فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ، ونزل نضر الدين عن مائة وخمسين على الجامع . وفي يوم الأحد ساءخ الشهر المذكور حضر القاضي نضر الدين المصري ودرس بالعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة ، وأخذ في قوله تعالى [هذه بضاعتنا ردت إلينا] وفي آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين السمقدار لحصار الكرك الذي تحصن فيه ابن السلطان أحمد ، واستحوذ على ما عنده من الأموال التي أخذها من الخزان من ديار مصر ، وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات ، فنصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورمى به ومن يتهم أن يستصحبوه معهم للحصار . وفي يوم الأربعاء ثاني ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني من الديار المصرية على قاعدته وعادته . وفي يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابلس ، وعلم الدين الجاولي من حماة سحرا ، وحضرا الموكب ووقفا مكتنفين لنائب السلطنة : الأحمدي عن يمينه والجاولي عن يساره ، ونزلا ظاهر البلد ، ثم بعد أيام يسيرة توجه

الاحدى إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة، وتوجه الجاولى إلى غزة المحروسة نائباً عليها، وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطبلخانات بدمشق. وفي يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة الكرك، والأمير شهاب الدين بن صبح والى الولاية بحوران مشد المجانيق، وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بجلاوة والى البر بدمشق إلى ولاية الولاية بحوران. وفي يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضي الشافى بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوصاة بالقاضى السبكي المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلعة من الديار المصرية، فتغيظ عليه النائب لأجل أولاد الجلال، لأنهم عندهم عائلة كثيرة ومقراء، وقد نهى عن السعى في ذلك، فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلى عنده في الشباك الكلى، فنهض من هناك وصلى في الغزالية.

وفي يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أريفا زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهباً إلى طرابلس نائباً بها، في تجميل وأبهة ونجائب وجنائب، وعدة وسرك كامل. وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين ابن الخطيرى معزولاً عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب في الموكب وسير مع نائب السلطنة، ونزل في داره وراح الناس للسلام عليه. وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلد لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه، ثم شفى منه. وفي يوم الجمعة السادس عشرينه قبل المعصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاء تقي الدين السبكي إليها حاكماً بها، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه، وذلك بعد ما أرجف الناس به كثيراً، واشتهر أنه سينعقد له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الايتام إلى الطنبا وإلى الفخرى، وكتبت فتوى عليه بذلك في تقريره، وداروا بها على المفتين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضي جلال الدين بن حسام الدين الحنفى، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة، وسئلت في الافناء عليها فامتنت، لما فيها من التشويش على الحكم، وفي أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف، وكانوا له في نية عجيبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية، فسار إليها محبة البريد ليلة الأحد، وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه، وفي خدمته.

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف وبزيدون، ولما كان يوم الثلاثاء رابعاً بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغمش نائب السلطنة بالشام المحروس في دار وحده في دار السعادة، فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصر واوخشوا أن يكون اعتراه سكتة، ويقال إنه شفى فله أعلم، فانتظروا به إلى الغدا احتياطاً، فلما أصبح الناس اجتمعوا

للصلاة عليه فصلى عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز، وذهبوا به إلى نحو القبلة ، ورام بعض أهله أن يدفن في تربة غبريال إلى جانب جامع القبيبات ، فلم يمكن ذلك ، فدفن قبلى الجامع على حافة الطريق ، ولم يتهياً دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ ، وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه .

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك ، وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير ، وقتل من الجيش واحد في ' اصار ، قتل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجوهر ، وتراضوا على أن يسلموا البلد ، فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذى له ، وعجزوا عن نقله فخرقوه برأى أمراء المتقدمين ، وجرت أمور فظيعة ، فآله يحسن العاقبة .

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى ، وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش وروم بالنشاب فخرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم ، وجرح من المسكر خلق ، وقتل واحد أو اثنين وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص ، وقتل أمير العرب ، وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك ، وجرت أمور منكرة ، ثم بعدها تعرض المسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها ، وذلك أنهم رقبهم البرد الشديد وقلة الزاد ، وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة فان البلد يريد متطاولة ومجانيق ، ويشق على الجيش الإقامة هناك في كواين ، والمنجنيق الذى حموله معهم كسر ، فرجعوا ليتأهبوا لذلك .

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضى شهاب الدين ، ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين ، وعلى حواصل القاضى عماد الدين ابن الشيرازى المحتسب ، فاحتيط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم ، وضربت الأخشاب على الابواب ، ورسم على المحتسب بالعندراوية ، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها . وأما القاضى شهاب الدين ، فكان قد خرج ليلتنقى الأمير سيف الدين تغرد مر الحموى ، الذى جاء تقليده بنبابة الشام بدمشق وكان يجلب ، وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق ، فرسم برجمته ليصادر هو والمحتسب ، ولم يدر الناس ما ذنبهما .

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضى القضاء تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء ، ومعه تقليد بالخطابة أيضاً ، وذهب الناس اليه للسلام عليه ، ودخل نائب السلطنة

الأمير سيف الدين تغردمير الجوى بعد العصر الخامس عشرينه من حلب ، فتلقيه الأمراء إلى طر يقي القابون ، ودعاه الناس دعاء كثيراً ، وأحبوه لبفضهم النائب الذي كان قبله ، وهو علاء الدين أيدغمش سامحه الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين ، واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم ابن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة ولبس الخلعة ، وأكثر العوام لما سمعوا بذلك الفوضى ، وصاروا يجتمعون حلقاً حلقاً بعد الصلوات ويكثرون الفرحة في ذلك ، لما منع ابن الجلال ، ولكن بقي هذا لم يباشر السبكي في المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوعدوا السبكي بالسفاهة عليه إن خطب ، وضاق بذلك ذرعاً ، ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكن كثير منهم : الواجب عليكم السمع والطاعة لأولى الأمر ، ولو أمر عليكم عبد حبشي . فلم يرعوا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ، وفرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع ، وجاء نائب السلطنة إلى المقصورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك وأكثروا من الكلام والمزح ، ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد ردوا عليه رداً بليغاً ، وتسكفوا في ذلك وأظهروا بقضة القاضي السبكي ، ونجأهوا بذلك ، وأجمعوه كلاماً كثيراً ، ولما قضيت الصلاة قرىء تقليد النيابة على السدة ، وخرج الناس فرحاً بخطيبهم ، لسكونه استمر عليهم ، واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له .

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة العندراوية بمرسوم سلطاني بتوليته وعزل القفجاري ، وعقد لها مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل ، فرجع جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفي يوم الجمعة خامسه توفي الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد ابن الجزري أحد المسنين المكثرين الصالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع المظفرى ودفن بالواحية . وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الامام العالم العابد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين محمد بن الزبير خطيب الجامع الكرمي بالقبيبات ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودفن قبلي الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيد ، وأحضر إلى بين يدي نائب السلطنة ، وذهب الناس للنظر إليه في محلة ظاهر باب الفراديس ، يقال لها حكي الوزير ، وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر ، فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فإذا لها ولدان مستقلان ، فكل قد اشتبكت

أنفأذها بعمضها ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل فى الآخر والتحت فصارت جنة واحدة وهما ميطان ، فقالوا أحدهما ذكر و الآخر أنثى ، وهما ميطان حال رؤيتى إلهما . وقالوا إنه تأخر موت أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوهما ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفى هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد ، أمير طبليخانات ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين على ، وابن أبيك الطويل طبليخانات أيضا ، وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبليخانات أيضا . وذلك بسبب أنهم اتهموا على بملاة الملك أحمد بن الناصر الذى فى السكر ، ومكاتبته ، والله أعلم بحالهم ، فقيدوا وحلوا إلى القلعة المنصورة من باب اليسر مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبليخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم فى الاماكن . وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلعة استقرار الخطابة فى هذا اليوم ، وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء .

وفى هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر ذراعا ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به فى يوم السبت حجر آ زنته ستين رطلا ، فبان إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلم المجانيق أنه ليس فى حصون الاسلام مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصالحى ليكون بالسكر ، فقدر الله أنه خرج ليحاصره بالسكر ، والله يحسن العاقبة . وفى أواخره أيضا مسك أربعة أمراء ، وهم أقبا عبد الواحد الذى كان مباشرا الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصور فى أيام ابنه المنصور ، وأخرج إلى الشام فتاب بحمص فسار سيرة غير مرضية ، وذمه الناس وعزل عنها وأعطى مقدمة ألف بدمشق ، وجعل رأس الميمنة ، فلما كان فى هذه الأيام اتهم بملاة السلطان أحمد بن الناصر الذى بالسكر ، فسك وحل إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو ، والأمير سيف الدين سلامش ، وكلهم بطليخانات فرضوا إلى القلعة المنصورة ، والله يحسن العاقبة .

وفى هذا الشهر خرج قضاء حمص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطانى مجدد للقاضى شهاب الدين البارزى ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضى القضاة تقي الدين السبكى ، وانتصر له بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور . وفيه أيضا أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم القاضى شمس الدين بن سالم الذى كان مباشرها مدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقى مقيا ببلده غزة ، ثم أعيد إليها مستقلا بها فى هذا الوقت . وفى هذا الشهر رجع القاضى شهاب الدين ابن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذى كان له أولا كل شهر ألف درهم ، وأقام بعمارته التى أنشأها بسفح قاسيون شرقى الصالحية بقرب حمام النحاس .

وفي صبيحة مستهل ذى القعدة خرج المنجنيق قاصداً إلى الكرك على الجمال والمجل ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبق ، أمير حاجب ، كان في الدولة السكرية ، وهو المقدم عليه بمحوطه ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ، وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك ، وتأهبوا أتم الجهاز ، وبرزت أنقالمهم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فآله بحسن العاقبة .

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كافر السكري ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسة في تربته التي أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهر الدين الخازن بالقلعة ، كان قبيل مسجد الدبان رحمه الله ، وكان قديماً للصاحب تقي الدين توبة التكريتي ، ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين بمبلغ جيد وعوضهما إقطاعاً بزيادة على ما كان بأيديهما ، وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة ، وقد تعصب عليه أستاذه تنكز رحمه الله في وقت وصوله وجرت عليه فصول ، ثم سلم بعد ذلك ، ولما مات ترك أموالاً جزيلة وأوقافاً رحمه الله . وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسه والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراستقر .

وفي يوم السبت سألخ هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بمأذنة العروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت إذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس في القراء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته ، وكان في آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، وانقطاع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحمه الله ، وأكرم مثواه ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية . وفي يوم الخميس خامس ذى الحجة توفي الشيخ بدر الدين بن نصحان شيخ القراء السبع في البلد الشهير بذلك ، وصلى عليه بالجامع بعد الظهر يومئذ ، ودفن بباب الفاراديس رحمه الله .

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الاقراء بتربة أم الصالح عوضاً عن الشيخ بدر الدين ابن نصحان القاضي شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بفتنة ، وكان متمرصاً ، فألقى شيثان القراءات والاعراب عند قوله تعالى [ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم] وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جداً وقل الخبز وازدحم الناس على الاقرا زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنقارة ، وبلغت الغرارة بمائة وستة وثمانين درهماً ، وتقلص السعر جداً حتى يبيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك بيسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكثر السؤال وجاع العيال ، وضمف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكن لطف الله عظيم فان الناس مترقبون مغلا

هائلا لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير و بعض القمح مع كثرة الغول وبوادر التوت ، فلولا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف الله بعباده ، وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة

استهلّت هذه السنة وساطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلاوى ، وقضاته هم هم المتقدم ذكرهم فى العام الماضى ، ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين تغردمر الحوى ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك صاحب الخطيب وناظر الجامع والخزانة . ومشد الأوقاف وولاية المدينة .

استهلّت والجيش المصرية والشامية محيطة بحصن الكرك محاصرون وبالفن فى أمره ، والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً تخرج إليها . وفى يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من الكرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على الكرك ألفان من مصر وألفان من الشام ، والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج الكرك ، والأمر متوقفة على ورد ^(١) الحصار بعد رجوع الأحمدي إلى مصر .

وفى يوم السبت ثانى ربيع الأول توفى السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك فى درب السيرجى جوار المدرسة العزية ، وصلى عليه ضحى بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان رجلاً شهماً كثير العبادة والمحبة للسنة وأهلها ، ممن واظب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو الذى بعثه إلى صيدنا يامع بعض القسيسين فلوث يده بالمعذرة وضرب الأجمة التى يمظونها هناك ، وأهانها غاية الاهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإيانا .

وفى يوم الخميس سابعه اجتمع صاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ، ومشد الأوقاف ومباشرو الجامع ومعهم الماين بالقول والمعاول ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد على نحت تلك الصخرة التى كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أن هناك مالا مدفوناً فشاؤوا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر ، واجتمع الناس والعامة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها ليتمكنوا من الحفر ، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب المحض ، واشتهر هذا الحفر فى البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره ، وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا المحال ، وطم الحفير كما كان .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادية الكبيرة ، وأخبر أنه صلى على المحدث البارع الفاضل الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أبيك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد أتقن طرماً جيداً في علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال ، وجمع وخرج .

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفرى ، وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مائة وعشرين دكاناً ، ولم ير حريق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مواذن البلد كما يذكر في مواذن الجامع ، ففعل ذلك . وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاة الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الغياب التي تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة ففتحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى بعض العرب مما كان تأخر له في الديوان السلطاني ، ووقع أمر كثير لم يعد مثله .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بمحبوبة جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحى سل ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين . فصلى عليه يوم الخميس بالجامع المظفرى وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والأمرأه والتجار والعامة ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد رحمهما الله تعالى ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ الأربعين ، وحصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وتفان في الحديث والنحو والتصريف والفقه والتفسير والأصليين والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعليق مفيدة كثيرة ، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، بصيراً بملل الحديث ، حسن الفهم له ، جيد المذاكرة صحيح الذهن مستقيماً على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابراً على فعل الخيرات .

وفي يوم الثلاثاء سادسه درس بحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الامام العلامة شرف الدين بن

القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عوضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله، وحضر عنده القضاء والفضلاء، وكان درساً حسناً أخذ في قوله تعالى: [إن الله يأمر بالعدل والإحسان] وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد. وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت التجربة إلى الكرك مقدمان من الأمراء، وهما الأمير شهاب الدين بن صبيح، والأمير سيف الدين قلاوون، في أبهة عظيمة وتجميل وجيوش وبقارات، وإزعاج كثيرة.

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخليل حسن بن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرفض الدال على الكفر المحض، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكى بشهادات كثيرة تدل على كفره، وأنه رافضى جلد، فمن ذلك تكفير الشيخين رضى الله عنهما، وقذفه أمى المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد، وإنما كان مرسلًا إلى على، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله، وقد فعل. وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، وذكر غير واحد من أصحاب الشيخ أن السكاكيني مامات حتى رجع عن مذهبه، وصار إلى قول أهل السنة فإله أعلم. وأخبرت أن ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة.

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تربته التي إلى جانب جامع الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق، نقل من الاسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر، بشفاة ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح، فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسته بالقدس الشريف، فلم يمكن، فجيء به إلى تربته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاة والأعيان رحمه الله.

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان المبارك توفى صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التكرينى ابن أخى صاحب تقي الدين بن توبة الوزير، بمنزله بالقصاعين، وكان شاباً من أبناء الأربعين، ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة، وكان كثير المحبة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله، ولأصحابه خصوصاً، ولكل من يراه من أهل العلم عموماً، وكان فيه إثارة وإحسان ومحبة الفقراء والصالحين، ودفن بقرينهم بسفح قاسيون رحمه الله، وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس خلقتها والله الحمد والمنة، ثم تواترت الأخبار بأنها شتمت في بلاد حلب شيئاً كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلمة حلب، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها، وأما في القلاع حولها فكثير جداً، وذكروا أن مدينة منبج

لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله :
وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين
قراسنقر ، والأمير الحاج بيدمر ، واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر
وضاقت الارزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصكية الأمير أحمد بن الناصر
خامر بن عليه ، فسيروا من الصبح إلى قلاوون ومحبتهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية ،
وأخبروا أن الحواصل عند أحمد قد قلت جداً فأنه المستول أن يحسن العاقبة .

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الامام العلامة برهان الدين
ابن عبد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة ، بعد ابن الحبري ، ثم عزل
وأقام بدمشق ودرس في أيام تفردمر بالندراوية لولده القاضي أمين الدين ، فذكر بها الدرس يوم
الأحد قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله بيستانه من أراضي الارزة
بطريق الصالحية ، ودفن من الغد بسفح قاسيون بقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وصلى عليه بالجامع
المظفرى ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح بن
إسماعيل بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بالديار المصرية والشامية
هم المذكورون في السنة المتقدمة ، ونائبه بمصر الحاج سيف الدين ووزيره المتقدم ذكره ، وناظر
الخاص القاضي مكين الدين ، وناظر الجيوش القاضي علم الدين ابن القطب ، والمحاسب المتقدم ،
وشاد الدواوين علم الدين الناصري ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النجيبى ، ووكيل بيت
المال القاضي علاء الدين شرنوخ ، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب ، وبقية المباشرين
والنظار هم المتقدم ذكرهم ، وكاتب الدست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضي أمين
الدين ابن القلانسي والقاضي شهاب الدين بن القيسرائي ، والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن
الشهاب محمود ، والقاضي علاء الدين شرنوخ .

شهر المحرم أوله السبت استهل والحصار واقع بقلعة الكرك ، وأما البلاد فأخذوا استنيب فيه الأمير
سيف الدين قبله ، قدم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون
بالقلعة ، والناصر أحمد بن الناصر ممتنع من التسليم ، ومن الاجابة إلى الانابة . ومن الدخول في طاعة
أخيه ، وقد تفاقت الأمور وطالت الحروب ، وقتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن
أهل الكرك ، وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله . وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلعة

الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص الذي كان أسرى أوائل حصار الكرك ، وجماعة من عماليك الناصر أحمد ، كان اتهمهم بقتل الشبيب أحمد ، الذي كان يعتنى به ويحبّه ، واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده ، وجهرز إلى الديار المصرية معظماً ، وهذا والجانيق الثلاثة سلطنة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلاً ونهاراً ، وتدمر في بنائها من داخل ، فان سورها لا يؤثر فيه شيء بالكلية ، ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فآله المسؤول أن يحسن العاقبة . وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعاً من الكرك فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ، والله عاقبة الأمور وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سروراً بفتح البلد ، واجتمع الكلمة عليه ، واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه ، فرسم برفعها بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطباخانات والجيوش ، واشتهر إعدام أحمد بن الناصر .

وفي يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول صلى بالجامع الأموى على الشيخ أمين الدين أبي حيان النحوى ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاته بمصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر . ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ، ودفن جثته بالكرك ، وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ، ففرح الناس بذلك ، ودخل الشيخ أحمد الزرقى على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طباخانات للأمير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوسين بقامة دمشق وغير ذلك ، فأجابه إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التى أجيب فيها بضم وثلاثين مرسوماً ، فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدمت المراسيم التى سألها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأمضيت كلها ، أو كثير منها ، وأفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بلو ، في يوم الخميس سلخ هذا الشهر ، ثم روجع في كثير منها وتوقف حالها .

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة للحنفية ومسجداً ، وعملت طهارة عامة ، ومصلى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين تقطم الخليلي أمير حاجب كان ، وهو الذى جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصاعين .

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفى صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن صدر الدين سليمان الجعبري زوج بنت الشيخ جمال الدين المزني ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان قهبا بالمدارس ، وشاهداً تحت الساعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية ، وله نظم مستحسن ، انقطع يومين وبعض الثالث وتوفى في الليلة المذكورة في وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتئذ ، وحدثني وضاحكني ، وكان خفيف الروح رحمه الله ، ثم توفى في بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدني عليه بالنوبة من جميع ما يسخط الله عز وجل ، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صلى عليه ظهر يوم الاثنين ، ودفن بمقابر باب الصغير عند أبويه رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين بن العز الحنفي بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري له عن ذلك ، وأيضاً نائب السلطنة الأمير سيف الدين تفردمر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ .

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفى القاضي الامام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضاة والأعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريبا من الخاتونية الجوانية ، وكان قد ولي قضاء قضاة الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وقدم الشام مع أبيه فأقاموا بها ، ثم لما ولي الملك المنصور لاجين ولي أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صدم في آخر عمره ، وكان ممتعا بحواسه سواء وقواه ، وكان يذاكر في العلم وغير ذلك . وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفى الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري خطيب جامع تنكز ، ومدرس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين بن العز الحنفي ، وصلى عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده ، وحضره القضاة والأعيان ، وكان أستاذا في النحو وله علوم أخر ، لكن كان نهاية في النحو والتصريف .

وفي هذا اليوم توفى الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعي ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وبياب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريبا من الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التسلوة حسنها ومحبتها ، كثير العبادة ، يقرأ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان ، في محراب الخنابلة بالجامع الأموي رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الامام العالم العامل العابد الزاهد الورع أبو عمر بن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصحابة الذي للمالكية ، وصلى عليه بمد الصلاة ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير ، وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ، ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي الغندلاوي المالكي قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله ، وولى مكانه في المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستنوب له إلى حين صلاحينه ، جبره الله ورحم أباه .

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم ير مثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان الناس محتاجين إلى مطر ، فله الحمد والمنة ، وتكاثف الثلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعيا الناس أمره ونقلوه عن الأسطحة إلى الأرتقة يحمل ، ثم نودي بالأمر بإزالته من الطرقات فانه سدها وتعملت معاش كثير من الناس ، فموض الله الضعفاء بعلمهم في الثلج ، ولحق الناس كافة كبيرة وغرامة كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلى بالجامع الأموي على نائب وهو الأمير علاء الدين الجاولي ، وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بها ، وكثير من الناس صلوا العيد في البيوت .

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة درس قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين ابن النقيب رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى [قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بدي إنك أنت الوهاب] وما بعدها . وفي ذي الحجة استنقى في قتل كلاب البلد فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك ، فرسم باخراجهم يوم الجمعة من البلد أخماس والعشرين منه ، لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا تنتن الناس بريحهم على ما أفتى به الامام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببلدة معينة للمصلحة ، إذا رأى الامام ذلك ، ولا يمارض ذلك النهي عن قتل الكلاب ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام . ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم

المذكورون أيضا . وفي يوم الجمعة سادس عشر محرم كملت عمارة الجامع الذي بالمرزة الفوقانية الذي جدهه وأنشأه الأمير بهاء الدين المرجاني ، الذي بنى والده مسجد الخيف بمنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانسراح ، تقبل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بمجمع كثير وجم غفير من أهل المرزة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنت أنا الخطيب - يعنى الشيخ عماد الدين المصنف تغمد الله برحمته - والله الحمد والمنة . ووقع كلام وبحث فى اشتراط المحلل فى المسابقة ، وكان سببه أن الشيخ فحمس الدين ابن قيم الجوزية صنف فيه مصنفًا من قبل ذلك ، ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية فى ذلك ، ثم صار يلقى به جماعة من الترك ولا يعزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأئمة الأربعة ، فحصل عليه إنكار فى ذلك ، وطلبه القاضى الشافعى ، وحصل كلام فى ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ فحمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور .

وفاة الملك الصالح إسماعيل

فى يوم الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبى الفتوح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعة ، وكان يوما مشهودًا ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثانى عشر منه ، وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان ، فقدم الأمير سيف الدين معزا للبيعة للملك الكامل ، فركب عليه الجيش لتلقيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ للملك الكامل ، جعله الله وجهًا مباركًا على المسلمين .

وفى صبيحة يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الآخر درس القاضى جمال الدين حسين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي الشافعى بالمدسة الشامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسومًا سلطانيًا بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء ، وجلس بين أبيه والقاضى الحنفى ، وأخذ فى الدرس فى قوله تعالى . [ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين] الآيات . وتكلم الشريف محمد الدين المتكلم فى الدرس بكلام فيه نكارة وبشاعة ، فشنع عليه الحاضرون ، فاستتيب بعد انقضاء الدرس وحكم بإسلامه ، وقد طالب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تفردمر وهو ممرض ، انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات ، والبريد يذهب إلى حلب لحجى نائبها الأمير سيف الدين يلبغا لنياحة دمشق ، وذكر أن الحاج أرقطيه تمين لنياحة حلب . وفى يوم الجمعة رابع جمادى الاولى

خرجت أُنُقَال الأمير سيف الدين تغرد مر النائب وخبوله وحنفه ومواليه وحواسله وطبلخاناته وأولاده في نَجْمٍ عَظِيمٍ ، وأُبْهة هائلة جداً ، وخرجت الحافل والكحارات والمحفات لفسائه وبناته وأهله في هَيْبَةٍ عَجِيبَةٍ ، هذا كله وهو بدار السعادة ، فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تغرد مر بنفسه إلى الكسوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة ، فلما طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا البحنأوى فقصم دار السعادة ، وفرح الناس بهم ، وذهب الناس للتهنئة والتودد إليهم .

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكامله لتلقى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل في نَجْمٍ عَظِيمٍ ، ثم جاء فنزل عند باب السر ، وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة .

وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة بمن وجب قطعه في الحبس ثلاثة عشر رجلاً وأضاف إلى قطاع اليد قطع الرجل من كل منهم ، لما بلغه أنه تكرر من جنائهم ، وطلب ثلاثة بالمسامير ممن وجب قتله ، وفرح الناس بذلك لقمعه المفسدين وأهل الشرور ، والعيث والفساد .

واشهر في الشهر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين تغرد مر بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام ، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر ، وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره ، وطلب منهم مال جزيل ، فآله أعلم .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي القاضي علاء الدين بن العز الحنفي نائب الحكم ببستانه بالصالحية ودفن بها ، وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه ، وأخذها إياها من عمه القاضي عماد الدين إسماعيل ، كما قدمنا ، ولم يدرس فيها إلا يوماً واحداً ، وهو مريض ، ثم عاد إلى الصالحية فمادى به مرضه إلى أن مات رحمه الله .

وخرج الركب إلى المعجاز الشريف يوم السبت حادى عشر شوال ، وخرج ناس كثير من البلد ، ووقع بطر عظيم جداً ، وفرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضان ، وهو كانون الأصم ، فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره ، ثم تداول المطر وتتابع والله الحمد والمنة ، لكن ترحل الحجاج في أحوال كثيرة وزلق كثير ، والله المسلم والمعين والحامى . ولما استقل الحجيج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بين الصدين فوقهم أياماً بها ، ثم تحاملوا إلى زرع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد ، ورجع كثير منهم وأكثروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأمطار وكثرة الأحوال ، ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى ، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان . وقيل إن نساء كثيرة من الخدرا مشين حفاة فيما بين زرع والصمين

وبعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة
بعلبك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبع مائة

استهلّت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل
سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب ، وقضاة
مصر هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا البحنأوى ، وقضاة دمشق
هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أن قاضي القضاة عماد الدين بن إسماعيل الخنفي نزل عن القضاء
لولده قاضي القضاة نجم الدين ، واستقل بالولاية وتدرّس النورية ، وبقي والده على تدرّس الربحانية .
وفي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم من هذه السنة توفي الشيخ تقي الدين الشيخ الصالح محمد
ابن الشيخ محمد بن قوام بزاورتهم بالسفح ، وصلى عليه الجمعة بمجامع الأفرم ، ثم دفن بالزاوية وحضره
القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه وبين أخيه ستة أشهر وعشرون يوماً ، وهذا أشد من ذلك .
وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر
باب الفرج وضمت ضمناً باهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، وداخلها قيسارية تجارة في وسطها
ركبة ومسجد ، وظهرها دكاكين وأعالها بيوت للسكن .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للنور الخراساني ،
وكان يقرأ القرآن في جامع تنكز ، ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادعى عليه فيه
أنه تكلم في بعض الآثمة الأربعة ، وأنه تكلم في شيء من المقائد ويطلق عبارة زائدة على
ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فاقضى الحال أن عزّر في هذا اليوم ،
وطيف به في البلد ، ثم رد إلى السجن معتقلاً . فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شفع فيه
الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله ،
ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا
البحنأوى الناصري بمجامع تنكز ظاهر دمشق برا باب النصر ، وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي
وكبار الأمراء ، ولما أقيمت الصلاة صلى وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ، ثم
لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلاً ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة
فلما كان آخر النهار برز بخدمة ومماليكه وحشمه ووطاقه وسلاحه وحواسله ، ونزل قبلي مسجد القدم
وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس ، وانفق طلوع القمر خاسفاً ، ثم خرج الجيش
ملبساً تحت الثياب وعليه التراكيس بالنشاب والخيول والجنابات ، ولا يدرى الناس ما الخبر ، وكان

سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صغد قد ركب إليه ليقبض عليه ، فانزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسي ، لا على فراشي ، وخرج الجند والأمرأ خوفاً من أن يفوتهم بالفرار ، فتركوا بمنة ويسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النيابة ويجتمع بالأمرأ جماعة وفراذى ، ويستميلهم إلى ما هو فيه من الرأى ، وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكثر من مسك الأمرأ بغير سبب ، ويفعل أفعالا لا تليق بمثله ، وذكروا أموراً كثيرة ، وأن يولوا أخاه أمير حاجى بن الناصر لحسن شكلته وجميل فعله ، ولم يزل يفتلهم فى القدوة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ، ووافقوه عليه ، وسلموا له ما يدعيه ، وقابضوا على ما أشير إليه وبايعوه ، ثم شرع فى البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما مالا عليه الدهشقيون وكثير من المصريين ، وشرع أيضاً فى التصرف فى الأمور العامة السكايه ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلمة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقاله ، منشوره ، وعزل وولى وأخذ وأعطى ، وطلب التجارىوم الأربعمائة من عشرة إيباع عليهم غلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها فى الحال ، ثم يذهبوا فيتسلطوها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمرأ والسادة ، وهذا كله وهو مخيم بالسكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور .

وفى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طليعة لتلقى من يقدم من الديار المصرية من الأمرأ وغيرهم ، ببقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفعهم إلى القلمة ، وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتجاريد المصرية وأصلة قريبا ، ولا بد من وقوع خبطة عظيمة . وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المستول أن يحسن العاقبة وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائب السلطنة وخواصه من كبار الأمرأ على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمرأ على خوف شديد فى الديار المصرية بين السلطان الكامل شعبان وبين أخيه أمير حاجى ، والجمهور مع أخيه أمير حاجى ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن للتجاريد المصرية خرجت تفهد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ، ثم إنه تراجع رؤس الأمرأ فى الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو عمالى لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجى وضربت الطباخانات وصارت باقى النفوس متجاهرة على نية تأييده ، وناذبوا السلطان الكامل ، وعدوا عليه مساويه ، وقتل بعض الأمرأ ، وفر الكامل وأنصاره فاحتيط عليه . وخرج أرغون الملائى زوج ابنته واستظهر أيضا أمير حاجى فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فضربت البشارع عنده ، وبعث إلى نائب القلمة فامتنع من ضربها ، وكان قد

طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور، وأغلق باب القلعة، فارتعج الناس واختبئوا بالبلا، وتقلص وجود الخير، وحصنت القلعة ودعوا للكامل بكرة وعشية على العادة، وأرجف العامة بالجيش على عاداتهم في كثرة فصولهم، فحصل لبعضهم أذية. فلما كان يوم الاثنين فامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيئاً لنائب السلطنة في تجميل وأبهة، ثم أجريت له عادة أمثاله.

وفي هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بيغرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لاجل البيعة للسلطان الملك المظفر، فدقت البشار بالوطاق، وأمر بتزيين البلا، فزين الناس وليسوا منشرحين، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة، وأن التجاريد المصرية واصله قريبا. وامتنع نائب القلعة من دق البشار وبالع في تحصين القلعة، وغلق بابها، فلا يفتح إلا الخوخة البرانية والجوانية، وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة، يقولون: لو كان ثم شيء له صحة كان نائب القلعة يطالع على هذا قبل الوطاق. فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بيغرا إلى الوطاق، وقد تلقوه وعظموه، ومعه تقليد النيابة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة، وكتاب إلى الامراء بالسلام. ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت الكلمة والله الحمد. وركب بيغرا إلى القلعة فترجل وصل سيفه ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سريعا ودقت البشار في القلعة بعد المغرب، حين بلغه الخبر، وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلا وفرح الناس، فلما كان يوم الخميس حادى عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلا والاطلاب بين يديه في تجميل وطبخانات على عادة العرض، وقد خرج أهل البلا إلى الفرجة، وخرج أهل الذمة بالتوارة، وأشعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً.

وقد صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين، وقد رأيته وامتنعته فاذا هو بجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغرب ما يكون. وفي العشر الاول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمام الذي بناها نائب السلطنة بالقرب من الثابتية في خان السلطان العتيق، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك. وفي يوم الاحد حادى عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الاربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المستنق، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكز. فاشتوروا هنالك، ثم انفصل الحال على أن يعمل، والله ولي التوفيق.

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة صلى على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية، أخو الشيخ تقي الدين رحمهما الله تعالى. وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ على القطناني بقطنا، وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين، واتبعه جماعة من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريقة أحمد ابن الرافعي، وعظم أمره وسار ذكره، وقصده الأكابر لزيارة مرات، وكان يقيم السماع على عادة

أمثاله ، وله أصحاب يظهرون إشارة باطلة ، وأحوالا مفتعلة ، وهذا مما كان ينقم عليه بسببه ، فانه إن لم يكن يعلم بمحالمهم فجاهل ، وإن كان يقرهم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي أواخر هذا الشهر - أعني ذى الحجة من العيد وما بعده - أهتم ملك الأسمراء في بناء الجامع الذى بناه تحت القلعة وكان تل المستقين ، وهدم ما كان هناك من أبنية ، وعملت العجل وأخذت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التى للمصريين ، من تحت المأذنة التى فى رأس دقبة الكتاب ، وتيسر منها أحجار كثيرة ، والأحجار أيضا من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها ، وكان صلخ هذه السنة - أعني سنة سبع وأربعين وسبعائة - قد بلغت غرارة القمح إلى مائتين فما دونها ، وربما بيعت بأكثر من ذلك ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعائة

استلمت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطيه ، وقضاة مصر هم الذين كانوا فى الماضى بأعيانهم ، ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبغا الناصرى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها بأعيانهم ، غير أن القاضى عماد الدين الحنفى نزل لولده قاضى القضاة نجم الدين ، فباشر فى حياة أبيه ، وحاجب الحجاب نحر الدين إياس .

واستلمت هذه السنة ونائب السلطنة فى حمة عالية فى عمارة الجامع الذى قد شرع فى بنائه غربى سوق الخليل ، بالمكان الذى كان يعرف بالتل المستقين .

وفى ثالث المحرم توفى قاضى القضاة شرف الدين محمد بن أبى بكر الحمدانى المالكي ، وصل عليه بالجامع ، ودفن بترتبه بميدان الحصا ، وتأسف الناس عليه لرياسته وديانته وأخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضى جمال الدين المسلاتى الذى كان نائبا للقاضى شرف الدين قبله ، وخلع عليه من آخر النهار . وفى شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخليل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يملقون ما فوقه من البناء ثم يأخذونه ويقيمون بدله دعامه وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذى كان بسوق المليبين الذى فى تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لمسر بول الحيوان إذا داروا بالدابة ينجل أراقبها ، فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قلعوه من موضعه بعد ما كان له فى هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم . وقد رأيت فى هذا اليوم وهو ممدود فى سوق المليبين على الأخشاب

ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله .
وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت
جداره حين أسسوه والله الحمد .

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء
كالعجazy وأقسنقر الناصري ، ومن ألف لفهما ، فتحرك الجند بالشام ووقعت خبطة ، ثم استهل شهر
جمادى الأولى والجند في حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعى الأمراء إلى دار السعادة بسبب
ما وقع بالديار المصرية ، وتماهد هؤلاء على أن لا يؤذى أحد ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وفي هذا اليوم [اليوم] تحول
ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبقى واحترز لنفسه ، وكذلك حاشيته . وفي يوم الأربعاء
الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد ومعه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل
ملك الأمراء بلبغا نائب الشام ، فقرأ عليه بمحضرة الأمراء بالقصر الأبقى ، فتغصم لذلك وساءه ،
وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد ليولى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديعة له ،
فاظهر الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر على
ولاية دمشق فيوليني أى البلاد شاء ، فأنا راض بها . ورد الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو
يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب نخيم قريبا من الجسورة في الموضع الذي خيم فيه عام أول ، وفي
الشهر أيضا كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هناك على عادتهم عام أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ماشع الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت
القلمة وأحضروا من القلمة سبعين سلطانين أصفرين ، وضربوا الطبول حرباً ، فاجتمعوا كلهم
تحت السنجد السلطاني ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير
سيف الدين قلاوون أحد مقدمي الألوف وخبره أكبر أخبار الأمراء بمسألة النيابة ، فبعث إليه
الأمراء أن هلم إلى السمع والطاعة لسلطان ، فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ،
فساروا إليه في الطبائخانات والبوقات ملبسين لأمة الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله
ملبساً واستعد للهرب ، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفروا فرار رجل واحد ، وساق الجند وراءه فلم
يكتشفوا له غباراً ، وأقبل العمامة وتركبان القبيبات ، فانتبهوا ما بقي في معسكره من الشعير والأغنام
والخيام ، حتى جعلوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً ، فقدم له ولاصحابه من الأمتعة ما يساوى
ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه والمسير وراءه الحاجب الكبير الذي قدم من الديار المصرية قريبا
شهاب الدين بن صبح ، أحد مقدمي الألوف ، فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين .
ولما كان يوم الأحد قدم الأمير نحر الدين إياس نائب صفد فيها فتلقاه الأمراء والمقدمون ، ثم

جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ، ولم يترك أحدا من الجند بدمشق إلا ركب معه وساق وراءه يلبغا فأنهرا نحو البرية ، فجمعت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة ، ففرج فأنهها وقد ضعف أمره جداً ، وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصالاة الأعداء من كل جانب ، فالتقى بيده وأخذ سيفه وسيوف من معه واعتقلوا بحماة ، وبعث بالسيوف إلى الديار المصرية ، وجاء الخبر إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر ، فضربت البشائر بالقلمة وعلى باب الميادين على العادة ، وأحدثت العساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السلطان من شأنه ، وقام إياس بجيش دمشق على حمص ، وكذلك جيش طرابلس ، ثم دخلت العساكر راجعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقسم يلبغا وهو مقيد على كديش هو وأبوه وحوله الأثراء الموكلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به فم السبعة بعدما غلقت الأسواق ، وطلعت السرج ، وغلقت الطاقات ، ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ، ثم من عند مسجد الديان على المصلى ، واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية ، وتواترت البريديات من السلطان بما رسم به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملأهم وغير ذلك ، وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون وغبرة ، وأخذت رؤسهما إلى السلطان وكذلك قتل بفترة الأثراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد ابن البغدادي ، والدوادار طغتمرو ويدير البدرى ، أحد المقدمين ، كان قد ندم عليه السلطان بمائة يلبغا ، فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام ، فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التفاه من الطريق ، فلما انفصل البريد من غزة التقى يلبغا في طريق وادى فحمة فخنقه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يلبغا وطواشي من بيت المملكة ، فتسلم مصاغاً وجواهر نفيسة جداً ، ورسم يبيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذى كان قد شرع بعمارته بسوق الخليل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التى كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربى خان السلطان العتيق ، وخصصا فى قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فاقه أعلم . ثم طلب بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم ، فلا يدري على أى صفة هلكوا . وفى صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائباً عليها ، وكان قدمه من حلب ، انفصل عنها وتوجه إليها الأمير نغر الدين إياس الحاجب ، فدخلها أرغون شاه فى أمهة وعليه خلمة وعمامة بطرفين ، وهو قريب الشكل

من تنكز رحمه الله فتزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الأمير قراستقر بالجامع الأموي وظاهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودفن بقربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي وعملت ليلة النصف على العادة من إشمال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة ، كل رطل إلا وقية بدرهم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله الشبرج والصابون والأرز والمنبريس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمة على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربع ، ونحو ذلك ، وغالب أهل حوران يردون من الأماكن البعيدة ويحملون القمح للمؤنة والبدار من دمشق ، ويبيع عندهم القمح المغربي كل مد بأربعة دراهم ، وهم في جهد شديد ، والله هو المأمول المستول ، وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولفرس ودابته ، لأن المياه التي في الدرب كلها نفقت ، وأما القدس فأشد حالا وأبلغ في ذلك .

ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذه السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على عباده بإرسال الفيث المتدارك الذي أحيا العباد والبلاد ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء في الأودية والفران ، وامتلات بركة زرع بعد أن لم يكن فيها تحطيرة ، وجاءت بذلك البشارة إلى نائب السلطنة ، وذكر أن الماء عم البلاد كلها ، وأن الثلج على جبل بني هلال كثير ، وأما الجبال التي حول دمشق فملؤها تلوج كثيرة جداً ، واطمأنت القلوب وحصل فرج شديد والله الحمد والمنة ، وذلك في آخر يوم بقي من تشرين الثاني .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من رمضان توفي الشيخ عز الدين محمد الحنبلي بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفرى ، وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله ، وكان كثير آميلقن الأموات بعد دفنهم ، فلقنه الله حجته وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفي العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غزة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجي بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم في طائفة قليلة فقتل في الحال وسحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قطع قطعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير البيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدفعت البشارة في القلعة المنصورة ، وزين البلد بكاله والله الحمد في الساعة الراهنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكاله والله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتماع الألفة . وفي يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير نغرا الدين

إياس نائب حاب محتاطا عليه ، فاجتمع بالنائب في دار السعادة ، ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ، ويقال إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق ، فهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأقام بالقلعة المنصورة نحواً من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يدر ما فعل به .

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي بتربة أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله .

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله واقفها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوداً والله الحمد والمنة ، أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه » وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة فقطعوا إحدى عشر منهم ، وسمر عشر تسميراً تميزيراً وتأديباً انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة

استلمت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ، ووزيره منجك ، وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الاخنائي المالكي ، وعلاء الدين بن التركاني الحنفي ، وموفق الدين المقدسي الحنبلي ، وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ، ونائب الشام المحروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وحاجب الحجاب الأمير طيردمر الاسماعيلي ، والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي ، وقاضي القضاة جلال الدين المسلائي المالكي ، وقاضي القضاة علاء الدين بن منجاء الحنبلي ، وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي ، وهو قاضي العساكر بحلب ، ومدرس الأسدية بها أيضاً ، مع إقامته بدمشق المحروسة ، وتواترت الأخبار بوقوع البلاء في أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم -م كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غزة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفاً ، وقرى البخارى في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة ، وحضر القضاة وجماعة من الناس ، وقرأ أربعة بعد ذلك المقرؤن ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض

في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء . وفي صبيحة يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وثلاثة وستين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله (ص) أرشده إلى قراءة ذلك كذلك . وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجم غفير ، ولا سيما من النساء ، فان الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتضرع وإقامة ، وكثرت الأموات في هذا الشهر جداً ، وزادوا على المائتين في كل يوم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتمطلت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، وزاد ضمان الموتى جداً فتضرر الناس ولا سيما الصعاليك ، فانه يؤخذ على الميت شيء كثير جداً ، فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان النعوش والمنسلين والحمالين ، ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ، ووقف نعوش كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ، ولكن كثرت الموتى فانه المستعان .

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم ، فصام أكثر الناس وقام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عبيق ، واليهود والنصارى والسامرة ، والشيوخ والعجائز والصبيان ، والفقراء والأمرأ والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هناك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جداً ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتاً جملة واحدة ، قهول الناس من ذلك وأنذروا ، وكان الوباء يومئذ كثيراً بما يقارب الثلاثمائة بالبلد وحواضره فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتاً بجامع دمشق ، وصلى على إحدى عشر نفساً رحمهم الله .

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها إلا ما كن

فكنبر قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعت جزءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم ، واختلاف الأئمة في نسخ ذلك ، وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر في خطبته بدمج الحمام وقتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها ، إذا أذن الإمام في ذلك للمصلحة . وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن بن شيخنا الحافظ المزى ، بدار الحديث النورية وهو شيخنا ، ودفن بمقابر الصوفية على والده . وفي منتصف شهر جمادى الآخرة قوى الموت وتزايد وبالله المستعان ، ومات خلائق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنته ، وبالله المستعان . وكان يصلى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت فانا لله وإنا إليه راجعون ، وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر فحمس الدين بن الصباب التاجر السفاربانى المدرسة الصبائية ، التي هي دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهي قبلى المادلية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فعمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنبلة ، ووقف هو وغيره عليها أوقافاً جيدة رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلى بعد الجمعة بالجامع الأموى على غائب : على القاضي علاء الدين بن قاضى شعبة ، ثم صلى على إحدى وأربعين نفساً جملة واحدة ، فلم يتسع داخل الجامع لاصفهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والقيب فصلى عليهم كلهم هناك ، وكان وقتنا مشهوداً ، وعبرة عظيمة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بافريدون الذى بنى المدرسة التى بظاهر باب الجابية تجاه تربة بهادرآص ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافاً جيدة ، وكان مشهوراً مشكوراً رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رجب صلى على الشيخ على المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الافرى بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح رحمه الله ، وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول في هذه الدنيا وظيفة بالكلية ، ولم يكن له مال بل كان يأتى بشيء من الفتوح يستغنى قليلاً قليلاً ، وكان يمانى التصوف ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الأربعاء رابع رجب صلى على القاضي زين الدين بن النجيج نائب القاضي الحنبلى ، بالجامع المظفرى ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكوراً في القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضي

الشافعي مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطالحا فيها بعد ذلك .

وفي يوم الاثنين ثاني عشره بعد أذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى أظلمت الدنيا ، وبقي الناس في ذلك نحو من ربع ساعة يستغيثون الله ويستغفرون ويبيكون ، مع مام فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام مام فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان . وبلغ المصلي عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد ومن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال إنه بلغ ألفا في كثير من الأيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفرى على الشيخ إبراهيم بن المحب ، الذي كان يحدث في الجامع الأموي وجامع تنكز ، وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . وعملت المواعيد بالجامع الأموي ليلة سبع وعشرين من رجب ، يقولون ليلة المعراج ، ولم يجتمع الناس فيه على المادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم . واتفق في هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس في الخيم ظاهر البلد ، فجأوا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم في ذلك ، فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنعوما يهلك الناس في هذا الحين على الجنائز ، فانزعج نائب السلطنة فخرج فوجدهم فأمر بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسميمهم ثم عفا عنهم وضرب متولى البلد ضربا شديداً ، وسمر قائبه في القيل ، وسمر البواب بيباب النصر ، وأمر أن لا يمشى أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم تسمع لهم في ذلك .

واستهل شهر شعبان والفناء في الناس كثير جداً ، وربما أتقت البلد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وتوفي الشيخ فحمس الدين بن الصلاح مدرس القيمرية الكبيرة بالمطر زيين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلى بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين ابن الشيرازي ، محتسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولى نظر الجامع مدة ، وفي بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له في وقت بينهما ودفن بسفح قاسيون .

وفي العشر الأخير من شهر شوال توفي الأمير قرا باغادويدار النائب ، بداره غربى حكر السماق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذى أنشأ السويقة المجددة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ، ، ثم بارت وهجرت لقلة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بتربته هناك ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذه مخدومه نائب السلطنة .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفي خطيب الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده ، وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم ، وصلى على الخطيب تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بترتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد ، وجمال الدين عبد الله رحمهم الله .

وفي يوم الخميس تاسعه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جملة فولاء إياها نائب السلطنة ، وانزعجت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرقت على الناس ، فولى القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بنية جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة ، وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء .

وفي يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفي القاضي شهاب الدين بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئاً من ذلك من رئاسة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملاك ومراتب كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقها ليس بالسفح مثلها ، وقد انتهت إليه رئاسة الانشاء ، وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه ، وله مصنفات عديدة بعبارات سديدة ، وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الحسين ، توفي بدارم داخل باب الفراديس ، وصلى عليه بالجامع الأموي ، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من الينمورية ساعده الله وغفر له .

وفي هذا اليوم توفي الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي ، كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصر بخط الشيخ منه ، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ، دينا عابداً كثير التلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين . ثم دخلت سنة خمسين وسبع مائة

استهل هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب الديار المصرية ومدير ممالكه والاتبك سيف الدين يلبغا ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب .

وفي هذه السنة والله الحمد تقاصر أمر الطاعون جداً ونزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخسائفة في أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية ، فان في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الثقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض ، وصلى عليهم جميعاً ، ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ، مدرس العمادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر باشر تقي الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة ارغون شاه

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأبلق بأهله ، فهاشم بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين ألجى بقا المظفرى الناصرى ، ركب إليه في طائفة من الأمراء الأتوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه نائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيدوه ورموا عليه ، وأصبح الناس أكثرهم لا يشعر بشيء مما وقع ، فتحدث الناس بذلك واجتمعت الأتراك إلى الأمير سيف الدين ألجى بقا المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أرغون شاه ، فبات عزيزاً وأصبح ذليلاً ، وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسبحان من بيده الأمر مالك الملك [يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء] وهذا كما قال الله تعالى [أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبوحاً فأثبت محضر بأنه ذبح نفسه فاقه تعالى أعلم .

كائنة عجيبة غريبة جداً

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين ألجى بقا ، نائب طرابلس ، الذى جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدم ، وأقام بالميدان

الأخضر يستخلص أمواله وحواسله ، ويجمعها عنده ، فأنكر عليه الأمراء الكبار ، وأمروه أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم ، فاتهموه في أمره ، وشكوا في الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله ، وركبوا ملابس تحت القلعة وأبواب الميادين ، وركب هو في أصحابه وم في دون المائة ، وقاتل يقول م ما بين السبعين إلى الثمانين والتسمين ، جعلوا يحملون على الجيش حمل المستقلين ، إنما يدافعهم مدافعة المتبرئين ، وليس معهم مرسوم بقتلهم ولا قتالهم ، فلمذاولى أكثرهم منهزمين ، فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقسمين ، وهو الأمير الكبير سيف الدين ألبى بن العادلى ، قطعت يده اليمنى ، وقد قارب التسمين ، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستخدمين ، ثم انفصل الحال على أن أخذ ألبى بن المظفرى من خيول أرغون شاه المرتبطة فى اسطبله ما أراد ، ثم انصرف من ناحية المزة صافراً على عقبيه ، ومعه الأموال التى جمعها من حواصل أرغون شاه ، واستمر ذاهباً ، ولم يتبعه أحد من الجيش ، وصحبته الأمير نغر الدين إياس ، الذى كان حاجباً ، ونائب فى حلب فى العام الماضى ، فذهبا بمن معهما إلى طرابلس ، وكتب أمراء الشام إلى السلطان يملونه بما وقع ، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالكلية ، وأن الكتاب الذى جاء على يديه مفقود ، وجاء الأمر لاربعة آلاف من الجيش الشامى أن يسيروا وراهم لمسكوه ثم أضيف نائب حشد مقدماً على الجميع ، فخرجوا فى العشر الأول من ربيع الآخر . وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت المساكر فى طلب سيف الدين ألبى بن العادلى فى المعركة وهو أحد أمراء الألوف المتقدمين ، ولما كانت ليلة الخميس صابه نودى بالبلد على من يقربها من الاجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالقد ، فأصبحوا فى سرعة عظيمة واستناب فى البلد نيازة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين الخطير ، فحكم بدار السعادة على عادة النواب . وفى ليلة السبت بين العشاءين سادس عشر دخل الجيش الذين خرجوا فى طلب ألبى بن المظفرى ، وهو معهم أسير ذليل حقير ، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم ، فأودعوا فى القلعة مهانين من جسر باب النصر الذى تجاه دار السعادة ، وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير نائب الفية ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ولله الحمد والمنة فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجا من القلعة إلى سوق الخليل فوسطا بمحضرة الجيش ، وعلقت جثتهما على الخشب ليراهما الناس ، فكنا أياماً ثم أنزلنا فدفنا بمقابر المسلمين .

وفى أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخبر بموت نائب حلب سيف الدين قطلبشاه فرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله فى مدينة حماة فى زمن الطاعون ، وذكر أنه كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره ، ويأخذ من أموال الناس جبهة ، حتى حصل له منها شيء كثير ، ثم

نقل إلى حلب بعد نائبا الأمير سيف الدين أرقطيه الذي كان عين لنيابة دمشق بعد موت أرغون شاه ، وخرج الناس لتلقيه فما هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فأتت بتلك المنزلة ، فلما صار قطلبشاه إلى حلب لم يبق بها إلا يسيراً حتى مات ، ولم يفتنع بتلك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في أخراه .

ولما كان يوم الخميس الحادى عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى من الديار المصرية إلى دمشق نائبا عليها ، وبين يديه الجيش على المادة ، فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف ، وأعطى تقليده ومنشوره هناك ، ثم وقف في الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح الناس به ، وهو حسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريبا من شهرين ونصف . وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من الطبلخانات ، وهم القاسمى وأولاد آل أبو بكر اعتقلهم في القلعة لمالأتهم ألقى بها المظفرى ، على أرغون شاه نائب الشام .

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضى نجم الدين بن القاضى عماد الدين الطرسوسى الحنفى ، وذلك بتوقيع سلطاني وخلمة من الديار المصرية . وفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضى القضاة تقي الدين السبكى وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، على يدى الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، فى بستان قاضى القضاة ، وكان قد نتم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة ، وشرع فى تمكيل التربة والمسجد الذى قبلها ، وذلك أنه عاجلته المنية على يد ألقى بها المظفرى قبل إتمامها ، وحين قتلوه ذبحا ودفنوه ليلا فى مقابر الصوفية ، قريبا من قبر الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ثم حول إلى تربته فى الليلة المذكورة ، وفى يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقریب من ساعة ، فصلى الناس فى الجامع الأموى على عادتهم فى ترتيب الأئمة ، ثم رأوا الوقت باقيا فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانيا ، وهذا شئ لم ينفق مثله .

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفى قاضى القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلى بالمسارية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الاثنين رضان بكرة النهار استدعى الشيخ جمال الدين المرداوى من الصالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين ، وأريد على لبسها وقبول الولاية فامتنع ، فألحوا عليه فصمم وبالع فى الامتناع

وخرج وهو مفضب فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه ، وفي القضاة يوم ذلك في دار السمادة ، ثم بعثوا إليه بعد الظاهر فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع ، فقرأ تقليده بعد العصر ، واجتمع معه القضاة وهنأه الناس ، وفرحوا به لديانته وصيانته وفضيلته وأمانته . وبعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه قمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوى المقدسى ، وابن مفلح زوج ابنته . وفي العشر الأخير من ذى القعدة حضر الفقيه الامام المحدث المفيد أمين الدين الايجي المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين ابن القلانسي ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الاكابر والأعيان . وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه ، الذي كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبلي منها ، وصلى فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فعمره وكبره ، وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين يابغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشارون جماعة من المقدمين بديار مصر ، وقضاة مصر وكاتب السرم الذين كانوا في السنة الماضية ، ونائب الشام الأمير سيف الدين ارتيمش الناصري ، والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فإنه الشيخ جمال الدين يوسف المرادوى ، وكاتب السرم ، وشيخ الشيوخ تاج الدين ، وكاتب الدست هم المتقدمون ، وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضي علاء الدين بن شمرونخ ، والمحاسب القاضي عماد الدين بن المزفور ، وشاد الأوقاف الشريف ، وناظر الجامع نحر الدين بن العفيف ، وخطيب البلد جمال الدين محمود ابن جملة رحمه الله .

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودى بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء الا كأم الطوال المرض ، ولا البرد الحرير ، ولا شيئا من اللباسات والثياب الثينة ، ولا الأقشة القصار ، وبلغنا أنهم بالديار المصرية شددوا في ذلك جدا ، حتى قيل إنهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فآله أعلم .

وجدت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبلي تربة امرأة تنكز ، بحلة باب الخواصين حولها ، وكانت قاعة صورة مدرسة الطواشي صفي الدين عنبر ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الكبار الأجواد ، تقبل الله منه . وفي يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التي كانت دارا للأمير سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها وبين أم الصالح ، اشترت

من ثلثة الذى وصى به ، وفتحت مدرسة وحول لها شباك إلى الطريق فى ضفتها القبلىة منها ، وحضر
الدرس بها فى هذا اليوم الشيخ عماد الدين بن شرف الدين بن عم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني
بوصية الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضى القضاة السبكى والمالكي وجماعة من الأعيان ، وأخذ فى
قوله تعالى [ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها] الآية . واتفق فى ليلة الأحد السادس
والعشرين من جمادى الأولى أنه لم يحضر أحد من المؤذنين على السدة فى جامع دمشق وقت إقامة
الصلاة للمغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من يقيم معه الصلاة فلم يجرى أحد غيره مقدار درجة أو
أزيد منها ، فأقام هو الصلاة وحده ، فلما أحرم الامام بالصلاة تلاحق المؤذنون فى أثناء الصلاة حتى
بلغوا دون العشرة ، وهذا أمر غريب من عدة ثلاثين مؤذن أو أكثر ، لم يحضر سوى مؤذن واحد ،
وقد أخبر خلق من المشايخ أنهم لم يروا نظير هذه الكائنة .

وفى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان ، وكان الفاضل الحنبلى
قد حكم فى دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشيخ أبى حرييليف ، وكانت وقفاً ، لتضاف إلى دار القرآن ،
ووقف عليها أوقاف فقراء ، فمنع الشافعى من ذلك ، من أجل أنه يؤول أمرها أن تكون دار حديث
ثم فتحوا باباً آخر وقالوا : هذه الدار لم يستهدم جميعها ، وما خلاص الحكم محلاً ، لأن مذهب الامام
أحمد أن الوقف يباع إذا استهدم بالكلية ، ولم يبق ما ينفع به ، فحكم القاضى الحنفى بائبائها وقفاً كما
كانت ، ونفذ الشافعى والمالكي ، وانفصل الحال على ذلك ، وجرت أمور طويلة ، وأشياء عجيبية .
وفى يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التى
يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبحاً ، وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة
المذكورة ولم يطالع على فاعل ذلك ، وكان البواب رجلاً صالحاً مشكوراً رحمه الله .

ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزريه

وفى ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفى صاحبنا الشيخ الامام العلامة شمس
الدين محمد بن أبى بكر بن أبوب الزرعى ، إمام الجوزية ، وابن قيمها ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر
من الغد بالجامع الاموى ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير رحمه الله . ولد فى سنة إحدى
وتسعين وستائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وبرع فى علوم متعددة ، لا سيما علم التفسير والحديث
والأصليين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية فى سنة ثلثى عشرة وسبعائة لازمه
إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علماء جماع ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً فى بابيه فى
فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً ، وكثرة الابتهاال . وكان حسن القراءة والخلق ، كثير
التودد لا يمسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد ، وكنت من أصحاب الناس له وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله ، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا ، واقتنى من الكتب مالا يتنبأ لغيره تحصيل عشرة من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل الصبر في مجموعته وأموره وأحواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سأل الله رحمه الله ، وقد كان متصديا للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكل له من العمر ستون سنة رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأقاد وأجاد ، ومرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن المعجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر ، أنه بطل الوعيد بجماع دمشق في ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقيد قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة والله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء ، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، والاستيجار بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه ، وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيب بيض الله وجهه ، وقد كان مقبلا في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وغيرهما في إبطال هذه البدعة ، فأنفذ الله ذلك والله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا ، ولم يسم فيها من قبيح وقاض ومفت وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا ، والمسؤول من الله إطالة عمر هذا السلطان ، ليعلم الجبهة الذين استقر في أذهانهم إذا أبطل هذا الوعيد في عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لاحقية له ولادليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال .

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس ، وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية ، وكان بيده نصف تدريس الضاحية

التي الحنبلة بالصالحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنبلة بدمشق ، فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضي علاء الدين ابن المنجا الحنبلي ، فمارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرادوى الحنبلي ، وولى فيها نائبه فحمس الدين بن مفلح ، ودرس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم ، فدخل القضاة الثلاثة الباقيون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنشؤا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرس الشيخ شرف الدين المذكور ، وبث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومدير ممالكها الأمير سيف الدين يلبغا الناصري ، ومعهم جماعة من الأمراء ، فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك ، وهو وزير الملكة ، وأستاذ دار الاستنادرية ، وهو باب الخواص في دولتهم ، وإليه يرسل ذوا الحاجات بالذهب والهدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك ، وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شيخون ، وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الاسكندرية فأنه أعلم . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما ، وكذلك وردت الأخبار بمسك يلبغا في أثناء الطريق ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية فحلف الأمراء بالطاعة إلى السلطان ، وكذلك سار إلى حلب فحلف من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الأموال شيء كثير من النواب والأمراء .

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صبح ، وملك آص ، من دار السعادة بمحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعوا إلى القلعة المنصورة ، سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقيدا وسجنا بها ، وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضي علم الدين زينور ، وخاع عليه خلمة سنية ، لم يسمع بمثلا من أعصار متقدمة ، وباشر وخاع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طسبغا وأعيد إلى مباشرة الويدارية بالديار المصرية ، وجعل مقدما .

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشتهر أن نائب صمد شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانات طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعي ، وقضى العهد ، وحصل فيها عدداً ومدا وادخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والامتناع فيها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو

وجميع جيش دمشق إليه ، فجهز الجيش لذلك وتأهبوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعض بدا لنائب السلطنة فردم وكان له خبرة عظيمة ، ثم استقر الحال على مجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه .

وفي يوم الخميس تالي عشره وقعت كائنة غريبة بمى وذلك أنه اختلف الأشراف المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد ، فاقتتلوا قتالا شديدا قريبا من وادى محسر ، ثم انجلت الوقعة عن أمر صاحب اليمن الملك المجاهد فعمل مقيدا إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجاج وم أخبروا بذلك . واشتهر في أواخر ذى الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكامل قد خرج عنها بمالبيكة وأصحابه فرام الجيش الحلبى رده فلم يستطيعوا ذلك ، وجرح منهم جراحات كثيرة ، وقتل جماعة فاقاه وإنا إليه راجعون ، واستمر ذاهبا وكان في أمه فيما ذكر أن يتلقى سيف الدين يلبغا في أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق ، وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بغتة فيأخذها ، فلما سار بمن معه وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي تجريدة في نفر يسير من مالبيكة ، فاجتاز بحمالة لير به نائبها فأبى عليه ، فلما اجتاز بمحصر وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائب حصن وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الأتوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر ، وهو في أبهة ، فنزل بدار السعادة في بعض قاعات الدويدارية انتهى .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

استهل هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الملقب بمহারس الطير ، وهو عوضا عن الأمير سيف الدين يلبغا أروش الذى راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فعزله السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله ، وأخذ منجك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدم ألف ، فبعضطى أمواله ، واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة القاضي علم الدين ابن زينور ، واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طسبغا الناصرى ، وكان أميراً بالشام مقبلا منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاها فهم المذكورون في التى قبلها .

واستهل هذه السنة ونائب صفد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما ينبغي لها من الأطلعات والذخائر والعدد والرجال ، وقد نابذ المملكة وحارب ، وقد قصدته المساكن من كل جانب من الديار

المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها ، والأخبار قد ضمنت عن يلبغا وسن معه بيلاد الحجاز ما يكون من أمره ، ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدهما بمن معه ، والقلوب وجلة من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حج في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولى عليها أخاه بعينة ، فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين بزلاز ومعهم طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخام يلبغا وقيده ، فقوى رأسه عليهم واستخف بهم ، فصبوا حتى قضى الحج وفرغ الناس من المناسك ، فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس توافقوا هم وهو قتل من الفريقين خلق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريبة من وادي محسر ، وبقي الحبيص خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فذهب الأتراك أموالهم وربما قتلهم ، ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يعصمه من الأتراك ، بل أسروه ذليلاً حقيراً ، وأخذوه مقيداً أسيراً ، وجاءت عوام الناس إلى اليمنيين فذهبوا شيئاً كثيراً ، ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا قليلاً ولا كثيراً ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتعته وأقاله ، وساروا بخيله وجماله ، وأدلوها على صناديد من رحله ورجاله ، واستحضروا معهم طفيلاً الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيده أيضاً ، وجملوا الغل في عنقه ، واستاقوه كما يستاق الأسير في وثاقه مصحوباً بهم وحفنه ، وانشروا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فلة تذكر بمدحهم إلى حين .

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من المحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة . وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صفد مخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد ابن مشد الشرنجباتاه ، الذي كان قد تمرد بها وطفى وبني حتى استحوذ عليها وقطع سبيلها وقتل الفرسان والرجالة ، وملأها أطمعة وأسلحة ، وماليكه ورجاله ، فمدا ما تحقق مسك يلبغا أروش خضعت تلك النفوس ، وخمدت ناره وسكن شراره وحار بشره ، ووضع قراره ، وأتاب إلى التوبة والانلاع ، ورضب إلى السلامة والخلص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يحسن عليه وأن يقبل بقلبه إليه . وفي يوم الأحد خامس صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون الكامل معاداً إلى نيابة حلب ، وفي محبته الأمير سيف الدين طشبقا الدوادار بالديار المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فتلقاء نائب الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طشبقا الدوادار عند زوجته بدار منجي في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حندر ، وقد جددت في السنة الماضية ، وتوجه في القيلة الثانية من قدومه إلى حلب . وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع

القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلى ليتكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التى بجوار مدرسة الشيخ أبى عمر،
التى حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة ، وجاء مرسوم السلطان يوفق
ذلك ، وكان القاضى الشافعى قد أراد منعه من ذلك ، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك ،
فلم يحضر القاضى الحنبلى ، قال حتى يجىء نائب السلطنة .

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضى حسين ولد قاضى القضاة تقي الدين
السبكى عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرقية وقرأ عليه شئ كان قد خرج له بعض المحدثين ،
وشاع فى البلد أنه نزل له عنها ، وتكلموا فى ذلك كلاماً كثيراً ، وانتشر القول فى ذلك ، وذكر بعضهم
أنه نزل له عن الغزالية والعاذلية ، واستغلفه فى ذلك فأنه أعلم .

وفى سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الآخرة وقع حريق عظيم بالجوانيين فى السوق الكبير
واحتترت دكاكين الفواخرة والمناجلين ، وفرجة الغرابيل ، وإلى درب القلى ، ثم إلى قريب درب
العبيد ، وصارت تلك الناحية دكا بلقما ، فأنه الله وإنا إليه راجعون . وجاء نائب السلطنة بعد الأذان
إلى هناك ورسم بطنى النار ، وجاء المتولى والقاضى الشافعى والحجاب ، وشرع الناس فى طفى النار ،
ولو تركوها لأحترقت شيئاً كثيراً ، ولم يفقد فيها باغنا أحد من الناس ، ولكن هلك للناس شئ كثير
من المتاع والأثاث والأملأك وغير ذلك ، واحترق للجامع من الرابغ فى هذا الحريق ما يساوى مائة
ألف درهم . انتهى والله أعلم . كاتبة غربية جداً

وفى يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضى الحنبلى جماعة من اليهود كان قد
صدر منهم نوع استهزاء بالاسلام وأهله ، فانهم حملوا رجلاً منهم صفة ميت على نعش ويهللون كهليل
المسلمين أمام الميت ويقرأون (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)
فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين ، فأخذوهم إلى ولى الامر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحبلى ،
فاقتضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال ، وأسلم فى اليوم السانى
ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطافوا بهم فى الأسواق يهللون ويكبرون ، وأعطاهم أهل الأسواق
شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصلوا ثم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئاً ، ورجعوا
وهم فى ضجيج وتهليل وتقديس ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة . انتهى والله أعلم

ملكة السلطان الملك الصالح

صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الهلبى
فى العشر الأوسط من شهر رجب الفرد وردت البريدية من الديار المصرية بعزل السلطان
الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه ، واجتماعهم على أخيه الملك

الصالح ، وأمه صلحة بنت ملك الأمراء تنكز الذي كان نائب الشام مدة طويلة ، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وجاءت الأمراء للحلف ، فدقت البشائر وزين البلد على العادة ، وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الأمراء الذين كانوا باسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما ، وأرسلوا إلى يلبغا فجاء به من الكرك ، وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج ، فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في الكرك فأخرج وعاد إلى الديار الحجازية . وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك معارضة أمير أخور وميكل بن الفخري وغيرهما ، فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الاسكندرية ، وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالمقصورة على العادة . وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطلوباً إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس . وفي يوم الاثنين حادى عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون الكامل الذي كان نائباً على الديار الحلبية من هناك ، فسفل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة ، وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق ، منهم من وصل إلى حاسب وحماة وحمص ، وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور ، واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحدته ، وما كان من لين الذي قبله ورخاوته ، فنزل دار السعادة على العادة . وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل إنه لم ير مثله من مدة طويلة ، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاين ، فأمر بأنزله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة ، واستمر بطلان الوقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضاً كالذي قبله ، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله ، ففرح أهل الخير بذلك فرحاً شديداً ، وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلثمائة سنة والله الحمد والمنة ، ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب : من وجد جندياً سكراناً فلينزله عن فرسه وليأخذ ثيابه ، ومن أحضره من الجنود إلى دار السعادة فله خبره ، ففرح الناس بذلك واختبر على الخازين والعصارين ، ورخصت الأعتاب وجادت الأخباز واللحم بعد أن كان باع كل رطل أربعة ونصفاً ، فصار بدرهمين ونصف ، وأقل ، وأصلحت المعاش من هبة النائب ، وصار له حيت حسن ، وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة القصد ومحة الفهم وقوة العدل والادراك .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشريخانة الذي كان قد عصى في صفد ، وكان من أمره ما كان ، فاعتقل بالاسكندرية ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حماة فنزل دمشق في هذا اليوم سائراً إلى حماة ، فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته

إلى دار السعادة ، ورحل بين يديه . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين يلبغا الذى كان نائباً بالديار المصرية ، ثم مسك بالحجاز وأودع السكر ، ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حلب ، فتلقاه نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقه بوطاة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر . ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ، صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، والخليفة الذى يدعى له المعتضد بأمر الله ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، وقضاة مصر المذكورون فى التى قبلها ، والوزير القاضى ابن زنبور ، وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لعصر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون ، وطار وحر عيمش ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون الكامل ، وقضاةهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين يلبغا أروش ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بككش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشريخانة ، ووصل بعض الحجاج إلى دمشق فى تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلا فى المدايق . وفى ليلة الاثنين سادس عشر صفر فى هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقه فاحترق به دكان القضاة الكبيرة المزخرفة ومحولها ، واتسع اتساعاً عظيماً ، واتصل الحريق بالباب الأصفر من النحاس ، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمهورة الحلبية ، بمشهد على ، ثم عدوا عليه يكسرون خشباً بالفوس الحديد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذى فى غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد وسامه . وله فى الوجود ما ينيف عن أربعة آلاف سنة . انتهى والله أعلم .

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

الذى كان هلاكه وذهابه وكسره فى هذه السنة ، وهو باب سر فى جامع دمشق لم ير باب أوسع ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الابنية فى الدنيا ، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضاً بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق ومعالها ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب فى أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح ، وهو الذى بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل نوح وهود أيضاً ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف ، ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذى بناه لسليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جيرون ، والأول أظهر

وأشهر ، فعلى الأول يكون لهذا الباب من المدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة ، ثم كان انجماف هذا الباب لا من تآكله نفسه بل بالأيدى العادية عليه ، بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه حريق وقع من جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر ، سنة ثلاث وخمسين وسبعائة فتبادر ديوان الجماعة ففرقوا قنصله وقضوا ناله ، وعروا جلده النحاس عن بدنه الذى هو من خشب الصنوبر ، الذى كان الصانع قد فرغ منه يومئذ ، وقد شاهدت النفوس تعمل فيه ولا تسكاد تحيل فيه إلا بشقة ، فسبحان الذى خلق الذين بنوه أولاً ، ثم قدر أهل هذا الزمان على أن يهدموه بعد هذه المدد المتطاولة ، والآنم المتداولة ، ولكن لكل أجل كتاب ، ولا إله إلا رب العباد .

بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة

ذكر الحافظ ابن عساكر في أول تاريخه باب بناء دمشق بسنده عن القاضي يحيى بن حمزة التميمي الحاكم بها في الزمن المتقدم ، وقد كان هذا القاضي من تلاميذ ابن عمر والأوزاعي ، قال : لما فتح عبد الله بن علي دمشق بعد حصارها - يعني وانزعها من أيدي بني أمية وسلمهم ملكهم - هدموا سور دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية ، فجاء راهب فقرأه لهم ، فاذا هو مكتوب عليه : ويك أرم الجبارة من راسك بسره قصه الله ، إذا وهى منك جيرون الغربي من باب البريد وتلك من خمسة أعين ينقض سورك على يديه ، بعد أربعة آلاف سنة تمشين رغداً ، فاذا وهى منك جيرون الشرقي أوّل لك من يعرض لك ، قال : فوجدنا الخمسة أعين عبد الله بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، عين بن عين بن عين بن عين بن عين ، فهذا يقتضى أنه كان بسورها سنينا إلى حين إخرابه على يد عبد الله بن علي أربعة آلاف سنة ، وقد كان إخرابه له في سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا في التاريخ الكبير ، فعلى هذا يكون لهذا الباب إلى يوم خرب من هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائة - أربعة آلاف وستمائة وإحدى وعشرين سنة ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذى أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضي الطوفان ، وقيل بناها دمسقس غلام ذى القرنين عن إشارته ، وقيل عاد الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل ، وقيل غير ذلك من الأقوال ، وأظهرها أنها من بناء اليونان ، لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالى ، ثم كان يهدم النصارى فصلوا فيها إلى الشرق ، ثم كان فيها بعدم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى الكعبة المشرفة . وذكر ابن عساكر وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهيكل السبعة ، فباب القمر باب السلامة ، وكانوا يسمونه باب الفردائس الصغير ، ولطارد باب الفردائس الكبير ، والزهرة باب توما ، وللشمس الباب الشرقى ، وللريخ باب الجابية ، وللشترى باب الجابية الصغير ، ولزحل باب كيسان .

وفي أوائل شهر رجب الفرداشتهر أن نائب حلب يلبغا أروش اتفق مع نائب طرابلس بكمش ، ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشريخانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يمسك شيخون وطار ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الحاكمي فأبى عليهم ذلك ، وكاتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر وبالله المستعان . ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالتصهر الأبق واستحلهم بيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فحلفوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك . وفي ليلة الأربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابلس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها .

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة ليلا يقاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخلت الديار منهم ، ونائب الغيبة الأمير سيف الدين الجي بن العادلي ، وانتقل الناس من البساتين ومن طرف العقبة وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فانافه وإنا إليه راجعون . ولما اقترب دخول الأمير يلبغا بمن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه ، وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغلقت أبواب البلد إلى مايلي القلعة ، كباب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفرديس ، وخلت أكثر المحال من أهاليهم ، ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعامهم إلى البلد على الدواب والحالين ، وبلغهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما في القرى في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الأنعام للأكل . وربما وقع قتاد غير هذا من بعض الجملة ، فخاف الناس كثيرا وتشوشت خواطرم انتهى .

دخول يلبغا أروش إلى دمشق

ولما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين يلبغا أروش نائب حلب إلى دمشق المحروسة بمن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صفد الأمير علاء الدين طييفا ، ملقب برناق ، وكان قد توجه قبله ، قيل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، في عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة ، واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا في تجميل كثير ، ملبسين ، وكان عدة

من كان معه من أمراء الطبلخانات قريباً من ستين أميراً أو يزيدون أو ينقصون ، على ما استفاض من غير واحد ممن شاهد ذلك ، ثم سار قريباً من الزوال للمخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم عند قبة يلبنغا ، عند الجبول الذي هناك ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً ، لما عين الناس من كثرة الجيوش والعدد ، وعذر كثير من الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لثلاث يقابل هؤلاء . فنسأل الله أن يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين . وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إياجى يطلب منه حواصل أرغون التى عنده ، فامتنع عليه أيضاً ، وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها الرجال والرماة والعدد ، وهبأها بعض المجانيق ليمد بها فوق الأبرجة ، وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا الدكاكين وينلقوا الأسواق ، وجعل يغلّق أبواب البلد إلا باباً أو بابين منها ، واشتد حنق العسكر عليه ، وهما بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يرمون عن الناس والله المسلم ، غير أن إقبال العسكر وأطرافه قد عاثوا فيها جاوروه من القرايا والبساتين والكروم والزروع فياخذون ما يأكلون وتأكل دوابهم ، وأكثر من ذلك فأن الله وإنا إليه راجعون . ونهبت قرايا كثيرة ونجروا بنساء وبنات ، وعظم الخطب ، وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مخنف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ، نسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد فى خوف شديد ، وأهل القرايا والحواضر فى نقلة أُناتهم وبقارم ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابى الفراديس والجابية ، وفى كل يوم نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والحواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم ، وكذلك من أهل العقبية وسائر حواضر البلد ، فتركوا عند معارفهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على قارعة الطريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وقال كثير من المشايخ الذين أدركوا زمن قازان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الفلات والثمار التى هى عمدة قوتهم فى سنتهم ، وأما أهل البلد فى قلق شديد أيضاً لما يبلغهم عنهم من الفجور بالنساء ، ويجعلون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجى فى كل وقت يسكن جأش الناس ويقوى عزيمتهم ويشرهم بخروج المساكر المنصورة من الديار المصرية بحجة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقى ، ليجيئوا كلهم فى خدمته وبين يديه ، وتصدق البشائر فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتتلق ويخرجون فى كل يوم وساعة فى تجمّل عظيم ووعد وهبات حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى وقد تزلزل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الديان إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو لا يس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلمة المشى على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن

الصوره مقبول الطلعه ، عليه بهاء المملكه والرياسة ، والخزفوق رأسه بحمله بعض الأمراء الأكبر ، وكلما عاينه من عاينه من الناس يدهلون بالدعاء بأصوات عالية ، والنساء بالزفرطة ، وفرح الناس فرحا شديدا ، وكان يوما مشهودا ، وأمرأ حميدا ، جعله الله مباركا على المسلمين . قتل بالقلمه المنصوره ، وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح بن أبي بكر المستكنى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكان راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدماغية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ، ومقدمهم طار وشيخون في طلب يلبغا ومن معه من البغاة المفسدين .

وفي يوم الجمعة فانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلى فيه نواب السلطان أيده الله ، فكثرت الدعاء والحجة له ذاهباً وآيباً تقبل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر . وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا - يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله - بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر بن المستكنى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضيا الحموي بسامعه من ابن البخاري ، وزينب بنت مكي عن أحمد بن الحسين عن ابن المذهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرهما ، والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه .

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيف الأمراء المسوكين من أصحاب يلبغا . وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبلق في أبهة المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المذكور . وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأمير سيف الدين شيخون وطار بمن معه من العساكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك يلبغا وأصحابه لدخولهم بلاد زلفادر التركاني بمن بقي معهم ، وهم القليل ، وقد أسرج جماعة من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم في القيود والسلاسل محببة الأميرين المذكورين ، فدخلا على السلطان وهو بالقصر الأبلق فسلما عليه وقبلا الأرض وهنأه بالمعيد ، ونزل طار بدار أيتمش بالشرق الشامي ، ونزل شيخون بدار إياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب نائباً عن سؤاله إلى ما ذكر ، وخوطف في تقليده بألقاب هائلة ، ولبس خلعة سنية ، وعظم تعظيماً زائداً ، ليكون هناك إلها على يلبغا وأصحابه لشدة ما بينهما من المداوة . ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر

بالميدان الأخضر ، وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوي المصري . قاضي العسكر المصري بمرسوم
السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا

وفي يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة
والطير يحملها الأمير بدر الدين بن الخطير ، فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة
وأحضروا الأمراء الذين قدموا بهم من بلاد حلب ، فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه
فمنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسطه ، فوسط سبعة : خمس طبلخانات ومقدما ألف ، منهم
نائب صفد برناق وشفع في الباقيين فردوا إلى السجن ، وكانوا خمسة آخرين وفي يوم الأربعاء خامسة
مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة ونحولت دول كثيرة ، وتأمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى
خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى بلاد مصر

وفي يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان في جيشه من القصر الأبلق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع
الأموي ، فلما انتهى إلى باب النصر تجل الجيش بكاله بين يديه مشاة ، وذلك في يوم شات كثير الوحل
فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف العثماني ، وليس معه في الصف الأول أحد ، بل بقية
الأمراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصلاة قرىء كتاب باطلاق أعشار
الأوقاف ، وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكوفة بمن
معه من العساكر المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشق
نائب سلطنة ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطير هو الذي يتكلم في الأمور نائب غيبة ، حتى يقدم
إليها نائبها ويتمين لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالماً ، ودخلها في أبهة
عظيمة في أواخر ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام
الأمير علاء الدين المارداني ، ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة صاحب موفق
الدين . وفي صبيحة يوم السبت خامس الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجدار من الديار المصرية
إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة ، وموكب حافل مستولياً نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ،
فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فاحقهم ، فدخل دار السعادة فترها على
عادة النواب قبله ، جعله الله وجهاً مباركا على المسلمين . وفي يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار
السلطان الأمير عز الدين مغطاي من الديار المصرية فترل القصر الأبلق ، ومن عزمه الذهاب إلى
البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو يلبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبع مائة

استهلّت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلای ، والمشار إليهم فى تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شيخون ، وسيف الدين طار ، وسيف الدين صرغتمش الناصرى ، وقضاة القضاة وكتاب السر هناك هم المذكورون فى السنة الماضية ، ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملى ، لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة يلبغا وأمير أحمد وبكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا فى رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد البليسين فى خفارة زلفادر التركانى ، ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، وفرح المسلمون بذلك فرحا شديداً ، والله الحمد والمنة ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذى كان نائب دمشق كما ذكرنا ، تقلبت به الأحوال حتى استقرب فى طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم ،

واستهلّت هذه السنة وقد تواترت الاخبار بأن الأمراء الثلاثة يلبغا وبكلمش وأمير أحمد قد حصلوا فى قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون ، وهم مسجونون بالقلعة بها ، ينتظر ما يرم به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديداً . وفى يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين مغاطلى الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفى صحبته رأس يلبغا الباغى أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بكلمش الذى كان نائباً بطرابلس ، وأمير أحمد الذى كان نائب حماة فقطعت رؤسهما بحلب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون الكاملى ، وسيرت إلى مصر ، ولما وصل يلبغا بعدها فذل به كفعلهما جهرة بعد العصر بسوق الخيل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته والعامّة على الأحاجير يتفرجون ويفرحون بمصرعه ، وسر المسلمون كلهم والله الحمد والمنة .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المزار ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ قمس الدين بن قيم الجوزية ، ثم وقع فى ذلك كلام فأفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخيل يوم موكبهم ، وحملوا سناجق خليفتين من جامهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك فى الساعة الرابعة ، ثم وقع نزاع فى جواز ذلك ، ثم حكم القاضى الحنبلى لهم بالاستمرار ، وجرت خطوب طويلة بعد ذلك .

وفى يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفى الأمير الكبير سيف الدين ألقى بن العادلى ، ودفن بترتته التى كان أنشأها قديماً بظاهر باب الجابية ، وهى مشهورة تعرف به ، وكان له فى الامرة قريباً

من ستين سنة ، وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى ، واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترماً معظماً إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه .

ذكر أمر غريب جداً

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين ابن الألقوس بديابة بملكك وجدت هنالك شاباً فذكر لي من حضر أن هذا هو الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس ، وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك ، وتحدث الناس به ، فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيتني إلى وسالته بمحضرة من حضر ، فقالت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحي وعلاه خجل يشبه النساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجوني بثلاثة أزواج لا يقدرعون علي ، وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت ، وجعل النوم يعتريني ليلاً ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء طليل قليلاً ، ويزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحي ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع ، فسألته هل احتلم ؟ فقال احتلم مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرني ، وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك ، فقلت له : ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتبه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزموا على تزويجه - على رابع فقال لاؤه إن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطاع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضراً واشتهر أمره ، فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرني ، فأخذ الحاجب سيف الدين كحلن ابن الألقوس عنده وألبسه ثياب الاجناد ، وهو شاب حسن ، على وجهه وممته ومشيته وحديثه أنوثة النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً ، وعندى أن ذكره كان غائراً في جوزة طبر فافرخا ^(١) ثم لما بلغ ظهر قليلاً قليلاً ، حتى تكامل ظهوره فبينوا أنه كان ذكرآ ، وذكر لي أن ذكره برز مختوناً فسمى ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين بقطية الدويدار من الديار الحلبية وخبر عما اتفق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف بن زلفادر التركاني ، الذي كان أعان يلبغا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية ، وأنهم نهبوا أمواله وحواصله ، وأسروا خلقاً من بنيه وذويه وحريره ، وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والرقيق والدواب والامتعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أرطنا فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس

براحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاموا شديداً وتعباً كثيراً . وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالاسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ، ممن كان اثمهم بمالاة يلبغا أو خدمته ، كالأمر سيف الدين . لك أجي ، وعلاء الدين على السيمقدار ، وساطلمس الجلالى ومن معهم .

وفي أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المفتين أفتوا بأحد قولى العلماء ، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس ، فتعصب عليهم قاضى القضاة تقي الدين السبكي فقرعهم في ذلك ومنعهم من الاقتناء ، وصنف في ذلك مصنفا يتضمن المنع من ذلك سماه « الدسائس في الكنائس » وفي خامس شهر رمضان قدم بالأمر أبو الفادر التركمانى الذى كان مؤازراً ليلبغا في العام الماضى على تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيق عليه ، فأحضر بين يدى النائب ثم أودع القلعة المنصورة في هذا اليوم . ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبع مائة

استهات هذه السنة وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاها من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وهو ابن بنت تنكز نائب الشام ، وكان في الدولة الناصرية ، وقائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلای الناصرى ، ووزيره القاضى موفقى الدين ، وقضاة مصرهم المذكورون في العام الماضى ، ومنهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة الشافى ، وقد جاور في هذه السنة في الحجاز الشريف ، والقاضى تاج الدين المناوى يسد المنصب عنه ، وكاتب السر القاضى علاء الدين ابن فضل الله المدوى ، ومدبروا المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون ، ومصر فتمش الناصرى والأمر الكبير الهوادار عز الدين مغلطای الناصرى . ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون في الاحداث من مدة شهر أو قريب وقائب دمشق الأمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التى قبلها ، وفاطر الهواوينى صاحب فحمس الدين موسى بن التاج إسحاق وكاتب السر القاضى ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، ومحاسبه الشيخ علاء الدين الانصارى ، قريب الشيخ بهاء الدين بن إمام المشهد ، وهو مدرس الأئمنية مكانه أيضا .

وفي شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مغلطای الذى كان مسجوناً بالاسكندرية ثم أفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند حمزة أيتمش نائب طرابلس ، وأما منبجك الذى كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلاً بالاسكندرية مع مغلطای ، فانه صار إلى صغد مقبلاً بها بطلا ، كما أن مغلطای أمر بالمقام بطرابلس بطلا إلى حين يحكم الله عز وجل

انتهى والله أعلم . نادرة من الغرائب

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ، ويكر ذلك لا يفتر ، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة ، على أن الناس في الصلاة ، وهو يكر ذلك ويرفع صوته به ، فلما فرغنا من الصلاة نهبت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس . فنجت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جبهة والناس يسمون : لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية يزيد ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السجن ، ثم استحضره المالكى وجلبه بالسياط ، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذى لا يصدر إلا عن شقي ، واسم هذا اللعين على بن أبى الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبحه الله وأخزاه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقد رآه أن حكم نائب المالكى بقتله ، فأخذ سريعا فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطاقوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ص ، وقد نظرت هذا الجاهل بدار القاضى المالكى وإذا عنده شيء مما يقوله الرافضة العلاة ، وقد تلقى عن أصحاب ابن مطهر أشياء في الكفر والزندقة ، قبحه الله وإياهم . وورد الكتاب بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرئ بجامع دمشق بالمقصورة بمحضرة نائب السلطنة وأمرأه الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعامة كتاب السلطان بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات آخر : منها أن لا يستخدموا في شيء من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شيء من الأشياء ، وأن لا تزيد عمامة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الحبر بالا كف عرضا ، وأن لا يدخلوا إلا بالسلامات من جرس أو بنحتم نحاس أصفر ، أو رصاص ، ولا تدخل نسائهم مع المسلمات الحمامات ، وليكن لمن حمامات تختص بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ، وأن يحكم حكم بواريتهم على الأحكام الشرعية .

واحتوت بأسورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الاطمات والحواصل النافعة من الباب الجواقي إلى الباب البراني . وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الامام العالم البارع شمس الدين - بن النقاش المصرى الشافعي - ورد دمشق بالجامع الاموى نجاه محراب الصحابة ، ميعادا لاودظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعامة ، وشكروا كلامه وطلاقة عبارته ، من غير تلعثم ولا تحليط ولا توقف ، وطال ذلك إلى قريب العصر .

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صلى بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضي كمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي، ونائبه، وحضر نائب السلطنة الامير علاء الدين علي، وقضاة البلد والاعيان والدولة وكثير من العامة، وكانت جنازته محسودة، وحضر والده قاضي القضاة وهو يهادى بين رجلين، فظهر عليه الحزن والكآبة، فصلى عليه إماماً، وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتعدى شره إلى غيره، وكان بحكم جيداً نظيف العرض في ذلك، وكان قد درس في عدة مدارس، منها الشامية البرانية والمذراوية، وأفنى وتصدر، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك، ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم رحمهم الله. عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

وذلك يوم الاثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الامير شيخون وصرغتمش في غيبة طاز في الصيد على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر، وأمه بنت تنكز، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقة عليه، وسلم إلى أمه خوند بخت الامير سيف الدين تنكز نائب الشام كان، وقطلبوطار، وأمسك أخوه سنم وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكتمر الساقى، ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية، ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر، قدم بسببها الامير عز الدين أيدير الشمسى وبايع النائب بعد ما خلع عليه خلعة سفية، والامراء بدار السعادة على العادة، ودقت البشاروزين البلد وخطب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضور نائب السلطنة والقضاة والدولة وفي صبيحة يوم الخميس التاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نيابة طرابلس ونزل القصر الأبلق مع الامير عز الدين أيدير فأقام أياماً عديدة ثم سار إلى بلده بعد أيام. وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الامير سيف الدين طاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نيابة حلب المحروسة، فنلقاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات، وشيعة إلى قريب من باب الفرايس فسار ونزل بوطاة برزة فبات هناك، ثم أصبح غاديا وقد كان نظير الامير شيخون ولكن قوى عليه فديره إلى بلاد حلب، وهو محجب إلى العامة لماله من السعى المشكور في أمور كبار كما تقدم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير، وقضاتهم المذكورون في التى قبلها، ونائب دمشق الأمير على الماردانى، والقضاة والحاجب والخطيب وكاتب السرم

المذكورن في التي قبلها ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، ونائب طرابلس منجك ، ونائب حماة
استدمر المعري ، ونائب صند الأمير شهاب الدين بن صبيح ، ونائب حمص الأمير ناصر الدين
ابن الاقوس ، ونائب بعلبك الحاج كامل .

وفي يوم الاثنين تاسع صفر مسك الأمير أرغون الكامل الذي ناب بدمشق مدة ثم بعدها
بجلب ثم طالب إلى الديار المصرية حين وليها طاز ، قبض عليه وأرسل إلى الاسكندرية معتقلا . وفي
يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين
عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، على قاعدة والده ، وذلك في حياة أبيه ، وذهبت
الناس للسلام عليه .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين
السبكي بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيخة دار الحديث الاشرفية
مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضي بدر الدين بن
أبي الفتح وآخرن ، وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ، ومن الناس من يخاف عليه
وعشاء السفر مع الكبر والضعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صلى بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين
ابن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المعري الشافعي ، توفي بمصر ليلة الاثنين ثالثه ودفن
من صبيحة ذلك اليوم وقد أكل ثلاثا وتسعين سنة ، ودخل في الرابعة أشهر ، وولى الحكم بدمشق
نحواً من سبع عشرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل
في محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصا مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا ، وجاءت
التعزية ومرسوم باستقرار ولده في مدرسته اليعقوبية والقيصرية ، وبشريف تطيبيا لقلبه ، وذهب
الناس إلى تعزيته على العادة ، وقد جمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شببته بديار مصر ، ورحل إلى
الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة ، وما زال في مدة
القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكر لي أنه كان يقوم من الليل رحمه الله
وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابلس المغرب .

وقرأت من كتاب لقاضي قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول من
هذه السنة ، ثم بعد خمسة عشر يوما استعابها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولا من المسلمين
وقه الحمد والمنة . وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسيارى ما يستغنون به من
بقي أيديهم من المسلمين . وفي يوم الاربعاء حادى عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضي المالكي

وهو قاضى القضاة جمال الدين المسلاقي بقتل نصراني من قرية الرأس من معاملة بعلبك ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم في بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين علي بن غازي من قرية اللبوة من الكلام المسمي الذي نال به من رسول الله (ص) ، وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقة الناس وشفي الله صدور قوم مؤمنين والله الخد والمنة وفي صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضي بهاء الدين أبو البقاء السبكي بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وصلى في هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله بن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ، ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وذنه حاضر خارق ، أفق ودرس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله وبل بالرحمة نواه .

وفي يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل في سوق القطانين بالنهار ، وذهب إليه نائب السلطنة والحجابة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون في إخماده وطفئوه ، حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فنان الله وإنا إليه راجعون . وقد رأيت من الغد والنار كما هي عمالة والدخان صاعد والناس يطفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تتمد ، لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبع مائة

استهل هذه السنة و السلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب ولا وزير بمصر ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ، ثم الأمير سيف الدين صرغتمش ، ثم الأمير عز الدين مغلطى الدوايدار ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها سوى الشافعى فانه ابن المتوفى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وطرابلس الأمير سيف الدين منجك ، وبغداد الأمير شهاب الدين بن صبح ، وبحمّة يدمر العمرى ، وبمحصر علاء الدين بن المعظم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين الأتوقس .

وفي العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموى وغسل فصوص المقصورة والقبّة ، وبسط بسطاً حسناً ، وبيضت أطباق القناديل ، وأضاء حاله جيداً ، وكان

المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطبلخانات ، بمرسوم نائب السلطنة له في ذلك .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلى على الأمير سيف الدين براق أمير أرجو بجامع تنكز ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله ، من أكبر أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى . وقد رسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بعشرة أرماع ، ولناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان . وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدي الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى ، بأمرين عشرين وقع في هذا الشهر نزاع بين الحنابلة في مسألة المناقلة ، وكان ابن قاضي الجبل الحنبلي يحكم بالمناقلة في قرار دار الأمير سيف الدين طيدمر الاسماعيلى حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفاً على ما كانت قرار داره عليه ، ففعل ذلك بطريقه ونفذه القضاة الثلاثة الشافعي والحنفي والمالكي ، فغضب القاضي الحنبلي وهو قاضي القضاة جمال الدين المرداوى المقدسى من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتطاول الكلام فيه ، وادعى كثير منهم أن مذهب الامام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف ، فاما المناقلة لمجرد المصلحة والمنفعة الراجعة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ذلك ، ونقله عن الامام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجعة ، وصنف في ذلك مسألة مفردة وقفت عليها - يعنى الشيخ عماد الدين ابن كثير - فرأيتها في غاية الحسن والافادة ، بحيث لا يتخالف من اطالع عليها ممن يذوق طعم الفقه أنها مذهب الامام أحمد رحمه الله ، فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودى عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق التمارين ، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ، ففعل ذلك ، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدلل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فانه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقاً ، على أن الاسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المذهب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح في ذلك ، فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قياسير كثيرة لطاز ويلبغا ، وقيسرية الطواشي لبنت تنكز ، وآخر كثيرة ودور ودكاكين ، وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف

ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فانا لله ، إنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك .

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صفد : قدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وكسروا مركبا من مركبهم ، وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الوالى وهو جريح منقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فصاروا تلك الليلة والله الحمد ، وتقدمهم حاجب الحجاب ونحدر إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، فسبق الجيش الدمشقي ، ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتعة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا في البحر ، وقد أسر المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشاباً من أبناء أشرافهم ، وهو الذى عاقهم عن الذهاب ، فراسلهم الجيش في انفسكك الاسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بمائة فأخذوا من ديوان الاسارى مبالغ ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معهم . والله الحمد أحد . واستمر العصى من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعاش الفرنج عطشاً شديداً ، وأرادوا أن يرووا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فنعوم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشرين بما معهم من الغنائم ، وبعثت رؤس جماعة من الفرنج من قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إيناس قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فانا لله وإنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم والله المسئول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الاسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، وبالله المستعان . وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤس من قتلى الفرنج على صيدا ، وهى بضع وثلاثون رأساً ، فنصبت على شرافات القلعة ففرح المسلمون بذلك والله الحمد . وفي ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذى عند السويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبى نصر ، واتصل بالسويقة المذكورة وما هناك من الأماكن ، فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة العشاء ، ولكن كان الريح قويا ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفى الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحموى أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وصلى عليه من الغد بالجامع الأموى بعد الظهر ، ودفن بمقابر

باب الصغير . وكان مولده في ثاني ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره ، وانقطع بموته سماع الدين الكبير للبيهقي ، رحمه الله .

و وقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بحملة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السوق القبلي من جامع الحنابلة بكامله شرقا وغربا ، وجنوبا وشمالا . فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين يلبغا الناصري غربي سوق الخيل وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء ، وخطب الشيخ فاصر الدين بن الربوة الحنفي ، وكان قد نازعه فيه الشيخ قميس الدين الشافعي الموصل ، وأظهر ولاية من واقفه يلبغا المذكور ، ومراسم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوى عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقاني الحنفي ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصل ، فرسم لابن الربوة ، فلبس يومئذ الخلع السوداء من دار السعادة وجاؤا بين يديه بالسناجق السود الخليفة ، والمؤذنون يكبرون على العادة ، وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن ، وقرأ في المحراب بأول سورة طه ، وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوما مشهودا ، وكنت ممن حضر قريبا منه . والمجب أنى وقفت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه : والمخدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النور واللب والتملب والخنزير من الحريق ، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقي الحريق عليه أياما وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه بأذن الله تعالى - يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة - قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت في بيت من مدخنه فأحرقت جميع ما فيه من الأثاث والنياب وغير ذلك ومن حلية حرب كثير ، وغالب هذه البلاد للدردية والرافضة . نقلته من خط كاتبه محمد بن يلبان إلى صاحبه ، وهما عندي بقبان فيا لله العجب .

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس في محاكمة ، فاقضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كمثل المتحرد عندهم ، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي بإسقاط عدلته ، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب في أثره من يرده فعنفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشنع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك والله الحمد والمنة .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

استقامت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتز بالله أبو بكر بن المستنفي بالله أبي الربيع

سليمان العباسي ، وسلطان الاسلام بالديار المصرية وما يقبها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير ، وإنما ترجع الأمور لإصدار وإيراداً إلى الأميرين الكبيرين سيف الدين شيخون وصرغتمش الناصريين ، وقضاة مصر المذكورون في التي قبها ، ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير على المارداني ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها انتهى .

كائنة غريبة جداً

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاوري الجامع بدمشق من مشهد على وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجازوا إلى أما كن منهم بالخر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر ، وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش وغيره ، ثم انتقلوا إلى حكر المماق وغيرهم فنار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرعاع فتناوشوا ، وضربت عليهم ضربات بالأيدي وغيرهم ، وربما سل بعض الفسار السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رسم ملك الأمراء لوالى المدينة والى البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الخمارين والحشاشة ، فصرروهم عليهم ، غير أنه كثروهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان في أواخر النهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاوري الجامع وضربوا بالمقارع وطيف بهم في البلد ونادوا عليهم : هذا جزء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان ، فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضرب بهما الجند أحدهم بدبوس فقتله ، وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فأنشأ الله وإنا إليه راجعون .

وفي شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتقات الأمير سيف الدين عمر المهندار أنها حملت قريباً من سبعين يوماً ، ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت في قرب من أربعين يوماً في أيام متتالية ومتفرقة أربع عشرة بنتاً وصبياً بعدهن قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى .

وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شيخون مدير الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من ممالك السلطان فضر به بالسيف ضربات فخرحه في أما كن في جسده ، منها ما هو في وجهه ومنها ما هو في يده ، فحمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً ، وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يجى إليهم وعظم الخطب بذلك جدا واتهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره ، وأن هذا إنما فعل عن مملأة منهم فأنشأ الله أعلم .

وفاة أرغون الكامي باني بیمارستان بحلب

كانت وفاته بالقدس الشريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ، ودفن بتربة أنشأها غربي المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ، ثم جرت السكائنة التي أصلها يلغا قبحه الله في أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه فأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور عزره الشريف ابن زريك ، والله أعلم .

وفاة الأمير شيخون

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ودفن من الغد بقرنته ، وقد أبقى مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخطابه للصوفية ، ووقف عليها شيئاً كثيراً ، وقرر فيها معالم وقراءة دار ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة ودواوين في سائر البلاد المصرية والشامية ، وخلف بنات وزوجة ، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء ، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين بقطاي والدوادار وابن قوصون وأمه أخت السلطان خلف عليها شيخون بعد قوصون انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبع مائة

استهلّت هذه السنة وسلطان الاسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يقبض ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالح ، وقد قوى جانبه وحاشيته بموت الأمير شيخون كما ذكرنا في السادس عشر من ذي القعدة من السنة الماضية ، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة شيء كثير من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والألغام والحلث ، وكذلك من الممالك والأسمحة والعدة والبرك والمتاجر ما يشق حصره ويتمنر إحصاؤه هاهنا ، وليس في الديار المصرية فيما بقينا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون في التي قبلها ، وأما دمشق فنائبها وقضاها هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنفى فانه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، عوضا عن نجم الدين الطوسى . توفي في شعبان من السنة الماضية ، ونائب حلب سيف الدين طاز ، وطرابلس منجك ، وحماة استدمر العدى ، وصفد شهاب الدين بن صبح ، وبجده صلاح الدين خليل بن خاض برك ، وببعلبك ناصر الدين الاقوس .

وفي صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربع مقدمين إلى ناحية حلب نصره لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادى والعشرين من المحرم نادى المنادى من جهة نائب السلطنة أن يركب من بقى من الجند في الحديد ويوافوه إلى سوق الخليل ، فركب معهم قاصداً ناحية ثنية العقاب ليجتمع الأمير طاز من دخول البلد ، لما تحقق

جيشه في جيشه قاصداً إلى الديار المصرية ، فانزعج الناس لذلك وأخلت دار السعادة من الحواصل والحریم إلى القلعة ، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأغلق باب النصر ، فاستوحش الناس من ذلك بعض الشيء ، ثم غلقت أبواب البلد كلها إلا باب الفرايس والفرج ، وباب الجابية أيضاً لأجل دخول الحاجاج ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ولم يشعر به كثير من الناس لشغلهم بمأم فيه من أمر طاز ، وأمر المشير بحوران ، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طيدر الحاجب الكبير بأرض حوران وسجنه بقلعة صرخد ، وجاء سيفه محبة الأمير جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند النفية ، وقد وصل طاز بمجنوده إلى باب القطيفة وتلاقى شاليشه بشاليش نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال والله الحمد ، ثم ترأس هو والنائب في الصلح على أن يسلم طاز نفسه وبركب في عشرة سروج إلى السلطان وينسلخ مما هو فيه ، ويكاتب فيه النائب وتلطفوا بأمره عند السلطان وبكل ما يقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يشهده على وصيته ، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضي شهاب الدين قاضي المسكر ، فذهب إليه فأوصى ولده وأولاده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة ، وللأمير صرغتمش ، ورجع النائب من النفية عشية يوم السبت بين العشاءين الرابع والعشرين منه ونصاً بصف الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ودعوا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السمع والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ، وقوة من كان يجرسه على ذلك من أخويه وذويه ، وقد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني فأخبرني بملخص ما وقع منذ خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً ، إذ لم يقع بينهم قتال ، فانه قال : لما وصل طاز إلى القطيفة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلت إليه مملوكاً من ممالكي أقول له : إن المرسوم الشريف قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية في عشرة سروج فقط ، فإذا جئت هكذا فأهلاً وسهلاً ، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو ملبس ، فرجع مملوكي ومعه مملوكه مريما يقول : إنه يسأل أن يدخل بطلبه كما خرج بطلبه من مصر ، فقلت لاسبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر بطلبه فقال : إنه يطلب منك أن تدخل في ممالكك فإذا جاوز دمشق إلى الكسوة نزل جيشه هناك وركب هو في عشرة سروج كما رسم . فقلت : لاسبيل إلى أن يدخل دمشق ويتجاوز بطلبه أصلاً ، وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فمندی أضعاف ذلك ، فقال لي الأمير : ياخوند لا يكون تنسى قيمته ، فقلت لا يقع إلا ما تسمع ، فرجع فها هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال ياخوندها قد وصل جيش حماة وطرابلس ، ومن معهم من جيش دمشق

الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا هم وهو . قال فحينئذ ركبت في الجيش وأرسلت طليعتين أمامي وقلت تراءوا للجيش الذين جاؤا حتى يروكم فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاءت البرد من جهته بطلب الامان ويجبرون بالاجابة إلى أن يركب في عشرة سروج ، ويترك طلبه بالقطيفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش في السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاءتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نسايمهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته ، لكل ما رسم به ، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج وسار نحو الديار المصرية والله الحمد والمنة .

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حاجب الحجاب الذي كان سجين في قلعة صرخد مع البريدي الذي قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصديق بصدقات كثيرة في داره ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظماً مكرماً على مقدمة ألف وظائف هناك ، فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم ينجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلاً بها مضيقاً عليه ، فتمعج الناس من هذه الفرحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحجاب بالمشهد من الجامع . وفي يوم الخميس أحضر الحجاب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الاثنين تاسع قدم من الديار المصرية مقدم البريدية بطلب الحجاب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة فقبل قدمه ، ثم خرج إلى منزله وركب من بومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرماً ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أرخ ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة بسبب سجنه بصرخد ، ثم أفرج عنه ، ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله في نحو شهر .

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب في الموكب يوم الاثنين ، ولا حضر في دار العدل ، ثم تحققت الاخبار بذلك وبذهابه إلى نيابة حلب ، وجمي نائب حلب إلى دمشق ، فتأسف كثير من الناس عليه لذيائته وجوده وحسن معاملته لأهل العلم ، ولكن حاشيته لا ينفذون أوامره ، فتولد بسبب ذلك فساد عريض وحوا كثيراً من البلاد ، فوقعت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت المشيرات فانا لله وإنا إليه راجعون وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير على المارداني من دمشق في طلبه مستعجلاً في أبهة النيابة ، قاصداً إلى حلب الحررة ، وقد ضرب وطاقه بوطاة برزة ، فخرج الناس للتفرج

على طلبه . وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيهر الحاجب من الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أبهة عظيمة ، وتلقاه الناس بالشموع ، ودعوا له ، ثم ركب من يومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطأة برزة ، وقبل يده وخلع عليه الأمراء ، واصطلحاه انتهى والله أعلم دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من ناحية حلب وبين يديه الأمراء والجيش على العادة ، وأوقدت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة وكان يوماً هائلاً .

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة وأحضر القضاة وولاة الأمور ورسم بإحضار المفتين - وكنت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها - وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تخريب المنازل المبنية بالربوة وغلق الحمام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها ، وهذا الحمام أوساخه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس ، فاتفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن ورد المرتفات المسلطة على نوره وفاس ، ويترك ما هو مسلط على بردي ، فانكف الناس عن الذهاب إلى الربوة بالسكية ، ورسم يومئذ بتضييق أكمام النساء وأن تزال الاجراس والركب عن الجبر التي للمكارية .

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف على الحائط الرومي الذي بالرحبية ، فخاف أهل الأسواق وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك ، فغضب من ذلك وتنصل منه ، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور ، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدها خارج باب النصر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العدل ، أمر بينائها خاناً ونقلت تلك الأحجار إليها ، انتهى والله أعلم .

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدي ومعه تذكرة - ورقة - فيها السلام على القضاة المستجدين ، وأخبر بعزل القاضي الشافعي والحنفي والمالكي ، وأنه ولي قضاة الشافعية القاضي بهاء الدين أبو البقا السبكي ، وقضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفى وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضي المالكي سيقدم من الديار المصرية ، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية ومعه تقليدان وخلمتان للقاضي الشافعي والقاضي الحنفى ، فلبسا الخلمتين وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموى ، وجلسا في محراب المقصورة ، وقرأ تقليد قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء

الشافعي ، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السدة تجاه الحراب ، وقرأ تقليد قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين بن السراج المحدث أيضا على السدة ، ثم حكما هنالك ، ثم جاء أيضا إلى الغزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه ، وحضرت عنده فأخذ في صيام يوم الشك ، ثم جاء معه إلى المدرسة النورية فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآية . ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة المعادلية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمكم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الآية . وفي صبيحة يوم الأربعاء فامن شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية فلبس الخلاء يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموي وقرأ تقليده هنالك بمحاضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث ، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ قمحس الدين محمد بن عسكر العراقي البغدادي ، قدم الشام مراراً ثم استوطن الديار المصرية بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قطب الدين الأخوي ، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضاً ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق وهو شيخ حسن كثير التودد ومسدد العبارة حسن البشر عند اللقاء ، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة وكرم ، الله يوفقه ويسدده .

مسك الأمير طرغتمش أتابك الأمراء بالديار المصرية

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنه قبض عليه بمحاضرة السلطان يوم الاثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله غير أنه احتيط على حواصله وأمواله ، وصودر أصحابه وأتباعه ، فكان فيمن ضرب وعصرت تحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الابار ، واشتهر أنه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، لاسيما أهل بلدة دمشق ، وقد باشر عدة وظائف ، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتسكاهم في أمر الجامع الأموي وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم ، ومالاً الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين ، انتهى .

إعادة القضاة

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعي والحنفي والمالكي كما تقدم ، وعزل قبلهم ابن جماعة وولي ابن عقيل ، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لرؤية

الحلال بالجامع الأموي ، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى على عادة القضاة ، وهم على وجل ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضي القضاة أبو البقاء الشافعي إلى بستانه بالزعفرية ، ورجع قاضي القضاة ابن السراج إلى داره بالتعديل ، وارتحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصالحية داخل الصمصامية ، وتالم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريبان من الديار المصرية وهو فقير ومتدين ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل وأنه مستمر كما سنده ، وفرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك ، فلما كان يوم الأحد رابع شوال قدم البريد وصحبته تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي ، وتقليد الحنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء المالكية ، لأن السلطان تذكر أنه كان شافه بولاية القضاء بالشام ، وسيره بين يديه إلى دمشق ، فحملت سيرته كما حسنت سيرته . إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفي ذي القعدة توفي المحدث فتمس الدين محمد بن سعد الحنبلي يوم الاثنين ثالثه ، ودفن من الغد بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيرا وخرج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأحرار وروايتهم من الشيوخ المتأخرين ، وقد كتب الحافظ البرزالي قطعة كبيرة من مشايخه ، وخرج له عن كل حديثا أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتم حتى توفي البرزالي رحمه الله .

وتوفي بهاء الدين ابن المرجاني باني جامع الفوقاني ، وكان مسجدا في الأصل فبناء جامعا ، وجعل فيه خطبة ، وكنت أول من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وسمع شيئا من الحديث . وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الأعراب الأجواد الأنجاد وقد ولي إمرة آل مهنا غير مرة كما وليها أبوه من قبله : عدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذكر ، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وب نفسه فضر به بالسيف برأسه ففلقه فلم يمش بعده إلا أياما قلائل ومات رحمه الله انتهى .

عزل منجك عن دمشق

ولما كان يوم الأحد ثاني ذي الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين منجك بنبابة صفد المحروسة ، فأصبح من الغد - وهو يوم عرفة - وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة قاصداً إلى صفد المحروسة فعمل العيد بسطح المزة ، ثم رحل نحو صفد ، وطمع كثير من المفسدين والخاوين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم . وفي يوم العيد قرىء كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستنابة أميره على المارداني عليهم ، وعوده إليهم والامر بطاعته وتمظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه ، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من

نيابة صفد ونزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية . ووصل البريد يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة بنى صاحب الحجاب طيدمر الاسماعيلى إلى مدينة حماة بطالافى مرجين لاغير والله أعلم . ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الاسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وقضاته بمصر المذكورون فى السنة التى قبلها ، ونائبه بدمشق الامير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة الشام المذكورون فى التى قبلها غير المالكي ، فانه عزل جمال الدين المسلاقي بشرف الدين المراقى ، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبيح ، وخطباء البلد كانت أكثرها المذكورون . وفى صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب ، وفرح الناس به وتلقوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العمامة الشجوع فى طرقات البلد ، وليس الأمير شهاب الدين بن صبيح خلة الحجابة الكبيرة بدمشق عوضاً عن نيابة صفد .

ورددت كذب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه مؤرخة سابع عشرين ذى الحجة من الملا وذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداو يان عند لبسه خلة السلطان ، وقت دخول المحمل إلى المدينة الشريفة قتلوه ، فمات عبيده على الحجاج الذين هم داخل المدينة فتهبوا من أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوه ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فأحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطاني فاستنقذوا الناس من أيدي الظالمين . ودخل المحمل السلطاني إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدي المحمل الفداو يان اللذان قتلوا صاحب المدينة ، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشمة من غلوه فى الرضى المفرط ، ومن قوله إنه لو تمكن لآخرج الشيخين من الحجرة ، وغير ذلك من عبارات مؤذية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم

وفى صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الأمير شهاب الدين بن صبيح حاجب الحجاب ولداه الأميران وحبسوا فى القلعة المنصورة ، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن خاربك بعد أيام إلى الديار المصرية ، وفى رجل ابن صبيح قيد ، وذكر أنه فلك من رجله فى أثناء الطريق . وفى يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طراباس الأمير سيف الدين عبد الغنى فأدخل القلعة ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبى بكر إلى الديار المصرية محتفظاً به مضييقاً عليه ، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد مطلوباً إلى السلطان ، فلما كان بينه وبين غزة يريد واحد دخل بمن معه من خدمه التيه قارا من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد فى طلبه فأعجزه وتفاطر الامر ، انتهى والله أعلم .

مسك الأمير على المارداني نائب الشام

وأصل ذلك أنه في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين وضربت البشار في القلعة في ناحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطليخات من كل جانب والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحاجب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة والرسل مرددة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على مروج يسيرة محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فتباكي الناس رحمة له وأسفة عليه، لذيائنه وقلة أذنيه وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيغناحي أحد مقدمي الأتوف، والأمير سيف الدين فطليخا الدوادار أحد المقدمين أيضا والأمير علاء الدين أيدغش المارداني أحد أمراء الطليخات، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكور ومجاساؤه ومماره، والذين بسفارته أعطوا الأجناد والطليخات والتقدم، فرفعوا إلى القلعة المنصورة معتقلين بهامع من بهامن الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير على رد من الطريق بعد مجاوزته غزة وأرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة، فتأمل الحال وفرح بذلك أصحابه وأحبابه، وقدم مقسم دمشق الذي خلع عليه بفياتها بالديار المصرية في يوم الخميس السادس عشر شهر رجب بعد أن استعفى من ذلك مراراً، وبأس الأرض مراراً فلم يعفه السلطان، وهو الأمير سيف الدين استندر اخو يلغا البحنوي، الذي كان نائب الشام، وبفته اليوم زوجة السلطان، قدم مقسله إلى دمشق يوم الخميس سليخ الشهر فنزل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه والتودد إليه، وحملت إليه الضيافات والتقدم، انتهى والله أعلم.

كائنة وقعت بقرية حوران

فأوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا الشهر الشريف

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحوران وهي خاص لنائب الشام ومحبية يمن ويقال لهم بنو لبسه وبني فاشي وهي حصينة منيعة يضوى إليها كل مفسد وقاطع ومارق ولجأ إليهم أحد شياطين روعين المشير وهو عمر المعروف بالدينط، فأعدوا عددا كثيرة ونهبوا ليغنموا المشير، وفي هذا الحين بدرم وإلى الولاية المعروف بشنكل منكل، فجاء إليهم ليردم ويهديهم، وطلب منهم عمر الدينط فأبوا عليه وراموا مقاتلته، ومجمع كثير وجم غفير، فتأخر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمده بجيش هو فانه عليهم وعلى أمثالهم، فجهز له جماعة من أمراء الطليخات والمشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة، فلما بلغهم في بلادهم تجمعوا لقتال المسكر ورموه بالحجارة والمقاليع، وحجزوا بينهم وبين البلد،

فمنذ ذلك رمتهم الاتراك بالنبال من كل جانب، قتلوا منهم فوق المائة، وفروا على أعقابهم، وأسر منهم إلى الولاية نحواً من ستين رجلاً، وأمر بقطع دموس القنلى وتعليقها في أعناق هؤلاء الأسرى، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم، وسلمت إلى مماليك نائب السلطنة لم يفقد منها ما يساوى ثلاثمائة درهم، وكر راجعاً إلى بصرى وشيوخ العشيرات معه، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين ابن خاص ترك، وكان من جملة أمراء الطبائخانات الذين قاتلهم بمبسوط ما يخصه وأنه كان إذا أعياء بعض تلك الأسرى من الجرحى أمر المشاعلى بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى، وفعل هذا بهم غير مرة حتى أنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه، شيخ كبير، فانا لله وإنا إليه راجعون، حتى قدم بهم بصرى فشكّل طائفة من أولئك المأسورين وشكّل آخرين ووسط الآخرين وحبس بعضهم في القلعة، وعلق الرهوس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى، فحصل بذلك تنكيل شديد لم يقع مثله في هذا الاوان بأهل جوران، وهذا كله ساط عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظالم للعبيد، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون، فانا لله وإنا إليه راجعون . انتهى .

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر البحنائى

في صبيحة يوم الاثنين حادى عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين استدمر البحنائى نائباً على دمشق من جهة الديار المصرية، وتلقاه الناس واحتفلوا له احتفالاً زائداً وشاهدته حين ترجل لتقبيل العتبة، وبعضده الأمير سيف الدين بيدمر الذى كان حاجب الحجاب وعين لنيابة حلب المحروسة، فاستقبل القبله وسجد عند القبله، وقد بسط له عندها مفارش وصمدة هائلة، ثم إنه ركب فتعصده بيدمر أيضاً وسار نحو الموكب فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب . وجاء تقليد الأمير سيف الدين بيدمر من آخر النهار لنيابة حلب المحروسة . وفي آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيري وعلى يده مرسوم شريف بنى القاضي بهاء الدين أبو البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس بلا وظيفة، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه، ونظم له كثير من الناس . وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له في الاستنابة في جهاته، فاستناب ولده الكبير عز الدين، واشتهر في شوال أن الأمير سيف الدين منجك الذى كان نائب السلطنة بالشام وهرب ولم يطلع له خبر، فلما كان في هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بجران من مقاطعة ماردن في زى فقير، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره، وعجب كثير من الناس من ذلك، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو، فإذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه . واشتهر في ذى القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب، خرج عن طاعة السلطان وتوجه نحو العراق فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرجبة من العساكر المشقية وهم أربعة مقدمين في

أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه وإحضاره إلى بين يدي السلطان ، فسموا في ذلك بكل ما يقدر على عليه فجزوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البراري ، وتفرط الحال وخلص إلى أرض المراق فضايق النطاق وتعدر الحاق .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين استتمراً أخو يلغا البعناوي ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي .

وفي مستهل المحرم جاء الخبر بموت الشيخ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف ليلة الاثنين ثالث المحرم ، وصلى عليه من الغد بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرساً بالمدرسة الصلاحية وشيخاً بدار الحديث السكري ثلاثين سنة ، وقد صنف ألف وجمع وخرج ، وكانت له يد طويلة بمعرفة العالي والنازل ، وتفريع الاجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية في الفقه واللغة والعربية والادب وفي كتابته ضعف لكن مع صحة وضبط لما يشكك ، وله عدة مصنفات ، وبلغني أنه وقفها على الخانقاه السمساطية بدمشق ، وقد ولي بعده التدريس بالصرخسية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظر بها ، وكان معه تفويض منه متقدم التاريخ .

وفي يوم الخميس السادس من محرم احتيط على متولى البر ابن بهادر الشيرجي ورسم عليه بالعداوة بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نهبان البلقاء هو وكحلن الحاجب ، وقاضى حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شيء والله أعلم . ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة وأخذ بسببه مدرس الصارمية لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدي ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي الشافعي ، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الاكرية ، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس انس ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذي كان متولى البلد ، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريعاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطاع عليه نائب السلطنة فافتتح عليه الباب وحبسوا كلهم بالسد ، وجاءت كتب الحاج ليلة السبت الخامس عشر من المحرم وأخبرت بالخصب والرخص والأمن والله الحمد والمنة . ودخل الحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادي والعشرين منه ، ثم دخل الحجيج بعده في الطين والرمض وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناء وشدة ، ووقعت جمالات كثيرة وسبيت نساء كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحصل للناس تعب شديد . ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد

الذي زور المراسيم واسمه السراج عمر القفطي المصري ، وهو شاب كاتب مطبق على ما ذكر ، وحمل في قفص على جل وهو مقطوع اليد ، ولم يحسم بعدو الدم ينصب منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحمصي على جل آخر ، وأركب الوالي شهاب الدين على جل آخر وعليه تحفيفة صغيرة ، وخف وقباء ، وطيف بهم في محال البلاد ، ونودي عليهم : هذا جزاء من يزور على السلطان ، ثم أودعوا حبس الباب الصغير وكاتبوا قبل هذا التعزير في حبس السد ، ومنه أخذوا وأشهروا ، فآثقه وإنا إليه راجعون انتهى مسك منجك وصفة الظهور عليه وكان محتفياً بدمشق حوالي سنة

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين استد مر فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى ، فأرسل من فورهِ إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجة ومن عنده من خواصه ، فأحضر إلى بين يديه محتفظاً عليه جداً ، بحيث إن بعضهم رزقه من ورائه واحتضنه ، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه وتلقاه وأجلسه معه على مقدمته ، وتلطف به وسقاه وأضافه ، وقد قيل إنه كان صائماً فأفطر عنده ، وأعطاه من ملابسه وقيدته وأرسله إلى السلطان في ليلته - ليلة الجمعة - مع جماعة من الجند وبعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار ، وتعجب الناس من هذه القضية جداً ، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه في بعض البلاد النائية ، ولم يشمر الناس أنه في وسط دمشق وأنه يمشي بينهم متكرراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق ويمشي بين الناس متكرراً في لبسه وهيبته ، ومع هذا لن يفتي حذر من قدره ، ولكل أجل كتاب ، وأرسل ملك الأمراء بالسيف وملابسه التي كان يتنكر بها ، وبمث هو مع جماعة من الأمراء الحجة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظاً عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا والخلع والانعام لوالده ، ولحاجب الحجاب ، ولبس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشموع وغيرها ، ثم تواترت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان وعفوه عنه وخلعته السكاملة عليه وإطلاقه له الحسام والخيول المسومة والألبسة المفتخرة ، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف ، وقدوم الأمير علي من صفد قاصداً إلى حماة لنيابته ، فنزل القصر الأبلق ليلة الخميس رابع صفر وتوجه ليلة الأحد سابعه .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس بمرسوم شريف أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولي الدين ينوب عنه فيها ، فنلقاه كثير من الناس إلى أثناء الطريق ، وبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا ، وراح الناس إلى

نهثته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه . ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وتلج عظيم ، فرويت البساتين التي كانت لها من الماء عدة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقى إلا بكلفة عظيمة ومشقة ، ومبلغ كثير ، حتى كاد الناس يقتلون عليه بالأيدي والعبايس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك في شهور كانون الأول والثاني ، وأول شباط ، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أما كن بعيدة في هذه الشهور ، ثم من الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الأمطار والتلوج ، وغزرت الأنهار والله الحمد والمنة . وتواتر الأمطار ، فكانت حصل السيل في هذه السنة من كانون إلى شباط فكان شباط هو كانون وكان لم يسلم فيه ميزاب واحد . ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف ليلتقي بالسلطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف ، وأحضر الفرمان الذي كتب له بماء الذهب إلى دمشق وشاهده الناس ووقعت على نسخته وفيها تعظيم رائد ومدح وثناء له ، وشكر على متقدم خدمه لهذه الدولة ، والنفو عما مضى من زلاته ، وذكر سيرته بعبارة حسنة .

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال صاحب الأموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستائة ألف درهم ، واحتيط على العارة التي أنشأها عند باب النطايفين ليجعلها مدرسة ، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للآيتام ، وأن يوقف عليهم كتابتهم جارية عليهم ، وكذلك رسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار ، وهذا مقصد جيد . وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا ، فعاجل بحمل مائتي ألف ، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية .

الاحتياط على الكتبة والدواوين

وفي يوم الاربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أميرهم مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرانية وألزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أقاتهم وأقشتمهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه فأحضر بناته إلى الدكة ليبيعن فنبأ إلى الناس واتحبوا رحمة ورقة لا يبين ، ثم أطلق بعضهم وهم الضمفاء منهم والفقراء الذين لا شيء معهم ، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم ، كالصاحب والمستوفيين ، ثم شددت عليهم المطالبة وضربوا ضربا مبرحا ، وألزموا الصاحب بمال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه ، فأسغفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عرى ليضرب ، ولكن ترك واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية ، انتهى .

موت فياض بن مهنا

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه ، فانتبش بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وطارق الجماعة ، فمات مائة جاهلية بأرض الشقاق والنفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والافتقار في شهر رمضان بلا عذر وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي ، فاما الله وانا إليه راجعون ، جاوز السبعين انتهى . والله أعلم .

كائنة عجيبة جدا هي المعلم سنجر مملوك بن هلال

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلالي بعد أن استوفوا منه تسكيل ستمائة ألف درهم ، فبليت في منزله عند باب النفايين سرورا بالخلاص ، ولما أصبح ذهب إلى الحمام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحجة ونقباء النقبة والأعوان من كل مكان ، فقصصوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورسم عليه وعلى ولديه ، وأخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة ، وفقشوا النساء وانتزعوا عنهن الخلى والجواهر والنفايس ، واجتمعت العامة والفوضى ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الاموال والحجيج والرهون ، وأحضروا المعلم ليستعلموا منه جلية ذلك ، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثمائة ألف وسبعين ألفا ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الاحد في مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الابواب والاسطحة لئلا يمدى عليها في الليل وبات هو وأولاده بالقلمة المنصورة محتفظا عليهم ، وقد رق له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التي قبلها سريما .

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادار السكري ، كان ذا مكانة عند أستاذه ، ومنزلة عالية ، ونال من السعادة في وظيفته أقصاها ، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه فضر به وصادره وعزله وسجنه ، ونزل قدره عند الناس ، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفرسه ويشترى منهم ويحيا ككهم ، ويحمل حاجته معه في سرجه ، وصار مثلة بين الناس ، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدويارية من العز والجاء والمال والرفعة في الدنيا ، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا الا وضعه .

وفي صبيحة يوم الاحد سابع عشره أفرج عن المعلم الهلالي وعن ولديه ، وكانوا معتقلين بالقلمة المنصورة ، وسلمت الهم دورهم وحواصلهم ، ولكن أخذ ما كان حاصلا في داره ، وهو ثلثمائة ألف وعشرون ألفا ، وختم على حججه ليعقد لذلك مجلس ليرجع رأس ماله منها عملا بقوله تعالى (وإن

تبتهم فلكم رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) ونودي عليه في البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يؤدي الزكاة ويعامل بالربا ، وحاجب السلطان ومتولى البلد ، وبقية المتعممين والمشاغلة تنادي عليه في أسواق البلد وأرجائها .

وفي اليوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الهواوين إلى ديارهم وأهاليهم ، وفرح الناس بسبب ذلك لخلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة ، ولكن لم يستمر بهم في مباشراتهم .

وفي أواخر الشهر تكلم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ ، قدم من القبط المصرية فجاه محراب الصحابة ، واجتمع الناس إليه وحضر من قضاة القضاة الشافعي والمالكي ، فتكلم على تفسير آيات من القرآن ، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية بمباريات طلاقة معربة حلوة صادقة للقلوب فأفاد وأجاد ، وودع الناس بعوده إلى بلده ، ولما دعا استنفض الناس للقيام ، فقاموا في حال الدعاء ، وقد اجتمعت به بالمجلس فرأيت حسن الهيئة والكلام والتأدب ، فالحمد لله بصلحه وإيادى آمين .

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب قصد غزو بلاد سيس في جيش ، لقاء الله النصر والتأييد . وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعالي مجلسهم في عمام وحبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلاية فانطلق اثنان وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن ، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها ، فاشتد تكبير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضرب ابنه النقيب وأخاه وسجنهما ، وكتب في هذه الكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بمنزل نائب القلعة وإخراجه منها ، وطلبه لحاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين مباشرته ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استدراثة السلطان ، فقتلوا من عزم إلى عزلم .

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سيس ، وهما طرسوس وأذنة ، وأرسل مفتاحيهما محبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصونا آخر كثيرة في أسرع مدة ، وأيسر كافة ، وخطب القاضي ناصر الدين كاتب السر خطبة بليغة حسنة ، وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب . قلت : وهذه هي أبواب الناصرية التي بالسفح ، أخذها سيس عام قازان ، وذلك في سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، فاستغفرت لله الحمد في هذه السنة .

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدمه ، وضرب وصودر ، وخربت داره إلى الأساس ، ونفي إلى مصيف ، فاجتاز بدمشق

ونزل بالمدرسة الجليلة ظاهر باب الفرج ، وزرته فيمن سلم عليه ، فاذا هو شيخ حسن عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً ، ولديه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف ، والله يحسن عاقبته . ثم تحول إلى العنزاوية وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل الحنبلي إلى الديار المصرية مطلوباً على البريد إلى السلطان لتدريس الطائفة الحنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية ، وخرج لتوديمه القضاة والاعيان إلى أنشاء الطريق ، كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة استدمر البشناوي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر ، أخى يلبغا البشناوي ، عن كتاب ورد من السلطان صحة الدوادار الصغير ، وكان يومئذ راكباً بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكن من السير ، إلى دار السعادة ، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس مقبلاً بها بطلاً ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء . وبقي البلد بلا نائب يحكم فيه الحاجب الكبير عن مرسوم السلطان ، وعين للنيابة الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بنيابة دمشق ، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب ويقصد الأمير خيبر بن مهنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رسم لنائب حماة وحمص أن يكونا عوناً للأمير سيف الدين بيدمر في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع خيبر عند سلمية ، فكانت بينهم مناوشات ، فأخبرني الأمير تاج الدين الدودار - وكان مشاهد الواقعة - أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكانوا نحو الثمانمائة ، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظاناً أنه من العرب بناسج فقتله ، ثم حجز بينهم الليل ، وخرجت الترك من الدائرة ، ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنة وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك ينتظر ورودهم ، وقدم الأمير مهر الملقب بمصمغ بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب وفي صحبته الأمير بدر الدين ابن جاز أميراً على الأعراب ، فنزل مصمغ بالقصر الأباقي ، ونزل الأمير بالوزية على عادته ثم توجهوا إلى ناحية خيبر بن معهما من عرب الطاعة ممن أضيف إليهم من تجريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لحصيل الأمير خيبر ، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة والله تعالى يحسن العاقبة

دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين بيدمر الى دمشق

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات بوطاة برزة ليلة السبت ، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة ، وتجميل حافل ، تقبل العتبة على العادة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير وعدد ثمين ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره المعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الخطابة بجامع القبيبات وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي العسكر الخنبلي ، بمرسوم نائب السلطان لأنه كان يعرف أنه كان مختصراً بالخطابة منذ عين إلى هذا الحين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبابب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، أنه كان يكتر من شتم الرسول (س) ، فرفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجاوب ، ثم استقر أمره على أن قتل قبعه الله وأبدمه ولا رحمه . وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زباله الذي بهتار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي (س) ودعواه أشياء كفرية ، وذكر عنه أنه كان يكتر الصلاة والصيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفي حق النبي (س) ، فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخليل والله الحمد والمنة .

وفي ثالث عشر شوال خرج المحمل السلطاني وأميره الأمير ناصر الدين بن قراسنقر وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند الحديث ، أحد المفتين .

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطاً بمحلة الشاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لأنه الله ، ويزعم أنه مات على الاسلام ويحتج بأنه في سورة يونس حين أدركه الفرق قال [آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين] ولا يفهم معنى قوله [الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين] ولا معنى قوله [فأخذه الله نكال الآخرة والأولى] ولا معنى قوله [فأخذناه أخذاً وبيلاً] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون أ كفر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس القعدة قدم البريد بطالب نائب السلطنة إلى الديار المصرية في تكميم وتعظيم ، على عادة تنكز ، فتوجه النائب إلى الديار المصرية وقد استصحب معه نخفا سنية وهدايا معظمة تصلح للإبروان الشريف . في صبيحة السبت رابع عشره ، خرج ومعه القضاة والأعيان

من الحجبة والأمراء لتوديعه . وفي أوائل ذى الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويدكر فيه معاملته به السلطان من الأحسان والأكرام والاحترام والاطلاق والانعام من الخيل والتحف والمال والغلات فتوجه نحوه قاضى القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابعه على ستة من خيل البريد ، ومعه تحف وما يناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه .

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جداً في أماكن متعددة ، من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك ، أتلّف شيئاً كثيراً من الأشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم ، وبقي آثار سيحه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جملوص أتلّف شيئاً كثيراً جداً ، وغرق فيه قاضى تلك الناحية ، ومعه بعض الأخبار ، كانوا وقوا على أكمة فدمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا . ومن ذلك سيل وقع بناحية حسة جمال فهلك به شيء كثير من الأشجار والأغنام والأعشاب وغيرها . ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من التركمان وغيرهم ، رجالاً ونساء وأطفالاً وغنماً وإبلًا . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عياناً ، وذكر أنه سقط عليهم بردو زنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى .

الأمر بالزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبهم وشواربهم وذلك محرم بالأجماع حسب ما حكاه ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكراهية

ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، بالزامهم بزي المسلمين وترك زى الأعاجم والمجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزى المبتدع ، واللباس المستنقع ، ومن لا يلتزم بذلك يعزّر شرعاً ، ويقاع من قراره قلماً ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك أكل الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفنى بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودى عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه في صبيحة يوم الأربعاء والله الحمد والمنة .

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن موسى الزرعى بمدينة جبراص يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة ، وكان من المبشرين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة ، وله وجاهة عند الخواص والعام ، رحمه الله . والأمير سيف الدين كحلن بن الاقوس ، الذي كان حاجباً بدمشق وأميراً ، ثم عزل عن ذلك كله ، ونفاه السلطان إلى طرابلس فمات هناك .

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائداً من الديار المصرية ، وقد لقي من السلطان

إكراماً وإحساناً زائداً فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر، ثم سلك على طريق غابة أرصوف يصطاد بها فأصابه وعك منعه عن ذلك، فأمرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه في أبهة هائلة، ورياسة طائلة، وتزايد وخرج العامة للتفرج عليه والنظر إليه في مجيئه هذا، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز، وبين يديه ماجرت به العادة من الخوفية والشاليشية وغيرهم، ومن نيته الاحسان إلى الرعية والنظر في أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تنكز رحمه الله، انتهى والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة

استهلت هذه السنة المباركة وساطعاً للاسلام بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، ولا نائب له بالديار المصرية، وقضاته بها هم المذكورون في العام الماضى، ووزيره القاضى بن اخصيب ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحتسب هم المذكورون في العام الماضى، والوزير ابن قزوينة، وكانىب السر القاضى أمين الدين بن القلانسى، ووكل بيت المال القاضى صلاح الدين الصفدى وهو أحد موقىى الدست الأربعة. وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله، وحاجب الحجاب اليوسفى، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنهار، ومتولى البلد ناصر الدين، ونقيب النقباء ابن الشجاعى. وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير على نائب حماة منها فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فنزل فى القصر الأبقى ثم تحول إلى دار دويداره يلغا الذى جدد فيها مساكن كثيرة بالتصاعين. وتردد الناس إليه لسلام عليه، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه، فسار إلى الديار المصرية. وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخطباط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالكي من السجن، وناظر فى إيمان فرعون وادعى عليه بدعاوى لاتنصاره لفرعون لعنه الله، وصدق ذلك باعترافه أولاً ثم بمنظرته فى ذلك ثانياً وثالثاً، وهو شيخ كبير جاهل عامى ذا نص لا يقيم دليلاً ولا يحسنه، وإنما قام فى مخيلته شبهة يحتاج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الفرق، وأحيط به ورأى بأس الله، وعابن عذابه الأليم، فقال حين الفرق إذاً [آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به نوا إسرائيل وأنا من المسلمين] قال الله تعالى [الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم نجيك بيدى لتكون لمن خلفك آية] فاعتقد هذا العامى أن هذا الإيمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه، وقد قال تعالى [فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون] وقال تعالى

(إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم . قال قد أجيبت دعوتكما) الآية . ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله ف ضرب بالسياط ، فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن في زنجير ، ثم أحضر يوما ثالثا وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر ، فنودي عليه في البلد ثم أطلق .

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفا كله ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء ، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت وفي الأخرى بسورة يس ، ثم صعد المنبر فخطب ثم نزل بعد العشاء . وقدمت كتب الحجاج بخبرون بالرخص والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذي الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شيء لم يعهد كما أخبر به علامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهل في طريق النهر .

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من المحرم قبل الظهر ، ومسك أمير الحجاج شركت المارداني الذي كان مقبلا بمكة شرفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت التجريفة مع الحجاج إلى دمشق صحبة القراسنقر من ساعة وصوله إلى دمشق ، فقيده وسير إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أن الأمير سسند أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قراسنقر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذ خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مسلوبين إلى الديار المصرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عند دم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والامياه والفاكهة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشویش أيضاً ، ثم عوفي بحمد الله .

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجاج رسول صاحب العراق خطبة بنت السلطان ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يصدقها مملكة بغداد ، وأعطاهم مستحقا سلطانياً ، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئاً كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخلق التي يريد أن يتخذها بدمشق قريباً من الطواويس ، وقد خرج لتلقيه نائب النيبة وهو حاجب الحجاب ، والدولة والاعيان . وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه العدل فحمس الدين العراقي من أهلها ، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول وأنه أحضر رجل قد ولد له ولد

عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضرون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فإذا هو شكل سوى له على كل كتف رأس بوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسبحان الخلاق العليم .
وبلقنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر ، وكانت مستجدة على صفة غريبة ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة ، فلما سقطت أهدكت خلقا كثيرا من الصنائع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين في مكتب المدرسة ، ولم ينج من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستة ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمائة نفس ، وقيل أكثر وقيل أقل ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيد صر إلى الفيضة لاصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان ساخه ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الحلقة برمتهم لم يتأخر منهم أحد ، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلانهم ، وأحضر إليهم خلق من فلاحي المروج والقوطة وغير ذلك ، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخل وقد نظفوها من الغل والدغل والغش .

وافقت كاتبة غريبة لبهذه السؤال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبزاً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنسكز عند باب الخواصين ، فنضاربوا فيما بينهم فعمدوا إلى رجل منهم نخفته خنفا شديداً ، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشيء من الذهب وذهبوا على حمية ، وأفاق هو من الغشي فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولى البلا فلم يظفر بهم إلى الآن ، وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم مساملة ، وألف درهم بندقية ودينارين وزنهما ثلاثة دنانير . كذا قال لي إن كان صادقا .

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضى القضاة شرف الدين الحنفى للشيخ على بن البنا ، وقد كان يتكلم في الجامع الأموى على العوام ، وهو جالس على الأرض شيء من الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكانت تعرض في غضون كلامه لأبى حنيفة رحمه الله ، فأحضر فاستناب من ذلك ، ومنعه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى من الكلام على الناس وسجنه ، وبلغنى أنه حكم بإسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البنا عنده زهادة وتمسف ، وهو مصرى يسمع الحديث ويقرؤه ، ويتكلم بشيء من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك في كلامه ، وحاضرتة وهو مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكنه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الاشياء التي لا تنبى أن تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامننه فتكلم على عادته فتطلبه القاضى المذكور فيقال إن المذكور تمت انتهى والله أعلم .

سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد

ابن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى وزوال دولة عمه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طمعه وتزايد شرهه ، وسامت سيرته إلى رعيته ، وضيق عليهم في معاشهم وأكسابهم ، وبني البنايات الجبارة التي لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا وسابقى ، وشق ذلك على الناس جدا ، ولم يتجاسر أحد من القضاة والولاة ولا العلماء ولا الصالحاء على الإنكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له والمسلمين ، انتقم الله منه فسلط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليمهم وجوامكهم وأخبارهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، قفلت الأمراء والاجناء والمقدمون والكتّاب والموقعون ، ومس الناس الضرر وتعدى على جوامكهم وأولادهم ومن يلوذ بهم ، فعند ذلك قدر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلبغا الخصاصكى . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك ، وركب السلطان لمسكه فركب هو في جيش ، وتلاقيا في ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولا في الوطاقات ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفرقة طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلا ولا وزير ، ولن ينجى حذر من قدره ، فبات الجيش بكاله محذقا بالقلعة ، فهم بالهرب في الليل على هجن كان قد اعتدها ليهرب إلى الكرك ، فلما برز مسك واعتقل ودخل به إلى دار يلبغا الخصاصكى المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين يلبغا الخصاصكى ، فاتفقت الآراء واجتمعت السكامة وانعقدت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي ، وخطب الخطباء وضربت السكة ، وصارت البريدية للبيعة باسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثلثي عشرة ، وقبل أربع عشرة ، ومن الناس من قال ست عشرة ، ورسم في عود الأمور إلى ما كانت عليه في أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن يبطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التي كان قطعها ، وأمر باحضار طار وطاشتمر القامحى من سجن اسكندرية إلى بين يديه ليكونا أتاكبا ، وجاء الخبر إلى دمشق محبة الأمير سيف الدين بزلار شاد التربخانات أحد أمراء الطبلخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطبلخانات الأمراء على أبوابهم ، وزين البلد بكاله ، وأخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السعادة وخلع عن نائب السلطنة تشرىف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة والله الأثر ، وله الحكم . قال تعالى [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء

وتنزل من نساء [الآية . ووجد على حجر بالحيرية قرئت للمؤمن فاذا مكتوب .

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل النعيم من ملك * قد زال سلطانه إلى ملك

وملك ذى العرش دائم أبداً * ليس بفان ولا بمشرك

وروى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سوى الخلق

حسنة ، وقد لبس حلة خضراء ، وهو شاب ممتلئ شباباً ، وينظر في أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من

نفسه ، فلما بلغ إلى صرحه الدار تلقته جنية في صورة جارية من حظاياها فأشدته :

أنت نعم لو كنت تبقى * غير أن لا حياة للإنسان

ليس فيما علمت فيك عي * بئذ كره غير أنك فان

فصعد المنبر الذي في جامع دمشق وخطب الناس ، وكان جهورى الصوت يسمع أهل الجامع وهو

قائم على المنبر ، فضعف صوته قليلاً قليلاً حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلما فرغ من الصلاة حمل

إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التي تبعت تلك الجنية على صورتها ، وقال : كيف أنشدتني بيتك

البيتين ؟ فقالت : ما أنشدتك شيئاً . فقال : الله أكبر نعت والله إلى نفسي . فأوصى أن يكون

الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقدم نائب طرابلس المعزول عليلاً والأمير سيف الدين استنصر الذي كان نائب دمشق وكاننا

مقيمان بطرابلس جميعاً ، في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخل دار السعادة فلم يحتفل

بهما نائب السلطنة .

وتكامل في هذا الشهر تجديد الرواق غربى باب الناطفانيين إصلاحاً بدرابزيناته وتبييضاً

لجدرانها ومحراب فيه ، وجعل له شبائيك في الدرابزينات ، ووقف فيه قراءة قرآن بعد المغرب ،

وذكروا أن شخصاً رأى مناماً فقصه على نائب السلطنة فأمر بإصلاحه . وفيه نهض بناء المدرسة التي

إلى جانب هـنا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولاً علم الدين بن هلال ، فلما صودر أخذت

منه وجعلت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبائيك من شرقها ،

وباباً قبلياً ، ومحراباً وبركة وعراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكلوا عليها بالآجر ،

وجامت في غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكتبة للأيتام فلم يتم أمرها

حتى قتل كما ذكرنا .

واشتهر في هذا الشهر أن بقرة كانت نجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلبة قد ماتت

أهمهم ، وهى في ناحية كنيسة مريم في خرابة ، فتجىء إليهم فتتسلط على شقها فترضع أولئك الجراء

منها ، تكرر هذا منها مراراً ، وأخبرني الحدث المفيد التقى نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفي المشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يمشين في تستر ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهرن زينة ولا يداً ، فامتنان ذلك والله الحمد والمنة . وقدم أمير العرب جبار بن مهنا في أبهة هائلة ، وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق ، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة . وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين عمر المهندار من نيابة غزة حاجب الحجاب بدمشق ، وعلى مقدمة رأس الميمنة ، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة ، مثل مكس الحداية والخزل المرددن الحلب والطباني ، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم ، وما يؤخذ من أجرة عدة الموتى كل ميت بثلاثة ونصف ، وجعل العدة التي في القيسارية للحاجة مسبلة لا تنحجر على أحد في تفسيل ميت ، وهذا حسن جداً ، وكذلك منع النحجر في بيع البلح المختص به ، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان فرخص على الناس في هذه السنة جداً ، حتى قيل إنه بيع القنطار بمشرة ، وما حولها .

وفي شهر شعبان قدم الأمير جبار بن مهنا من الديار المصرية فنزل القصر الأبقى وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر ، ثم ترحل بعد أيام قلائل ، وقدم الأمراء الذين كانوا بحبس الاسكندرية في صبيحة يوم الجمعة سابعه ، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبيح وسيف الدين طيدمر الحاجب ، وطبيرف ومقدم ألف ، وعمر شاه ، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر أعزّه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء مما فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

تنبيه على واقعة غريبة واتفان عجيب .

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر فيما بلغنا في نفسه عتب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبقا الحاصكي مدبر الدولة بها ، وقد توسم وتوهم منه أنه يسعى في صرفه عن انشام ، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة ، فنقسم منه ببعض الإباء عن طاعة يلبقا ، مع استمراره على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عزل من قبل يلبقا أنه لا يسمع ولا يطيع ، فعمل أعمالاً واتفق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين برناق الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زباله الذي كان قفيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها وبخطاتها وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتيحها وأغلقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وما هو معد

فيها ولما ، وتمعجب الناس من هذا الاتفاق في هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخدمة وحشمه وأهنته يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين استنصر الذي كان نائب الشام ، وهو في منزله كالمتعقل فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه ، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية : طبترق ، وهو أحد أمراء الأتولف وطيدمر الحاجب ، كان ، وأما ابن صبيح وعمر شاه فانهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار ، والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء بسوق الخيل ، ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتعاهدوا وتعاقدوا واتفقوا على أن يكونوا كلهم كتفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سواهم ممن أراد عزل أحد منهم أو قتله ، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطاعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الجلف ، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة ، وأبهة كثيرة ، والمستول من الله حسن العاقبة .

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطل مكس الأفراح ، وأبطل أن لا تنفى امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا في غاية ما يكون من المصلحة العظيمة الشامل نفعها . وفي يوم الثلاثاء فامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر في نصب مجانيق على أعلى بروج القلعة ، فنصبت أربع مجانيق من جهاتها الأربع ، وبلغنى أنه نصب آخر في أرضها عند البحرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقاً من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الأتجاد ، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئاً كثيراً ، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يفوت الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتني فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقضه ، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يناب الساعى في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفنؤنا مأجورين .

فقلت للذى جاءنى بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيته فى الذى يقصده ، ولا يسعى فى تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجحة على ذلك ، فيؤخر الطلب إلى وقت إمكانه بطريقه ، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها فى جمع الدولة والأمراء عليه ، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً ، وكانهم يحضر معه الموكب الهائلة ، وينزلون معه إلى دار السعادة ، وبعد لهم الأسحلة ويأكل معهم ، وجاء الخبر بأن الأمير منجك الطرجاقسى المقيم ببيت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوز على غزوة ونائبه ، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف ، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يقتل ما معه ، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله فالعدة ثابتة جداً ، والأمن حاصل هناك ، فلا يخاف أحده وكذلك بدمشق وضواحيها ، لا يهاج أحد ولا يتعدى أحد على أحد ، ولا ينهب أحد لأحد شيئاً والله الخ ، غير أن بعض أهل البساتين توهموا وركبوا إلى المدينة ونحوها ، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم ، وأقاموا بها على وجل ، ذلك لما رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤس قلال الأبراج التى للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكتوباً سطره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلبغا ، وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه فى المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المكتوب مع مملوك للأمير طيغنا الطويل ، نظير يلبغا بالديار المصرية ، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحنه فى الحضور إليه فى الجيش ليناجزوا المصريين ، فعين نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجربة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان هجبة استسلم الذى كان نائب الشام مدداً للأمير منجك فى ألفين ، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقى من الجيش ينهبون على إثرهم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتى .

وتوفى الشيخ الحافظ علاء الدين مغلطاي المصرى بها فى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من القند بالزيدانية ، وقد كتب الكثير وصنف وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفى مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر ليبيع شئ عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو فى حواصل يلبغا ، فامتنعوا من ذلك خوفاً من استعادته منهم على

تقدير، فضرب بعضهم ، منهم شهاب الدين ابن السواف بين يدي الحاجب ، وشاد الدواوين ، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني ففرج الله بذلك .

وخرجت التجربة ليلة الثلاثاء بعد العشاء صحبة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبح ثم ابن طارغية ، ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء عاشر رمضان ، فتلقاء ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر ، ودخلا معا في أبهة عظيمة ، فنزل تومان في القصر الأبلق ، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلبغا ، هذا والقلة منصوب عليها المجانيق ، وقد ملئت حرماً شديداً ، ونائب السلطنة في غاية التحفظ . ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي ، ومنجك ومن معه هنالك ، ليقض الله أمراً كان مفعولاً ، فأجابه إلى ذلك وأمر بتقدم السبق بين يديه في هذا اليوم ، فخرج السبق وأغلقت القلة بابها السلوك الذي عند دار الحديث ، فاستوحش الناس من ذلك ، والله يحسن العاقبة .

خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق الى غزة

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان نائب السلطنة ، ونائب طرابلس ، ثم اجتمعوا بالخطبة في مقصورة الخطابة ، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تجمل هائل على ما ذكر بعد العصر ، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح ، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس ، وخرج عامة من بقى من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة ، وسلمهم الله ، وكذلك خرج القضاة ، وكذا كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست ، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجند بدمشق ، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التركاني ، وقرية والي البر ، ومتولى البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحى ، ومحاسب البلد ونواب القضاة والقلة على حالها ، والمجانيق منصوبة كما هي . ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أنشاء النهار هو وتومان تمر ، وم كلهم في لبس وأسلحة تامة ، وكل منهما خائف من الآخر أن يمسكه ، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق ، ولما كان بعد العصر قدم منجك واستندمر كان نائب السلطنة بدمشق ، وهما مغلولان قد كسرهما من كان قدم على منجك من العساكر التي جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين ، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب . ويعرف بالمهندار ، قال لمنجك كلنا في خدمة من بمصر ، ونحن لا نطيعك على نصرة بيدمر ، فتقالوا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهما كابن صبح وطيدمر . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطبرق

ولا أحد من أمراء دمشق عين ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المنتقمين ، وسوى بيدمر ومنجك واستندر ، والقلمة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس في خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلمة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصرى حصار وتعب ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة .

ولما كان في أثناء نهار الاثنين سادس عشره دقت البشار في القلمة وأظهر أن يلغيا الخصاصي قد نفاه السلطان إلى الشام ، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضا ، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر واستندر ملبسين ، ويخرجون إلى خارج البلد ، ثم يعودون ، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب ، ولكن قد شرع إلى تستير القلمة وهي الحصار فأن الله وإنا إليه راجعون .

ثم تبين أن هذه البشار لا حقيقة لها ، فاهتم في عمل ستائر القلمة وحمل الزايط والأحجار إليها ، الأغنام والحوامل ، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني وصحبته يلغيا في جميع جيش مصر قد عدا غرة ، فعند ذلك خرج صاحب وكاتب السر والقاضي الشافعي وناظر الجيش ونقباءه ومنولى البلد وتوجهوا لتلقاء حماة لتلقى الأمير على الذي قد جاءه تقليد دمشق ، وبقي البلد شاغرا عن حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة ، والناس كغنى لاراعى لهم ، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة ، لا يمدو أحد على أحد فيما بلغنا ، وهذا وبيدمر ومنجك واستندر في تحصين القلمة وتحصيل العدد والأقوات فيها ، والله غالب على أمره أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة الستائر تعمل فوق الأبرجة ، وصلى الأمير بيدمر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر في الشباك الكمال ، في مشهد عثمان ، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة ، وليس هناك أحد من الحجة ولا النقباء ، وليس في البلد أحد من المباشرين بالكلية ، ولا من الجند إلا القليل ، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان ، والمباشرون إلى ناحية حماة لتلقى الأمير على نائب الشام المحروس ، ثم عاد إلى القلمة ولم يحضر الصلاة استندر ، لأنه قيل كان منقطعا أو قد صلى في القلمة .

وفي يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته ، وبعث عليه فيما اعتمده من استعوذ على القلمة ويخطب فيها ، وادخار الآلات والاطمات فيها ، وعدم المجانيق والستائر عليها ، وكيف تصرف في الأموال السلطانية تصرف الملك والملوك ، فتوصل ملك الأمراء من ذلك ، وذكر أنه إنما أرصد في القلمة جنادتها وأنه لم يدخلها ، وأن أبوابها مفتوحة ، وهي قلمة السلطان ، وإنما له غريم بينه وبينه الشرع

والقضاة الأربعة - معنى بذلك يلغيا - وكتب بالجواب وأرسله محبة البريدى وهو كتركلى مملوك بقطبه الديدار ، وأرسل في محبته الأمير صادم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان تصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر ، وليس ثم مفتوح سوى باب النصر والفرج ، والناس في حصر شديد وانزعاج ، فأنفذوا إليه راجعون . ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة . وفي صبيحة الأربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يلغيا الخاصكى بقبة يلغيا ، وامتد طلبه من سيفداريا إلى القبة المذكورة في أبهة عظيمة ، وهيئة حسنة ، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصبيين معه ، ودخل بيدمر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جدا ، وقطع المصريون نهر بانياس والفرع الداخلى إليها وإلى دار السعادة من القنوات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلد لذلك وملؤا مائى بيوتهم من برك المدارس ، وبيعت القرية بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ والله الحمد والمنة ، فانشرح الناس لذلك ، وأصبح الصباح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان ، فأرسل يلغيا من جهة أمراء وهم الأمير زين الدين زباله الذى كان نائب القلعة ، والملك صلاح الدين ابن الكامل ، والشيخ على الذى كان نائب الرحبة من جهة بيدمر ، وأمير آخر ، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلدة وفتحوا الأبواب ، فلما رأى بيدمر ذلك أرسل مفتاح البلد إليهم انتهى . وصول السلطان لتلك المنصور إلى المصطبة غربي عتبة سجورا

كان ذلك في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كالجبال ، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم ابنته الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يديه ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين الماردانى ، وقد عين لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة . فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين على الماردانى بناية دمشق ، وأعيد إليها حوذاً على بدء ، ثم هذه الكرة الثالثة ، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلد لتهنئته ، هذاو القلعة محصنة بيد بيدمر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتفى بها ، هو ومنجك واستدمر ومن معه من الاعوان بها ، ولسان حال القدر يقول [أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة] ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى بيدمر وذويه بالقلعة ليصالحوه على شئ بميسور يشترطونه ، وكان ما استدكره انتهى والله تعالى أعلم .

سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الأحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومعهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ سراج الدين الهندى الحنفى ، قاضى المسكر المصرى للحنفية ، إلى بيدمر ومن معه ليتكلموا معهم فى الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبل أن يشرعوا فى الحصار والمجانيق التى قد استدعى بها من صفد و بعلبك ، وأحضر من رجال النقاين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أماناً إن أتى إلى المصالحة ، فطلب أن يكون بأهله بيوت المقدس ، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترزق هناك ، وطلب استدعهم أن يكون بشمعداراً للأمر سيف الدين يلبغا الخاصى . فرجع القضاة إلى السلطان ومعهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان ، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك ، فأجيبوا إليه ، وخاع السلطان والأمراء على جبريل خلماً ، فرجع فى خدمة القضاة ومعهم الأمير استبغا بن الأبوبكرى ، فدخلوا القلعة وباتوا هناك كلهم ، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطر زين ، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومعهم جبريل ، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبغا بن الأبوبكرى انتهى .

دخول السلطان محمد بن الملك أمير حاج بن الملك محمد ابن الملك قلاوون الى دمشق فى جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطائى الشريف ، وفى محبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم ونوحيهم ، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون ، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين مجبورين ، وأما الأمراء المذكورون فاتهم أركبوا على خيل ضميعة ، وخلف كل واحد منهم وساق أخذ بوسطه قبل ، وفى يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنقذه منه أحد فيقتله بها ، فدخل جبهة بيت الناس ليروم ذلتهم التى قد لبسهم ، وقد أهدق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بعدتهم ، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظرًا عظيماً ، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذى فيه القصر ، فأجلسوا هناك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجبريل وابن استدعهم ، وسادس ، وظن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة ، فانأثروا وإنا إليه راجعون ، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلاباً فى تجميل عظيم ، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان فى آخر ذلك كله بعد العصر بمن ، وعليه

من أنواع الملابس قباز بخاري ، والقبة والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان نمر ، الذي كان نائب طرابلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمي فرسه ، والبشار تضرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية . رأى ما قد أرصدها من المجانيق والأسلحة ، فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيراً ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح في أول يوم من رمضان ، وهذا في التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس في الزينة . وفي صبيحة يوم الثلاثاء سلخ الشهر نقل الأمراء المغضوب عليهم الذين ضل منهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء المسلمين إلى القلعة فأنزلوا في أبراجها مهانين مفرقا بينهم ، بعد ما كانوا بها آمنين حاكين ، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين ، فجاروا بعد ما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزم أذلاء ، ونقبت أصحاب هؤلاء ونودي عليهم في البلد ، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل ، ولولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم في هذا اليوم على الرئيس أمين الدين ابن القلانسي كاتب السر ، وطلب منه ألف ألف درهم ، وسلم إلى الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة ، وقد أعيد إليها وأعطى مقدمة ابن قراستقر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصل السلطان وأمرؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً القاضي تاج الدين الساري الشافعي ، قاضي المسكر المنصورة للشافعية ، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة ، ومد لهم سباطاً هائلة أكلوا منه ثم رجعوا إلى دورهم وقصورهم ، وحمل الطير في هذا اليوم على رأس السلطان الأمير على نائب دمشق ، وخلع عليه خلعة هائلة .

وفي هذا اليوم مسك الأمير تومان نمر الذي كان نائب طرابلس ، ثم قدم على بيدمر ، فكان معه ، ثم قفل إلى المصريين واعتذر إليهم فمردوه فيما يبدو للناس ، ودخل وهو حامل الخبز على رأس السلطان يوم الدخول ، ثم ولوه نيابة حصص ، فصغروه وحقروه ، ثم لما استمر ذاهباً إليها فكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المائة ألف التي كان قبضها من بيدمر ، ثم ردوه إلى نيابة حصص .

وفي يوم الخميس اشهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخا صكية ملكوا عليهم حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين للمحل الذي كان معتقلاً فيه ، وأطفا الله شر هذه الطائفة والله الحمد .

وفي آخر هذا اليوم لبس القاضي ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفة ، والمدرستين ، ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي ، عزل وصودر ، وراح

الناس تهنئته بالعود إلى وظيفته كما كان .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الأمراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهندار ابن أخي الحاجب الكبير ، تمر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين ابن الكامل ، وابن حمزة والطرخاني واثنتان أخوان وهما طيبقا زفر وبلجات ، كلهم طبلخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحاجب ، وكذلك الحجوية أيضا لقاربي أحد أمراء مصر .

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلمة المنصورة ، منهم عمر بن موسى بن مهنا الملقب بالمصع ، الذي كان أمير العرب في وقت ، ومعيل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للامير سيف الدين الأشمدي الذي استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئاً من بعض الامتعة ، وكادت الحرب تقع بينهم . وفي ليلة الخميس بعد المغرب حل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقيدون في الأغلال أيضا إلى الديار المصرية ، منهم بيدمر ومنجك واستندر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مائتي فارس ملبسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمر واجماعة من البطالين منهم أولاد لاقوش ، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والترسيم بالقلمة ، بعد ما وزن بعض ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهناه الناس .

خروج السلطان من دمشق قاصداً حصر

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طاب يلبيغا الخصاصكي صبيحته في تجميل عظيم لم ير الناس في هذه المدد مثله ، من نجائب وجنائب وممالك وعظمة هائلة ، وكانت عامة الاطلاب قد تقدمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموي قبل أذان الظهر ، فصلى في مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكسوة والناس في الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقي أكثرها في الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو العشرة أيام .

وفي يوم السبت حادي عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصاري باعادة الحسبة إليه وعزل عماد الدين ابن السيرجي ، وخرج المحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة ، والامير مصطفي البيري . وتوفي يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طشتمر وفر وطيبغا الغبل ، ونوروز أحد مقدمي الألوف ، وتمر المهندار ، وقد كان مقدم ألف ، وحاجب الحاجب وعمل نيابة غزة في وقت ، ثم تهرب عليه المصريون فزله عن الامرة ، وكان مريضاً فاستمر مريضاً إلى أن توفي يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بترتبه التي أنشأها بالصوفية ، لكنه لم يدفن فيها بل

على بابها كأنه مودع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفي الأمير ناصر الدين بن لاقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقببات ، وقد فاق بعبك وبمحص ، ثم قطع خبره هو وأخوه كحلن ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضى عنهم الأمير يلبغا وأعاد عليهم أخبارا بطباخانات ، فالبث ناصر الدين إلى سيرآ حتى توفي إلى رحمة الله تعالى ، وقد أثر آثاراً حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانه خان مليح نافع ، وله بعبك جامع وحمام وخان وغير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد بن قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الاتابكية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى [الحج أشهر معلومات] وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسي الشافعي المعروف بابن الجاني بالمدرسة المصرية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسي في مصادراته . وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيصرية ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الخميس سلخ شوال شهر الشيخ أسد بن الشيخ الكردى على جبل وطيف به في حواضر البلد ونودي عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان ، ثم أنزل عن الجبل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودي عليه بذلك ، ثم ألزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المتسلم للقلعة في أيامه .

وفي صبيحة يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة خلخ على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذي كان متوفراً عن علاء الدين بن قمرنوخ ، وهنأه الناس بذلك وركب البغلة بالزنازى مضافاً إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصالحية إلى قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، استرجعها بمرسوم شريف سلطاني ، من يد القاضي عماد الدين بن العز ، وخلخ على الكفري ، وذهب الناس إليه للتهنئة بالمدرسة المذكورة .

وفي شهر ذى الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية مجلون ، وأنهم اقتتلوا قتل من الفريقين البني والقيسي طائفة ، وأن عين حينا التي هي شرقي مجلون دمرت وخربت ، وقطع أشجارها ودمرت بالكاية . وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذى الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس ، فأنكر الناس ذلك ، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسبغا ، كان يريد

المرب إلى بلاد الشرق ، فاحتيط عليه حتى أمسكه .

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبقى ، وقد عي من الكحل حين كان مسجوناً بالاسكندرية ، فأطلق كما ذكرنا ، ونزل ببيت المقدس مدة ، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان ، غير أنه لا يدخل ديار مصر ، فجاء فنزل بالقصر الأبقى ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم - نائب السلطنة فن دونه - يسمون عليه وهو لا يبصر شيئاً ، وهو على عزم أن يشتري أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاها من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر أمير حاج بن الملك المنصور قلاوون ، وهو شاب دون العشرين ، ومدير الممالك بين يديه الأمير يلغا ، ونائب الديار المصرية طشتمر ، وقضاهاهم المذكورون في التي قبلها ، والوزير سيف الدين قزوينة ، وهو مريض مدنف ونائب الشام بدمشق الأمير دلاء الدين المارداني ، وقضاهاهم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك الخطيب ووكيل بيت المال والمحاسب دلاء الدين الأنصاري ، عاد إليها في السنة المنفصلة ، وحاجب الحجاب قناري ، والذي يليه الساجاني وآخر من مصر أيضاً ، وكاتب السر القاضى ناصر الدين محمد بن ياقوب الحامى ، وفاخر الجامع القاضى تقي الدين بن مراحى ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافى أنه جدد في أول هذه السنة قاضى حنفى بمدينة صغد المحروسة مع الشافى ، فصار فى كل من حماة وطرابلس وصغد قاضيان شافى وحنفى .

وفي ثلثي المحرم قدم نائب الساعنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالعرب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد المشيرات المواسين ببلاد مجلون ، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرنى أنه لم ينعد ناحية فرير ، وأن المشيرات قد اصطحوا وانفقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك فهزمهم الترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ظهر للعرب كمين فاجأ الترك إلى وادى صرح فحصرهم هناك ، ثم ولت الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً .

وقدم الحاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم ، ودخل المحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد العشاء ، ولم يحتفل لدخوله كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب في الرجعة من برز إلى هنا

من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ،
ولكن أخبروا برخص كثير وأمن ، وبموت نفسة أخى عجلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته
أهل تلك البلاد لبغيه على أخيه عجلان العادل فيهم انتهى والله أعلم .

منام غريب جداً

ورأيت - يعنى المصنف - فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين
وسبعمائة الشيخ محى الدين النواوى رحمه الله فقلت له : يا سيدى الشيخ لم لا أدخلت فى شرحك
المهذب شيئاً من مصنفات ابن حزم ؟ فقال ما معناه : إنه لا يحبه ، فقلت له : أنت معذور فيه فإنه
جمع بين طرفى النقيضين فى أصوله وفروعه ، أما هو فى الفروع فظاهرى جامد يابس ، وفى الأصول
تول مائع قرمطة القرامطة وهرس الهراثة ، ورفعت بها صوتى حتى صممت وأنا نائم ، ثم أشرت له
إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هى أردأ شكلاً منه ، لا ينتفع بها فى استغلال ولا رعى ، فقلت
له : هذه أرض ابن حزم التى زرعها [قال] : أنظر هل ترى فيها شجراً مثراً أو شيئاً ينتفع به ، فقلت
إنما تصالح للجلوس عليها فى ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع فى خلدى أن ابن حزم كان
حاضراً عند ما أشرت للشيخ محى الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم .
وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضى عماد الدين بن الشيرجى بعود
الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصارى عن القيام بها لشغله بالمرض المدنف ، وهناه الناس
على العداة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفى الشيخ علاء الدين الأنصارى
المذكور بالمدرسة الأمينية ، وصلى عليه الظاهر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب
جامع جراح ، فى تربة هنالك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرس فى الأمينية وفى الحسبة مرتين
وترك أولاداً صغاراً وأموالاً جزيلة سألها الله ورحمه ، وولى المدرسة بعده قاضى القضاة تاج الدين بن
السبكي بمرسوم كريم شريف .

وفى العشر الأخير من صفر باقنا وفاة قاضى قضاة المالكية الاخنائى بمصر وتولية أخيه
برهان الدين ابن قاضى القضاة - علم الدين الاخنائى الشافى أبوه قاضياً مكان أخيه ، وقد كان على
الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه . وفى صبيحة يوم الأحد
رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضى
القضاة تقي الدين بن الحسن بن عبد الكافى السبكي الشافى تدريس الأمينية عوضاً عن الشيخ
علاء الدين المحتسب ، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأمرء
والفقهاء والعامة ، وكان درساً حافلاً ، أخفى قوله تعالى [أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله]

الآية وما بعدها ، فاستنبط أشياء حسنة ، وذكر ضرباً من العلوم بعبارة طليقة جارية معسولة ، أخذ ذلك من غير تلمذ ولا تلجلج ولا تكلف فأجاد وأفاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنه لم يسمع درساً مثله .

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي ، في داره بالقصاعين ولم يمرض إلا يوماً واحداً ، وصلى عليه من الغد بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر ، فخرج نائب السلطنة الأمير على فصلى عليه إماماً خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله ، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجهة عند الدولة وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة ومعروف ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ فحمس الدين محمد بن النقاش المصري بها ، وكان واعظاً ماهراً ، وفصيحا ماهراً ، ونحوياً شاعراً ، له يد طولى في فنون متعددة ، وقدرة على نسج الكلام ، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادى ، الذى كان قاضياً بالشام للمالكية ، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر ، فانه رتب له معلوم وافر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبه .

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسي ، أحد من بقي من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان باشر مباشرات كبار كآبائه وعه علاء الدين ، ولكن فاق هذا على أسلافه فانه باشر وكالة المال مدة ، وولى قضاء المساكر أيضاً ، ثم ولى كتابة السرمع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية ، وكان قد درس في المصرية من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار ، وصودر بمبلغ كثير يقارب مائتى ألف ، فباع كثيراً من أملاكه وما بقي بيده من وظائفه شيء ، وبقي خاملاً مدة إلى يومه هذا ، فتوفي بفترة ، وكان قد تشوش قليلاً لم يشعر به أحد ، وصلى عليه المصر بجامع دمشق ، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التى بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره ، خلع على القاضي جمال الدين بن قاضي القضاة شرف الدين الكفرى الحنفى ، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولقب في التوقيع الوارد محبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة » فلبس الخلمة بدار السعادة وجاء معه قاضي القضاة تاج الدين السبكي

إلى النورية فقعده في المسجد ووضعت الربعة فقرئت وقرئ القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس
لأنه نشأ بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين بن الشيخ زين
الدين الفارقي ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن في الجامع ، وقد أتت عليه
تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس ، صلى عليه صبيحة يومئذ ،
وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قرابغا وإدار نائب الشام
الصغير ومعه تقليد بقضاء قضاء الحنفية للشيخ جمال الدين يوسف بن قاضي القضاة شرف الدين
الكفري ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، ولبس الخلع بدار السعادة وأجلس تحت المالكى ، ثم
جاءوا إلى المقصورة من الجامع وقرئ تقليده هناك ، قرأه فحمس الدين بن السبكي نائب الحسبة ،
واستتاب اثنين من أصحابهم وهما فحمس الدين بن منصور ، وبدر الدين بن الخراش ، ثم جاء معه
إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشيء من ذلك انتهى والله أعلم .

موت الخليفة المعتضد بالله

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة ، وصلى عليه يوم الخميس ، أخبرني
بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافى ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمه الله .

خلافة المتوكل على الله

ثم بويع بعده ولده المتوكل على الله على أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر أبي الفتح بن
المستكنى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحم الله أسلافه .

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه صناعق خليفية وسلطانية وتقاليد
وخلع وتحف لصاحبى الموصل وسنجان من جهة صاحب مصر ليخطب له فيهما ، وولى قاضي القضاة
تاج الدين الشافى السبكي الحاكم بدمشق لقاضيهما من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرني بذلك ،
وأرسل مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم .
وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى صرح الفسولة ومعه حجته وتقباء النقباء ، وكاتب
السروذووه ، ومن عزهم الإقامة مدة ، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد فأبصر عوا الأوبة
فدخلوا في صبيحة الأحد الحادى والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة فحضر الموكب على العادة ،
وخلع على الأمير سيف الدين يلبغا الصالحى ، وجاء النص من الديار المصرية بخلع دوا دار عوضاً عن
سيف الدين كحلن ، وخلع في هذا اليوم على الصدر فحمس الدين بن مرقى بتوقيع الهدست ، وجهات

آخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخبر في هذا اليوم باجلاس قاضى القضاة شمس الدين الكفرى الحنفى ، فوق قاضى القضاة المالكية ، لكن لم يحضر في هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أمر باجلاس المالكي فوقه .

وفي ثاني رجب توفى القاضى الامام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسى الحنبلى ، نائب مشيخة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسى الحنبلى ، وزوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث ، وكان بارعاً فاضلاً متفتناً في علوم كثيرة ، ولا سيما علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب الامام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضى القضاة جمال الدين ، وعاق على محفظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفى عن نحو خمسين سنة ، وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفرى ، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عائكة أساؤا الأدب على النائب ومماليكه ، بسبب جامع للخطبة جدد بناحياتهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويحمله زاوية للقاصين ، فحكم القاضى الحنبلى بجماله جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه ، فأنتف أنف أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا ، وأعطوا ذلك ، فتكلم بعضهم بكلام سيئ ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه ، ونودى عليهم في البلدة ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك ، وحدد ميماد حديث يقرأ بعد المغرب نحت قبة النسر على الكرعى الذى يقرأ عليه المصحف ، رتبته أحد أولاد القاضى عماد الدين بن الشيرازى ، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير ، وقرأ في السيرة النبوية من خطي ، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر .

أعجوبة من العجائب

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخارى ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزخشرى وغير ذلك من محاضيرها ، في فنون أخر ، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأوى بالحائط الشمالى منه ، عند باب الكلامة من أول صحيح البخارى إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة ييدى ، فأدى جيداً ، غير أنه يصحف بعضاً من الكلمات لمعجم فيه ، وربما لحن أيضاً في بعض الأحيان ، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين ، فأعجب ذلك جماعة كثيرين ، وقال آخرون منهم إن سرد بقية

الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً ، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور ، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء ، واجتمع العامة محدقين ققرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث ، وصحف ولحن في بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفى والمالكي ققرأ بمحضرتهما أيضا بعض الشيء ، وهذا العامة محتفون به متمجبون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتى له بالسماع على الاجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن تجيزنى ، وذكرك في بلادنا مشهور ، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارهه القضاة والأعيان بشئ من الدرهم يقارب الألف .

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق

في يوم الأحد حادى عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير على عن نيابة دمشق ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخام عليه خلمة وردت مع البريد ، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب ، وأن يكون في أى البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز ، فانتقل من يومه من دار السعادة وبقى أصحابه ومالكيه ، واستقر نزوله في دار الخليل بالقصاعين التى جدها وزاد فيها دويداره يلبغا ، وهى دار هائلة ، وراح الناس لتأسف عليه والحزن له انتهى .

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السبكي الشافعي الى الديار المصرية

ورد البريد بطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحادى عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبع مائة ، فأرسل إليه حاجب الحجاب قارى وهوائب الغيبة أن يسافر من يومه ، فاستنظروهم إلى الغد فأمل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السبكي بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستنيب ابن أخيهما قاضي القضاة تاج الدين في التأهب والسير ، وجاء الناس إليه ليودعوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، متوجها على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، حتى ردم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسؤول في حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أعجوبة أخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشى شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة فحمس الدين بن الموصلى

الشافعي ، والشيخ الإمام العلامة صلاح الدين الصفدي ، وكيل بيت المال ، والشيخ الإمام العلامة
فهمس الدين الموصلي الشافعي ، والشيخ الإمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية
الشيخ أبي إسحاق الفيروزابادي ، من أئمة الفقيين ، والخطيب الإمام العلامة صدر الدين بن العز
الحنفى أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الإمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحدثين
البلغاء ، وأحضروا نيافاً وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة للتميمي البرمكي ، وقف الناصرية
وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشفي ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ،
وأخذ كل منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ،
فينشر كلامها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسامعون أنه يحفظ جميع شواهد
اللغة ولا يشذ عنه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب المعجائب ، وأبلغ الاعراب .

دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى والحجبة بين يديه والجيش بكامله ، فتقدم إلى سوق
الخليل فأركب فيه ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين
يديه ، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمر إلى الصالحية ، وهو ذاهب إلى
صلاة الجمعة ، ثم هرب فتبعه الناس فقتل منهم آخر وجرح آخرون ثم تكاثروا عليه فسك ، ولما
صلب طافوا به على حل إلى الصالحية فأت هناك بعد أيام ، وقاسى أمراً شديداً من العقوبات ، وقد
ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قبحه الله .

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن تقي الدين عوضاً عن أخيه قاضي

القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب

قدم يوم الثلاثاء قبل المعصر فبدأ بملك الأمراء فسلم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فجلس هناك
ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخيه قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح ، قاضي
المساكر ، وذهب الناس للسلام عليه وهو يكره من يلقيه بقاضي القضاة ، وعليه تواضع وتقشف ،
ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله ، والله المستول المأمول أن يحسن العاقبة .

وخرج المحمل السلطاني يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وأمير الحاج الملك صلاح الدين بن الملك
الكامل بن السعيد العادل الكبير ، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع مدرس الأمانية بيمليك
وفي هذا الشهر وقع الحكم بما يخص المجاهدين من وقف المدرسة التقوية إليهم ، وأذن القضاة
الأربعة إليهم بحضرة ملك الأمراء في ذلك .

وفي ليلة الأحد ثالث شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب كاتب السر ،

وشيوخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية بدمشق ، ومدرس الأسدية بحلب ، وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً ، وقضاء العساكر وأقضى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزملكاني قضاء حلب ، أذن له هناك في حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وسبعمائة ، وقد قرأ التنبيه ومختصر ابن الحاجب في الأصول ، وفي العربية ، وكان عنده نباهة وممارسة للعلم ، وفيه جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه ، وليس يتوسم منه سوء ، وفيه ديانة وعفة ، حلف لي في وقت الأيمان المفلظة أنه لم يمكن قط منه فاحشة القواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحمه الله وأكرم مثواه ، صلى عليه بعد الظهر يومئذ وخرج بالجنازة من باب النصر فخرج نائب السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هناك ، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية وتأسفوا عليه وترحوا ، وتزاحم جماعة من الفقهاء بطلب مدارسه انتهى .

ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة

استلمت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الاقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنصور المظفرى حاجى بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدير الممالك بين يديه ، وأتابك العساكر سيف الدين يلبغا ، وقضاة مصر هم المذكورون في التقي قبلها ، غير أن ابن جماعة قاضى الشافعية وموفق الدين قاضى الحنابلة في الحجاز الشريف ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصورى ، وقاضى قضاء الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وأخوه قاضى القضاة تاج الدين مقيم بمصر ، وقاضى قضاء الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، آثره والده بالذهب وأقام على تدريس الركنية يتعبد ويتلو ويجمع على العبادة ، وقاضى قضاء المالكية جمال الدين المسلاتى ، وقاضى قضاء الحنابلة الشيخ جمال الدين المرداوى محمود بن جملة ، ومحتسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشيرجى ، وكاتب السر جمال الدين عبد الله بن الأثير ، قدم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلخ السنة الماضية ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسى ، وناظر الخزانة القاضى تقي الدين بن مراحى . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر ، وكان وقع مطر شديد قبل أيام ، فتناف منه غلات كثيرة بحوران وغيرها ، وشاطيخ وغير ذلك ، فأنقذه وإنا إليه راجعون .

وفي ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعد عشاء الآخرة قبل دقة القلمة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلمة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتا للتلايم راكب على باب القلمة المنصورة ، فساق هذا الفارس المذكور على

السلسلة الواحدة قطعها ، ثم مر على الأخرى قطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه ملثم . وفي حادى عشر صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين زباله أحد أمراء الأتوف إلى الديار المصرية مكرما ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم ، وجاء البريد أيضاً ومعه التواقيع التى كانت بأيدي ناس كثير ، زيادات على الجامع ، ردت إليهم وأقروا على ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع صاحب تقي الدين بن مراجل قد سعى برفع ما يزيد بعد التذكرة التى كانت فى أيام صرغتمش ، فلم يف ذلك ، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضى قضاء الشام الشافعى من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة ، وخرج القضاة والأعيان لتوديعه ، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضى القضاة تاج الدين قد لبس خلمة القضاء بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر ، وذكر لنا أن أخاه كاره للشام . وأنشدنى القاضى صلاح الدين الصفدى ليلة الجمعة رابع عشره لنفسه فيما عكس عن المتنبي فى يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتادَ القى خوضَ المنايا • فأيسرُ ما يمرُّ بهِ الوصولُ
وقال دخولُ دمشقُ يكسبنا فحولا • كأنَّ لها دخولا فى البرايا
إذا اعتادَ الغريبُ الخوضَ فيها • فأيسرُ ما يمرُّ بهِ المنايا
وهذا شعر قوى ، وعكس جلى ، لفظاً ومعنى .

وفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمراستان الدقاقى جوار الجامع ، بسبب تكامل تجديد قريب السقف مبني بالابن ، حتى قناطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل فى أعاليه قريات كبار مضيئة ، وفتق فى قبلته إوانا حسنا زاد فى أعماقه أضفاف ما كان ، وبيضه جميعه بالجص الحسن الملبح ، وجددت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جدد ، وأشياء حسنة ، فأنابه الله وأحسن جزاءه أمين ، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهده من المهارات ، وأخبره بما كانت عليه حاله قبل هذه المهارة ، فاستجاد ذلك من صنيع الناظر .

وفى أول ربيع الآخر قدم قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشره فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى دار الأمير على بالقصاعين فسلم عليه ، ثم جاء إلى العادلية قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخواص والعام يسلمون عليه ويهنونه بالمود ، وهو يتودد ويترحب بهم . ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس عشره لبس الخلمة بدار السعادة ثم جاء فى أبهة هائلة لابسا إلى العادلية فقرأ تقليده بها بحضوره

القضاة والأعيان وهنأه الناس والشعراء والمداح .

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت حسين بن الملك الناصر ، ولم يكن بقي من بنيه لصلبه سواء ، وفرح بذلك كثير من الأمراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حدة وارتكاب أمور منكرة . وأخبر بموت القاضي فخر الدين سليمان بن القاضي عماد الدين بن الشيرجى ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلد حسبة دمشق عوضاً عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوماً وثانياً وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فنألم والده بسبب ذلك تألماً عظيماً ، وعزاء الناس فيه ، ووجدته صابراً محتسباً بما كيا مسترجعاً موحماً انتهى .

بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم

مع ولاية سعد الدين ملجد بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظار الدولوين قبله ، وفرح الناس بولاية هنا وقدموه ، وبمزل الاول وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً ، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهمين وربع درهم ، وقد نودى بذلك في البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، والله الحمد والمنة ، وتضاعفت أذعيتهم لمن كان السبب في ذلك ، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس ، ويأخذ الديوان نظائراً ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقول بتجائر متعددة ، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في الشتر أضعاف ما أطلق من المكس ، والله الحمد والمنة . ثم قرىء على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفي يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الثاني من سنة ١٠٠٠ هـ حضر القاضي بشار السعادة بسبب خافاه العاوايس ، فانه جاء في جملة منهم يتظلمون من كاتب السر الذي هو شيخ الشيوخ ، وقد تكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم ، فتكلم الصفي المذكور بكلام فيه غاظ ، فبطح ليضرب فشفع فيه ، ثم تكلم فشفع فيه ، ثم بطح الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاثة .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من سنة ١٠٠٠ هـ حضر قاضي القضاة الشافعي بدارسه ، وحضر درس الناصرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذي أثبتته أخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة ، وأخذ في سورة الفتح ، قرىء عليه من تفسير والده في قوله [إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً] .

وفي مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الامام الكبير صلى على القاضي

قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بمحصر ، جاء إلى دمشق لتلقي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي ، فتم عرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فصلى عليه بالجامع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج ، ثم حملوا به إلى سفح جبل قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين ، وقد حدث وروى شيئا يسيرا رحمه الله .

وفي يوم الأحد قاله قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الاذرعى ، والشيخ زين الدين البارني وآخرون معهم ، فترؤوا بالمدرسة الاقبالية وهم وقاضى قضائهم الشافعي ، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية ، فتمحروا ما ذكره عن قاضيه وما تقومه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمحصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره .

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زباله نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجميل عظيم هائل ، وتلقاه الناس بالشموع في أنشاء الطريق ، وتزل بدار الذهب ، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة ، على عادته ، وهذه ظلت مرة ولها لأنه مشكور السيرة فيها ، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة .

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكتاب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين ، فتضاعفت الأدعية لولى الأمر ، ولما كان السبب في ذلك .

غريبة من الغرائب وعجيبه من العجائب

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا ، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخليل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب ، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالسكك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جمعا متعددة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة فجاء باب الاسطبل السلطاني ، وهذا أمر لم يمهده مثله ولا رأيته قط في مدة عمرى ، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة ، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفى الصدر فخر الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخى بعد العشاء الآخرة ، وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، ودفن بالسفح . وفي صبيحة هذا اليوم توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوى الحنفى ، خطيب جامع يلبغا ، وصلى عليه عقيب صلاة الظهر أيضا ، ودفن بالصوفية ، وقد باشر عروضة الخطابة والامامة

قاضى القضاة كمال الدين الكفرى الحنفى . وفى عصر هذا اليوم توفى القاضى علاء الدين بن القاضى شرف الدين بن القاضى شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي ، أحد موقعى الدست بدمشق ، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالسفح .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضى القضاة جمال الدين الكفرى الحنفى بجامع يلبغا عوضا عن الشيخ ناصر الدين بن القونوى رحمه الله تعالى ، وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشتمر ، وصلى معه قاضى القضاة تاج الدين الشافعى بالشباك الغربى القبلى منه ، وحضر خلق من الامراء والاعيان ، وكان يوما مشهودا ، وخطب ابن نباتة بأداء حسن وفصاحة بليغة ، هذا مع علم أن كل مركب صعب . وفى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضى الحنبلى إلى الديار المصرية بعلمب الامير سيف الدين يلبغا فى كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستعته فى القدوم عليه .

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر رجب سقط اثنان سكارى من سطح بحارة اليهود ، أحدهما مسلم والآخر يهودى ، فمات المسلم من ساعته واقلمت عين اليهودى وانكسرت يده لعنه الله ، وحمل إلى نائب السلطنة فلم يجر جوابا .

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل بعد ما قارب غرة لما بلغه من الوفاء بالديار المصرية فعاد إلى القدس الشريف ، ثم رجع إلى وطنه فأصاب السنة ، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوفاء والطاعون بمصر ، وأنه يضبط من أهلها فى النهار نحو الألف ، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كولد قاضى القضاة تاج الدين المناوى ، وكتاب الحكم ابن الفرات ، وأهل بيته أجمعين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وجاء الخبر فى أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكى المصرى بمصر ، وهو شاب لم يستكمل العشرين ، وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ، ففقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه عمه قاضى القضاة تاج الدين السبكى قاضى الشافعية بدمشق ، وجاء الخبر بموت قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الرباجى المالكي ، كان بحلب ولها مرتين ثم عزل فقصده مصر واستوطنها مدة لينتمكن من السعى فى العودة فأدركته منيته فى هذه السنة من الفناء وولدان له معه أيضا . وفى يوم السبت سباسبان توجه نائب السلطنة فى صحبة جمهور الامراء إلى فاحية تدمر لأجل الأعراب من أمحاب خيار بن مهنا ، ومن التفت عليه منهم ، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيرا من أشجارها ، ورعوها وانهبوا شيئا كثيرا ، وخرجوا من الطاعة ، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاهم والحيولة عليهم ، فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا ،

لطردهم عن تلك الناحية ، وفي صحبتهم الأمير حمزة ابن الخياط ، أحد أمراء الطبلخانات ، وقد كان حاجبا لخيار قبل ذلك ، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير بلبغا الخالصكي ، ووعدته إن هو أمره وكبره أن يظفروه بخيبار وأن يأتيه برأسه ، ففعل معه ذلك ، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى خيار وأصحابه ، فساروا كما ذكرنا ، فوصلوا إلى تدمر ، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يمينا وشمالا ، ولم يواجهوه هيبة له ، ولكنهم يتحرفون على حمزة بن الخياط ، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأمسروا آخرين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين

« شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان »

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة - أعنى سنة أربع وستين وسبعمائة - قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومسك واعتقل . وبويع للملك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدقت البشار بالقلعة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة . وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبويع لذلك ، وقد وقع رعد في هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غدرانا في الطرقات ، وذلك في خامس حزيران ، فتمعجب الناس من ذلك ، هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان ، فتزايد وجمهوره في اليهود ، وقد وصلوا إلى الحسين في كل يوم وبالله المستعان .

وفي يوم الاثنين سابعه اشهر الظهر عن الجيش بأن الأعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة واقفوم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدما إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد . جعله الله مباركا على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوأ حال وذلة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية يردم إلى المسكر الذي مع نائب السلطنة على تدمر ، متوعدين بأنواع العقوبات ، وقطع الاقطاعات . وفي شهر رمضان تفانم الحال بسبب الطاعون فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجمهوره في اليهود لعله قد فقد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرني بذلك القاضي صلاح الدين الصفدي وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جدًّا ، وعدة العدة من المسلمين والذمة بالثمانين .

وفي يوم السبت حادى عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين محمد ابن

الرفاق المعروف بابن الجوجي ، وعلى الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر الليثي ، تفرد في صناعته وجمع تاريخاً مفيداً نحواً من عشر مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه ، انتهى .

وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة ومباشرة تاج الدين بعده

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فصلى بالناس بالحراب صلاة العصر قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافعي عوضاً عنه ، وصلى بالناس الصبح أيضاً ، وقرأ بآخر المائدة من قوله [يوم يجمع الله الرسل] ثم لما طلعت الشمس وزال وقت الكراهة صلى على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع في الجامع كثيراً ، وخرج بجنازته من باب البريد ، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير ، ونال قاضى القضاة الشافعي من بعض الجهلة إساءة أدب ، فأخذ منهم جماعة وأدبوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا باشر الظهر والعصر في بقية الأيام ، يأتي للجامع في محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهاباً وإياباً ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين بن قاضى القضاة ، و [منع] تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتي التشريف .

وفي يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله البعلبكي ، المعروف بابن النقيب ، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجارها ، وكان بارعاً في القراءات والنحو والتصريف والعربية ، وله يد في الفقه وغير ذلك ، وولي مكانه مشيخة الاقراء بأم الصالح شمس الدين محمد بن اللبان ، وبالترتبة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار ، وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربته إلى [أولاد] مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال .

وفي ليلة الأحد عشره توفي الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودفن بالصوفية ، وقد كذب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئين من المجلدات .

وفي يوم السبت عشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضى القضاة تاج الدين السبكي بالجامع الأموي ، وكاتب نائب السلطنة في ذلك .

وفي يوم الأحد حادى عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق وأمر بالمسير إلى نيابة صفد فأنزل أهله بدار طيغنا حجى من الشرق الأعلى ، وبرز هو إلى سطح

الارزة ذاهبا إلى ناحية صفد . وخرج المحمل محبة الحبيب وهم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال توفى القاضى أمين الدين أبو حيان ابن أخى قاضى القضاة تاج الدين المسلاتى المالكى وزوج ابنته ونائبه فى الحكم مطلقا وفى القضاء والتدريس فى غيبته ، فاجلته المنية .

ومن غريب ما وقع فى أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبي (ص) عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقى ، فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عن يرويه . وفى يوم الجمعة سابع شهر ذى القعدة خطب بجامع دمشق قاضى القضاة تاج الدين السبكى خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا ، وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم ينكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته ، واستمر يخطب هو بنفسه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره توفى صاحب تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر الجامع الأموى وغيره ، وقد يأسر نظر الجامع فى أيام تنكز ، وعمر الجانب الغربى من الحائط القبلى ، وكل رخامه كله ، وفتح محرابا للحنفية فى الحائط القبلى ، ومحرابا للحنابلة فيه أيضا فى غربيه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وتأنت له حمة وينسب إلى أمانة وصرامة ومباشرة مشكورة مشهورة ، ودفن بتربة أنشأها تجاه داره بالقيبيات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره توفى الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الأخيصى المصرى ، إمام مسجد درب الحجر ، وصلى عليه بعد العصر بالجامع الأموى ، ودفن بقصر ابن الخلاج عند الطيورين بزواية لبعض الفقراء الخزانة هناك ، وقد كان له يد فى أصول الفقه ، وصنف فى الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة ، انتهى .

دخول نائب السلطنة منكلى بغا

فى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة دخل نائب السلطنة منكلى بغا من حلب إلى دمشق نائباً عليها فى تحمل هائل ، ولكنه مستمرض فى بدنه بسبب ما كان ناله من التعب فى مصابة الأعراب ، فنزل دار السادة على الدادة . وفى يوم الاثنين مسهل ذى الحجة خلع على قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافعى للخطابة بجامع دمشق ، واستمر على ما كان عليه يخطب بنفسه كل جمعة وفى يوم الثلاثاء ثمانية قدم القاضى فتح الدين بن الشهيد ولبس الخلعة وراح الناس لتهنئته

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السيساطية، وحضر عنده القضاة والاعيان بعد الظهر، وخام عليه لذلك أيضاً، وحضر فيها من الغد على العادة، وخام في هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوى وعلى الشيخ شهاب الدين الزهرى بفتيا دار العدل. انتهى. ثم دخلت سنة خمس وستين وسبع مائة

استهلّت هذه السنة واصلطان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدى حسين بن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى، وهو فى عمر عشر سنين، ومدير الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين بلبغا الخصاصكى، وقضاة مصرهم المذكورون فى السنة التى قبلها، ووزيرها نجر الدين بن قزوينه، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى، وهو مشكور السيرة، وقضاةهم المذكورون فى السنة التى قبلها، ونظر الدواوين بها صاحب عهد الدين ماجد، ونظر الجيش علم الدين داود، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الرهاوى.

استهلّت هذه السنة وداء الفناء موجود فى الناس، إلا أنه خف وقل والله الحمد. وفى يوم السبت توجه قاضى القضاة - وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكى - إلى الديار المصرية مطلوباً من جهة الأمير بلبغا وفى الكتاب إجابته له إلى مسائل، وتوجه بهده قاضى القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطبها يوم الاثنين الرابع عشر من المحرم، على خيل البريد، وتوجه بعدها الشيخ شرف الدين ابن قاضى الجبل الحنبلى، مطلوباً إلى الديار المصرية، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنفلوطى مطلوباً.

وتوفى فى الشهر الأوسط من المحرم صاحبنا الشيخ فخر الدين بن العطار الشافعى، كان لديه فضيلة واشتغال، وله فهم، وعلم بقطر فوائده جيدة، وكان إماماً بالسمجن من مشهد على بن الحسين بجامع دمشق، ومصدراً بالجامع، وفقها بالمدارس، وله مدرسة الحديث الوادعية، وجاوز الحدين بسنوات، ولم يتزوج قط. وقدم الركب الشامى إلى دمشق فى اليوم الرابع والعشرين من المحرم، وهم شاكرون مشنون فى كل خير بهذه السنة أمنا ورخصاً والله الحمد.

وفى يوم الأحد حادى عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل بن خليفة الشافعى، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء، وأخذ فى قوله تعالى [إن عدة الشهور عند الله اثنتى عشر شهراً].

وفى يوم الخميس خامس عشره نودى فى البلاد على أهل القدة بالزامهم بالصغار وتصغير العلم، وأن لا يستخدموا فى شيء من الأعمال، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال، ويركبون الحمير بالأكف بالمرض، وأن يكون فى رقابهم ورقاب نسايتهم فى الحمامات أجراس، وأن يكون أحد النعلين أسود

مخالفاً لكون الاخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعوا للأمر بذلك .

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاء والخطابة ، فلقاه الناس وهناك بالود والسلامة . وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي صاحب الهندى الخلع لِنظر الدواوين بدمشق ، وهناك الناس ، وباشترى بصرامة واستعمل في غالب الجهات من أبناء السبيل .

وفي يوم الاثنين حادى عشره ركب قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح دلى خيل البريد إلى الديار المصرية لتولية قضاء قضاء الشافعية بدمشق ، عن رضا من خاله قاضي القضاة تاج الدين ، ونزوله عن ذلك .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التي ظهر باب الفرج دلى الجسر ، ونزل حجارة الباب شوه من حريقها فاقسمت ، وقد حضر طينها نائب السلطنة والمجاوب الكبير ، ونائب القامة والولاء وغيرهم . وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك في أوائل كانون الثاني ، وركب الماء سوق الخيل بكمله ، ووصل إلى ظاهر باب للفراديس ، وتلك النواحي ، وكمر جسر الخشب الذي عند جامع يلبناء وجاء فهدم به جسر الزلاوية فكسره أيضاً .

وفي يوم الخميس ثاني عشره صرف حاجب الحجاب قارى عن المباشرة بدار السعادة ، وأخذت القضاة وزيدته وانصرف إلى داره في أهل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يقتات على الأحكام الشرعية .

وفي أواخره اشتهر موت القاضى تاج الدين المناوى بديار مصر وولاية قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء السبكي مكانه بقضاء المساكين بها ، ووكلة السلطان أيضاً ، ورتب له مع ذلك كفايته . وتولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقيني إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد بن قاضي القضاة السبكي بالشام ، وقد ولى هو أيضاً القضاء بالشام كما تقدم ، ثم عاد إلى مصر ، وقرأ مكرماً وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك ولوا مع البلقيني إفتاء دار العدل الحنفى [شيخنا] يقتل له الشيخ شمس الدين بن الصائغ ، وهو مفتى حنفى أيضاً .

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد بن الشيخ أبي بكر قروام براؤيتهم بسفح جبل قاصيون ، وغدا الناس إلى جنازته ، وقد كان من العلماء الفضلاء المتهمة بمذهب الشافعى ، درس بالناصرية البهرانية مدة سنين بعد أبيه ، وبالباط الدويدارى داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النجيبية ، وكان يحب السنة ويفهمها جيداً رحمه الله .

وفي مسهل جمادى الأولى ولى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى مشيخة دار الحديث بالمدرسة التى فتحت بدرب القلبي ، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبد الله بن محمد بن عيسى الزمى ، الذى كان أستاذاً للأمير طاز ، وجعل فيها درساً للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ رمان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس ، ثم جرت أمور بطول بسطها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم وماله كيف شهد فى أصل الكتاب - المحضر - الذى أثبتوا عليهم ، فاضطربوا فى الشهادات فضبط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا به فى أصل المحضر ، وشنع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبیت طاز على جمال الدين الزمى الواقف ، وطلب من القاضى المال حتى أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلى ، فتوقف فى ذلك . وفى يوم الاثنين الحادى والعشرين منه ، قرىء كتاب السلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفى شهر جمادى الآخرة توفى الشيخ فحمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويعرف بالبيرى يوم الخميس ثمانه ، صلى عليه بالجامع المظفرى بعد العصر ودفن بالسفح وقد قارب الثمانين . وفى الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتيين ، وطلبت فحضرت معهم بسبب المدرسة التدمرية وقرابة الواقف ودعواهم أنه وقف عليهم الثالث ، فوقف الحنبلى فى أمرهم ودافعهم عن ذلك أشد الدفاع .

وفى العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منتشر ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتفاقم الأمر بسببه ، وسد الأرض كثرة وعاث يمينا وشمالا ، وأفسد شيئا كثيراً من الكروم والمقائى والزروع النفيسة ، وأتلف للناس شيئا كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كيسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه لينفرج الناس به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتي سنة

وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان ، وشرع الصناعات فى فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة فى ذلك ، واستهل رمضان وهم فى العمل فيه .

وفى العشر الأخير من شعبان توفى الشريف فحمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المحدث المحصل ، المؤلف لأشياء مهمة ، وفى الحديث قرأ وسمع وجمع وكتب أسماء رجال

بمسند الامام أحمد، واختصر كتاباً في أسماء الرجال مفيداً، وولى مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما، وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان.

ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارىء البخارى عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشريشى، وهما تراءى على رؤس الاشهاد بسبب لفظة «يبتز» بمعنى يدخر، وفي نسخة يتير، فحكي ابن السراج عن الحافظ المزي أن الصواب «يبتز» من قول العرب عزب، وصدق في ذلك، فكان منازعه خطأ ابن المزي، فانتصر الآخر للحافظ المزي، فقاد منه بالقول ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكان ابن السراج لم يلتفت إليه، وتدفقوا إلى القاضي الشافعي فانتصر للحافظ المزي، وجرت أمور، ثم اصطالحوا غير مرة وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطلقت تلك الشرور.

وكثر الموت في أثناء شهر رمضان وقاربت العدة مائة، وربما تجاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فانا لله وإنا إليه راجعون. وكثر الجراد في البساتين وعظم الخطب بسببه، وأتلف شيئا كثيراً من الفلات والثمار والخضراوات، وغلت الأسعار وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار، والرز بأزيد من ذلك وتكامل فتح باب كيسان ومحوه الباب القبلى، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالنجارى لأجل عمل الباسورة جنبيه، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، وانكشف دخلهم وأمن الناس من دخنهم وغشهم ومكرهم وخبثهم، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك.

واسهل شوال والجراد قد أتلف شيئا كثيراً من البلاد، ورعى الخضراوات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء وكثر الضجيج والبكاء، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء، فلان مات. وقد تناقص الفناء في هذه المدة وقل الوقع وتناقص الخمسين. وفي شهر ذى القعدة تقاصر الفناء والله الحمد، ونزل العدد إلى العشرين فما حولها، وفي رابعه دخل بالليل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزل في الميدان الأخضر قريباً من القصر الأبلق، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعه صلى على الشيخ جمال الدين عبد الصمد بن خليل البغدادي، المعروف بابن الخضري، محدث بغداد وواعظها، كان من أهل السنة والجماعة رحمه الله انتهى.

تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق منذ فتوح الشام

اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة

بالجامع الذى جدد بناءه نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، بدرب البلاغة قبلى مسجد درب الحجر ، داخل باب كيسان المجدد فتحد ، فى هذا الحين كما تقدم ، وهو معروف عند العامة بمسجد الشاذورى ، وإنما هو فى تاريخ ابن عساكر مسجد الشاذورى ، وكان المسجد رث الهيئة قد تقدم عهده مدة دهر ، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليلا ، فوسمه من قبله وسقوه جديدا ، وجعل له صرحا شمالية مبطنة ، ورواقت على هيئة الجوامع ، والداخل بأوابه على المادة ، ودخل ذلك رواق كبير له جناحان شرقى وغربى ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديما كنيسة فأخذت منهم قبل الحسماء ، وعملت مسجدا ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كل كما ذكرنا وسبق إليه الماء من القنوات ، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك ، فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكشف الناس عنده من قضاء وأعيان وخاسة وعامة ، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفى ، ومدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموى ، فلما أذن الأذان الأول تعذر عليه الخروج من بيت الخطابة ، فبإلحاح عرض له ، وقيل لغير ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب الناس يومئذ قاضى القضاة جمال الدين الحنفى الكفرى ، خدمة لنائب السلطنة .

واستهل شهر ذى الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق وله الحد والمئة . وأهل البلد بموتون على العادة ولا يمرض أحد بتلك العلة ، ولكن المرض المعتاد ، انتهى .

ثم دخلت سنة ست وستين وسبع مائة

استلمت هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والدولة بمصر والشام هم هم ، ودخل الحمل السلطاني صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه ، وذكروا أنهم نالهم فى الرجعة شدة شديدة من الغلاء وموت الجبال وهرب الجمالين ، وقدم مع الركب من خارج من الديار المصرية قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خالده تاج الدين بحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده .

وفى شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قرينتين من وادى التيم وهم مشعرا وتلبنتانا ، وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلهما مفسدان فى الأرض ، والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقى إليهما إلا فارس فارس ، فخر بتا وعمر بدلها فى أسفل الوادى ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرنى الملك صلاح الدين ابن الكامل أن بلدة تلبنتانا عمل فيها ألف فارس ، ونقل نقضها إلى أسفل الوادى خمسمائة حمار عدة أيام .

وفى يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلى على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن قاضى

القضاة شرف الدين أحمد بن أفضى القضاة بن الحسين المزي الحنفى ، وكانت وقاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، ولى قضاء قضاء الحنفية ، وخطب بجامع يلبغا ، وأحضر مشيخة النفيسية ، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كيسان بحضرة نائب السلطنة .

وفى صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر بن القاضى عبد الحى بن إدريس الحنبلى محتسب بغداد ، وقاضى الحنابلة بها ، فتمصبت عليه الروافض حتى ضرب بين يدي الوزارة ضرباً مبرحاً ، كان سبب موته سرهما رحمه الله ، وكان من القائمين بالحق الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبل بالرحمة تراه .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسية الشيخ قحس الدين بن سند ، وحضر عنده قاضى القضاة تاج الدين وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أسنده عن قاضى القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تاج الدين إلى هناك ، فسير أهله قبله على الجمال ، وخرجوا يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم لزيارة أهاليهم هناك ، فأقام هو بمدم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة وركب على البريد . وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على البريد وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسلام عليه ونهته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

قتل الراضى الحبيث

وفى يوم الخميس سابع عشره أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى ، وهو يسب الشيخين ويصرح بلمنهما ، فرفع إلى القاضى المالكي قاضى القضاة جمال الدين المسلاى فاستنابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله على ولى الله ، ولما ضرب الثانية لمن أبابكر وعمر ، فاتهمه العامة فأوسعوه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك ، فجعل القاضى يستكفهم عنه فلم يستمع ذلك ، فجعل الراضى يسب ويلعن الصحابة ، وقال : كانوا على الضلال ، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطنة وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة ، فعند ذلك حكم عليه القاضى بآراقة دمه ، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبعة الله ، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبى عمر ، ثم ظهر عليه الرضى فسجنه الحنبلى أربعين يوماً ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرح فى كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر منذهب فى الجامع ، وكان سبب قتله قبعة الله كما قبح من كان قبله ، وقتل بقتله فى سنة خمس وخمسين .

استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي

وفي آخر هذا اليوم - أعني يوم الخميس ثامن عشره - حكم أفضى القضاة ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البقاء بالمدرسة المادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين مع استنابة أفضى القضاة شمس الدين العزى ، وأفضى القضاة بدر الدين بن وهيب ، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستقلاً مع قاضي القضاة تاج الدين .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين منه استحضر نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن العاوى متولى البلد ونقم عليه أشياء ، وأمر بغيره فضر ب بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمبرح ، ثم عزله واستدعى بالأمير علم الدين سليمان أحد الأمراء المشراوات ابن الأمير صفى الدين بن أبي القاسم البعراوى ، أحد أمراء الطبائخانات ، كان قد ولى شد الدواوين ونظر القدس والخليل وغير ذلك من الولايات الكبار ، وهو ابن الشيخ نضر الدين عثمان بن الشيخ صفى الدين أبي القلا التميمي الحنفى . وبأيديهم تدريس الأمانة التي ببصرى والحكيمية أزيد من مائة سنة ، فولاه البلد على تكريمه منه ، فألزمه بها وخلع عليه ، وقد كان ولها قبل ذلك فأحسن السيرة وشكر صفيه لديانته وأمانته وعفته ، وفرح الناس والله الحمد .

ولاية قاضي القضاة بهاء الدين السبكي قضاء مصر بعد عزل

عز الدين بن جماعة نفسه

ورد الخبر مع البريد من الديار المصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الاثنين السادس عشر من هذا الشهر ، وصمم على ذلك ، فبعث الأمير الكبير يلغا إليه الأمر استرضونه فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فتلطفوا به فلم يقبل وصمم على الانعزال ، فقال له الأمير الكبير: فمين لنا من يصلح بمذك . قال ولا أقول لكم شيئاً غير أنه لا يتولى رجل واحد ، ثم ولوا من شئتم ، فأخبرني قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه قال لا تولوا ابن عقيل ، فمين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أبا البقاء فقيل إنه أظهر الامتناع ، ثم قبل ولبس الخلع وبات يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، قاضي القضاة الشيخ بهاء الدين بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي قضاء المساكم الذي كان بيد أبي البقاء .

وفي يوم الاثنين سابع وجب توفي الشيخ على المراوحى خادماً الشيخ أسد المراوحى البغدادي . وكان فيه مروءة كثيرة وبأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ويدخل على النواب ويرسل إلى الولاة

فنتقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى المحاييج ، وبيده مال جيد يتجرله فيه
تعمال مدة طويلة ثم كانت وفاته في هذا اليوم فعلى عليه الظاهر بالجامع ، ثم حل إلى سفح قاسيون رحمه الله .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان
نائب الشام فنزل بداره عند مأذنة فيروز ، وذهب الناس للسلام عليه بعد ما سلم على نائب السلطنة
بدار السعادة ، وقد رسم له بعلباختين وتقدمة ألف وولاية الولاية من غزوة إلى أقصى بلاد الشام ،
وأكرمه ملك الأمراء إكراما زائداً ، وفرحت العامة بذلك فرحاً شديداً بعوده إلى الولاية . وختمت
البخاريات بالجامع الأموي وذخيره في عدة أماكن من ذلك سنة مواعيد تقرأ على الشيخ حماد الدين
ابن كثير في اليوم ، أولها بمسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ، ثم تحت المنبر ، ثم بالمدرسة
النورية ، وبعد الظهر بجامع تنكز ، ثم بالمدرسة العزية ، ثم بالكوشك لأُم الزوجة الست أمماء بنت
الوزير ابن السلجوس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير على محلة القضاعين
إلى قريب الغروب ، ويقرأ صحيح مسلم بحراب الحنابلة داخل باب الزيارة بعد قبة المنبر وقبل
النورية ، والله المستول وهو إمام الميسر المسهل . وقد قرئ في هذه الهيئة في عدة أماكن آخر من
دور الأمراء وذخيرهم ، ولم يهد مثل هذا في السنين الماضية ، فله الحمد والمنة .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال توفي الشيخ نور الدين علي بن أبي الهيجاء السكري الشوبكي ،
ثم الدمشقي الشافعي ، كان ممناً في المقرئ والكتاب ، وختمت أنا وهو في سنة إحدى عشرة ، ونشأ
في صيانة ودفاف ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيجان السبع ، ولم يكمل عليه ختمه ، واشتغل
في المنهاج للنواوي قرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضر ، وكان خفيف الروح
تعبه الناس لذلك ويرغبون في عشرته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المشابهة في القرآن استحضاراً
حسناً متقناً كثير التلاوة له ، حسن الصلاة يقوم الليل ، وقرأ على صحيح البخاري بمشهد ابن هشام
عدة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جهورياً فصيح العبارة ، ثم ولي مشيخة الحلبية بالجامع وقرأ في
عدة كراسي بالمناط الشمالي ، وكان مقبولا عند الخاصة والعامة ، وكان يداوم على قيام العشر الأخير
في محراب الصحابة مع عدة قراء يبيتون فيه ويحيون الليل ، ولما كان في هذه السنة أحياء ليلة العيد
وحده بالحراب المذكور ثم مرض خمسة أيام ، ثم مات بعد الظهر يوم الثلاثاء عاشر شوال بدرب العميد ،
وصلى عليه بالمعبر بالجامع الأموي ، ودفن بمقابر الباب الصغير عند والده في تربة لهم ، وكانت جنازته
حافلة وناسف الناس حليه ، رحمه الله وبل بالرحمة ثراه ، وقد قارب خمسين سنة ، وترك بنتاً سباعية
اسمها عائشة ، وقد أقرأها شيئاً من القرآن إلى تبارك ، وحفظها الأربعين النواوية جبرها ربها
ورحم أبها آمين .

وخرج المحمل الشامي والحجيج يوم الخميس ثاني عشرة ، وأميرهم الأمير علاء الدين علي بن علم الدين الحلالي ، أحد أمراء الطليخانات .

وتوفي الشيخ عبد الله الماطي يوم السبت رابع عشرة ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة في الجامع الأموي ، له أشياء كثيرة من الطرايح والآلات الفخرية ، ويلبس على طريقة الحربية وشكله مزعج ، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهه طبعاً وشرعاً أيضاً .

وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قاقم ماء من عين هناك من خاصيته أنه يقبه طير يسمى السممر أصفر الريش قريب من شكل الخفاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذي هو فيه أنه يفنيه ويأكله أكلا سريعاً ، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفي المنتصف من ذي الحجة كمل بناء القيسارية التي كانت ممعلاً بالقرب من دار الحجارة ، قبلي سوق الدهشة الذي للرجال ، وفتحت وأكرمت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء فاطر الجامع المعمور رحمه الله ، وأخبرني الصدر عز الدين الصيرفي المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قريب ثلاثين ألف درهم انتهى .

طرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب

وفي أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدي والمجلوب أيضاً ، ونودي بذلك في البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً وفقه الحمد والمنة . ثم دخلت سنة سبع وستين وسبع مائة

استقامت وسلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأتابك المساكن ومدبر ممالك الأمير سيف الدين يلبغا الخاضعي ، وقاضي قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكي ، وبقية القضاة هم المذكورون في السنة الماضية ، وقائب دمشق الأمير سيف الدين منجلي بغا ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها سوى الخنفي فإنه الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ، وكاتب السرو شيخ الشيوخ القاضي فتح الدين بن الشهيد ، وكبير بيت المال الشيخ جمال الدين بن الزهاوي . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة بعد العصر قريب الغروب ، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لغيبة النائب في السرحة مما يمل فاحية الفرات ، ليكون كارد لتجريدة التي تعينت لتخريب الكيسات التي هي إقطاع خيار بن مهنا من زمن السلطان أويس ملك العراق انتهى .

استيلاء الفرنج لعنهم الله على الاسكندرية

وفي العشر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق وأودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة ، واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الاسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها ، وسيلاني تفصيل أمرها في الشهر الآتي ، فانه وضع لنا فيه ، ومكث القوم بعد الاسكندرية بأيام فيما بلغنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قدراً ، وقتلوا من أهلها خلقاً وغنموا شيئاً كثيراً واستقرت عليها يدماميه ملكاً عليها . وفي يوم الجمعة سلب هذا الشهر توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ببستانه بالمزة ، ونقل إلى عند والده بمقابر باب الصغير ، فصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع جراح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان وخلق من التجار والعامّة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعاً فاضلاً في النحو والفقه وفنون أخرى على طريقة والده رحمه الله تعالى ، وكان مدرساً بالصدريّة والتدمرية ، وله تصدير بالجامع ، وخطابة بجامع ابن صلحان ، وترك مالاً جزيلًا يقارب المائة ألف درهم . انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم - يوم الجمعة مسنهل هذا الشهر - الكواكب السبعة سوى المریخ في برج المقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متطابقة ، فلما المریخ فانه كان قد سبق إلى برج القوس فيه ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الاسكندرية من الفرنج لعنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها قائماً ولا جيشاً ، ولا حافظاً للبحر ولا فامراً ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعد ما حرقوا أبواباً كبيرة منها ، وعاثوا في أهلها فساداً ، يقتلون الرجال يأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنها ، وقد أسروا خلقاً كثيراً يتأومون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك ، لا يحصى ولا يوصف ، وقدم السلطان والأمير الكبير يلقيان ظهر يوهن ، وقد تفارط الحال ونحولت الغنائم كلها إلى الشواش بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ، فاقطع الأكباد ، وذرفت له الميرون وأسم الأسماع ، فانا لله وإنا إليه راجعون ولما بانفت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جداً ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر فنبأكي [الناس] كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى

نائب السلطنة بمسك النصارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربيع أموالهم لمارة ماخرب من الاسكندرية ، ولمارة مراكب لغزو الفرنج ، فأهانوا النصارى وطلبوا من بيوتهم بمنزلة وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا مايراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تسكن هذه الحركة شرعية ، ولا يجوز اعتمادها شرعاً ، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كثيراً ، ورأيت أنه كامل الرأي والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لا يجوز اعتماده في النصارى ، فقال إن بعض فقهاء مصر أفقئ للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لا يسوغ شرعاً ، ولا يجوز لأحد أن يفتي بهذا ، وحق كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالقلعة والصغار ، وأحكام الملة قائمة ، لا يجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد - الفرد - فوق ما يبدلونه من الجزية ، ومثل هذا لا ينبغي على الأمير فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكن أن أخالفه ؟ وذكر له أشياء كثيرة مما ينبغي اعتماده في حق أهل قبرص من الازهاق ووعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل مايتوعد به ، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام : « ائتوني بالسكين أشقه نصفين » كما هو الحديث مبسوط في الصحيحين ، فجعل يهجه هذا جداً ، وذكر أن هذا كان في قلبه وأنى كشفته بهذا ، وأنه كتب به مطالعة إلى الديار المصرية ، وسيأتى جوابها بعد عشرة أيام ، فتجئ حتى تقف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله . ثم اجتمعت به في دار السعادة في أوائل شهر ربيع الأول فبشرني أنه قد رسم بعمل الشوائى والمراكب لغزو الفرنج والله الحمد والمنة . ثم في صبيعة يوم الأحد طلب النصارى الذين اجتمعوا في كنيسهم إلى بين يديه وهم قريب من أربع مائة لغافهم كم أموالهم وألزمهم بأداء الربع من أموالهم ، فأنا لله وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاية بأحضرهم في معاملتهم ، وإلى البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجردت لمرأى إلى النواحي لاستخلاص الأموال من النصارى في القدس وغير ذلك .

وفي أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضى القضاة تقي الدين السبكي الشافعى إلى القاهرة . وفي يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السعادة وسألته عن جواب المطالعة ، فذكر لي أنه جاء المرسوم الشريف الساطع بعمل الشوائى والمراكب لغزو قبرص ، وقتال الفرنج والله الحمد والمنة . وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والشاربين من دمشق إلى الغابة التى بالقرب من بيروت ، وأن يشرع في عمل الشوائى في آخر يوم من هذا الشهر ، وهو يوم الجمعة . وفتحت دار القرآن التى وقفها الشريف للتعداداتى إلى جانب حمام السكس ، شمال المدرسة البادرائية ، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفها يومية قاضى القضاة تاج الدين السبكي انتهى والله أعلم .

عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب مارى به قاضى القضاة تاج الدين الشافعى ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وكنت ممن طلب إليه ، فحضرته فيمن حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بحضرة نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الابواب الشريفة ، واستنجز كتابا إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متما كان أحدهما له والآخر عليه ، وفي الذى عليه خط القاضين المالكى والحنبلى ، وجماعة آخرين ، وفيه عظام وأشباه منكرة جدا ينبو السمع عن استماعه . وفي الآخر خطوط جماعت من المذاهب بالثناء عليه ، وفيه خطى بأنى مارأيت فيه إلا خيرا . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتحاذوا فيما بينهم ، وتواصل عنه نائبه القاضى قمس الدين الغزى ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما ، وصرح قاضى القضاة جمال الدين الحنبلى بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدائم النفوذ ، فبادر القاضى الغزى فقال للحنبلى : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضى القضاة تاج الدين ، فكثير القول وارتفعت الأصوات وكثر الجدل والمقال ، وتكلم قاضى القضاة جمال الدين المالكى أيضاً بنحو ماقال الحنبلى ، فأجيب بمثل ذلك أيضاً ، وطال المجلس فانفصلوا على مثل ذلك ، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة برجوعى إليه ، فاذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السلطنة بالصالح بينهم وبين قاضى القضاة تاج الدين - يعنى وأن يرجع القاضيان عما قالا - فأشار الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل وأشرت أنا أيضا بذلك فلان المالكى وامتنع الحنبلى ، فقمنا والأمرباق على ما تقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه ففرضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك وسار البريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضا يوم الجمعة بعد الصلاة التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضى الشافعية وهو بمصر ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ما سئذ كره في الشهر الآتى .

وفي مستهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلم داود الذى كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت . فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمعا لأحد قبله كما فى علمى ، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الاقطاعات ، وقد كان والده نائبا لنظار

الجوش ، وكان يهوديا قرائيا ، فأسلم ولده هذا قبل وفاة نفسه بسنوات عشر أو نحوها ، وقد كان ظاهره جيدا والله أعلم بسره وسريته ، وقد تمرض قبل وفاته بشهر أو نحوه ، حتى كانت وفاته في هذا اليوم فصلى عليه بالجامع الأموي تجاه النسر بعد العصر ، ثم حمل إلى تربة له أعدها في بسنانه بجوش ، وله من العمر قريب الحسين .

وفي أوائل هذا الشهر ورد المرسوم الشريف السلطاني بالرد على نساء النصارى ما كان أخذ منهن مع الجباية التي كان تقدم أخذها منهن ، وإن كان الجميع ظلما ، ولكن الأخذ من النساء أخش وأبغ في الظلم ، والله أعلم . وفي يوم الاثنين الخامس عشر منه أمر نائب السلطنة أعزه الله بكبس بساتين أهل الذمة فوجد فيها من الخمر المعتصر من الخوازي والحباب فأريقته عن آخرها والله الحمد والمنة ، بحيث جرت في الازقة والطرقات ، وقاض نهر توزا من ذلك ، وأمر بمصادرة أهل الذمة الذين وجد عندهم ذلك بمال جزيل ، وهم تحت الجباية ، وبعد أيام نودي في البلد بأن نساء أهل الذمة لا تدخل الحمامات مع المسلمات ، بل تدخل حمامات تختص بهن ، ومن دخل من أهل الذمة الرجال مع الرجال المسلمين يكون في رقاب الكفار علامات يعرفون بها من أجراس وخواتيم ونحو ذلك ، وأمر نساء أهل الذمة بأن تلبس المرأة خفيها مخالفين في اللون بأن يكون أحدهما أبيض والاخر أصفر أو نحو ذلك .

ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر - أعني ربيع الآخر - طلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتين : فن ناحية الشافعي نائبه ، وهما القاضي قحس الدين الغزي والقاضي بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني ، والمصنف الشيخ عماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزرعي ، والشيخ آقاي الدين الفارقي . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي والحنبلي ، والشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ جمال الدين ابن الشريشي ، والشيخ عز الدين بن حمزة بن شيخ السلامة الحنبلي ، وعماد الدين الحناني ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التي في صدر إيوان دار السعادة ، وجلس نائب السلطنة في صدر المكان ، وجلسنا حوله ، فكان أول ما قال : كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختصمنا نجى بالعلماء فيصالحون بيننا ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختصموا فن يصلح بينهم ؟ وشرع في تأنيب من شنع على الشافعي بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفاعيل التي كتبت في تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشفي الأعداء بنا ، وأشار بالصلح بين القضاة بعضهم من بعض فصمم بعضهم وامتنع ، وجرى مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحث في مسائل ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما معكم قول الله تعالى (عفا الله عما سلف) فلانت القلوب عند

ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك
انتهى والله أعلم

عودة قاضي القضاة السبكي الى دمشق

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة وقد تلقاه جماعة
من الأعيان إلى الصمين وما فوقها ، فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جدا وقاربها قاضي قضاة
الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج ، فلما أشرف من عقبة شحورا تلقاه خلائق لا يحصون كثرة
وأشعلت الشموع حتى مع النساء ، والناس في سرور عظيم ، فلما كان قريبا من الجسورة تلقته
الخلائق الخلفيين مع الجوامع والمؤذنون يكبرون ، والناس في سرور عظيم ، ولما قارب باب النصر
وقع مطر عظيم والناس معه لا تسمعهم الطرقات ، يدعون له ويفرحون بقدمه ، فدخل دار السعادة
وسلم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه فموج كثيرة ، والرؤساء أكثر من العامة .
ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة وقداستدعى
نائب السلطنة بالقاضيين المالكي والحنبلي ، فأصلح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثتهم يتباشون إلى
الجامع ، فدخلوا دار الخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيفهم الشافعي ، ثم حضرا خطبته الحافلة البليغة
الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوا إلى دار المالكي ، فاجتمعوا هناك وضيفهم المالكي هناك
ما تيسر . والله الموفق للصواب .

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجعل للأمير
من إقطاعه النصف خالصا له ، وفي النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجند ،
وعدل كثير لله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرصوا على السبق والرمى بالنشاب ، وأن يكونوا
مستعدين متى استنفروا نفروا ، فاستعدوا لذلك وتأهبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية . وثبت في الحديث أن
رسول الله (ص) قال على المنبر « ألا إن القوة الرمي » . وفي الحديث الآخر « ارموا واركبوا وأن
ترموا أحب إلي » .

وفي يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضي القضاة جمال الدين
المرداوي الحنبلي بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتمد
كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإثبات إعسارات أيضا
كذلك وغير ذلك انتهى .

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية

وفي العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلبغا الخالصي خرج عليه

جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيغنا الطويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقوا معه هناك ، فقتل جماعة وجرح آخرين ، وانفصل الحال على مسك طيغنا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغون الشعر دى الدويدار ، وخاق من أمراء الأتوف والطباخانات ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يلبغا دلي عزه ونأييده ونصره والله الحمد والمنة . وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان نائب دمشق إلى الديار المصرية بطلب الأمير يلبغا ليؤكد أمره في دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

بما يتعلق بأمر بغداد

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادي أحد رؤساء بغداد وأصحاب التجارات ، والشيخ شهاب الدين المطار - السمسار في الشرب بغدادي أيضا - أن بغداد بعد أن استعادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشي مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد أخو الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشقه ، وأمر بعض الأمراء بقتله ، فأتعصر أهل السنة لذلك نعرة عظيمة ، وأخذ خشبته أهل باب الأزج فأحرقوه وسكنت الأمور وتشفوا بمقتل الشيخ جمال الدين الأنباري الذي قتله الوزير الرافضي فأهلكه الله بدمه سريرا انتهى .

وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعي

وفي الميمر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من المصير المصرية ب وفاة قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة بمكة شرفها الله ، في العاشر من جمادى الآخرة ودفن في الحادي عشر في باب المعلى وذكروا أنه توفي وهو يقرأ القرآن ، وأخبرني صاحب الشيخ محي الدين الوحي حفظه الله تعالى أنه كان يقول كثيرا : أشتهي أن أموت وأنا موزول ، وأن تكون وفاتي بأحد الحرمين ، فأعطاه الله ما تمناه : عزل نفسه في السنة الماضية ، وهاجر إلى مكة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله (ص) ، ثم عاد إلى مكة ، وكانت وفاته بها في الوقت المذكور ، فرحمه الله وبل بالرحمة تراه . وقد كان مولده في سنة أربع وتسعين ، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال العز في الدنيا ورفعة هائلة ، ومناصب وتداريس كبار ، ثم عزل نفسه وتفرغ لعبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ما قلته في بعض المراتي . فكانت قد أعلمت بالموت حتى • تزودت لعمن خيار الزاد .

وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملقب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام يأمرون على أن جعلوه بتركاً بدمشق عوضا عن البترك بأنطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فانه لا تكون البتاركة إلا أربعة مالا سكندرية وبالقدس وبأنطاكية وبرومية ، فقتل بترك

رومية إلى اسطنبول وهي القسطنطينية ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدعوه في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن إنطاكية ، وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجنابة بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية ، وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول وقرأها على من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا . وقد تكلمت معه في دينهم ونصوص ما يعتقد كل من الطوائف الثلاثة ، وهم الملكية واليهودية ومنهم الافرنج والقطب ، والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء ، ولكن حاصله أنه حار من أ كفر الكفار لعنه الله .

وفي هذا الشهر بلغنا استعادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان لبغداد من يد العواشي مرجان الذي كان نائبه عليهما ، وامتنع من طاعة أويس ، فجاء إليه في جحافل كثيرة فهرب مرجان ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر من الديار المصرية على البريد أمير مائة مقدم ألف ، وعلى نيابته يلبغا في جميع دواوينه بدمشق وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعمل المراكب ، فلما قدم أمر بجمع جميع النصارى والنجارين والحدادين وتجهيزهم لبيروت لقطع الأخشاب ، فسروا يوم الأربعاء ثاني رمضان وهو عازم على الإحقاق بهم إلى هناك وبالله المسمان . ثم أتبعوا بآخرين من نجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من وكاب الحجير ينزلونه ويركبوا إلى ناحية البقاع ، وسخروا لهم من الصناعات وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة وتباكي عوائلهم وأطفالهم ، ولم يسألوا شيئا من أجورهم ، وكان من اللائق أن يسلفوه حتى يتركوه إلى أولادهم .

وخطب برهان الدين المقدسي الحنفي بجامع يلبغا عن آق الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صفا استدعى أخى يلبغا ، وشق ذلك عليه وعلى جده وجماعته ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، هذا وحضر عنده خلق كثير .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه قرئ تقليد قاضي القضاة شرف الدين بن قاضي الجبل لقضاء الخنابلة ، عوضا عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوى ، عزل هو والمالكي معه أيضا ، بسبب أمور تقدم نسبتها لهما وقرئ التقليد بحراب الخنابلة ، وحضر عنده الشافعي والحنفي ، وكان المالكي معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنه معزول أيضا برأى قاضي حماة ، وقد وقعت شرور وتخبط بالصالحية وغيرها .

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل المالكي ، قدم من حماة على قضاء المالكية ، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين المسلاتي ، عزل عن المنصب ، وقرئ تقليده بمقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والاعيان .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير خيار بن مهنا إلى دمشق سامعاً مطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطلب البساط ، فأبى خوفاً من المسك والحبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطلح مع الأمير الكبير يلبحا ، فنلقاه الحجة والمهندارية والخلق ، وخرج الناس للفرجة ، فنزل القصر الأبلق ، وقدم معه نائب حماة عمر شاه فنزل معه ، وخرج معه ثاني يوم إلى الديار المصرية . وأقرأني القاضي ولي الدين عبدالله وكيل بيت المال كتاب والده قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدد درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهماً ، وأردب قبح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبي حنيفة لينزلوا في هذا الدرس .

درس التفسير بالجامع الأموي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمائة حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بفارحمه الله تعالى من أوقاف الجامع الذي جردها في حال نظره عليه أنابه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً لكل طالب في الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون وراكاتب الغيبة عشرون ، وللمدرس ثمانون ، وتصدق حين دعوته لحضور الدرس ، فحضر واجتمع القضاة والاعيان ، وأخذ في أول تفسير الفاتحة ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والمعة انتهى . ^(١) قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل المقدسي ، وفاطر الدواوين سمد الدين بن التاج إسحق ، وكتاب السرفتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وفاطر الجيوش الشامية برهان الدين بن الحلبي ، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء . انتهى .

سفر نائب السلطنة الى الديار المصرية

لما كانت ليلة الحادي والعشرين قدم طشتمر دويدار يلبحا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم

(١) كذا بنسخ الاستانة وفي المصرية بياض نصف صفحة من الأصل . وهذا يدل على أن هذا الكلام من تأليف تلميذ ابن كثير ونسقط كلام فيه أول السنة .

ركب هو ونائب السلطنة بعد المشاء الأخيرة في المشاعل ، والحجبة بين أيديهما والخلائق يدعون
لنائبهم ، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمه يلبغا وأنعم عليه وسأله أن يكون
بيلاد حلب ، فأجابه إلى ذلك وعاد فنزل بدار سنجر الاسماعيلي ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد
اجتمعت به هناك وتأسف الناس عليه ، وناب في الغيبة الأمير سيف الدين زباله ، إلى أن قدم
النائب المعز السيفي قشتمر عبده الغني على ما سيأتي . وتوفي القاضي شمس الدين بن منصور الحنفي
الذي كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالباب الصغير ،
وقد قارب الثمانين .

وفي هذا اليوم أو الذي بعده توفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن الوزوارة ناظر الأوقاف
بالصالحية . وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نودي في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن
السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المزة ، وخرج
ملك الأمراء أمير علي كان نائب الشام من داره داخل باب الجابية في جماعته ملبسين في هيئة
حسنة وتجميل هائل ، وولده الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب الغيبة والحجبة إلى
بين يديه إلى وطاقه وشاوروه في الأمر ، فقال : ليس لي هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب
والقتال فلي هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرعين ، وخطب قاضي القضاة تاج الدين الشافعي
بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحرص الناس على الجهاد ، وقد ألبس جماعة من غلمانة اللأمة واخذوا
وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت والله الحمد والمنة . ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى
منازلم وقد ورد الخبر بأن المراكب التي رؤيت في البحر إنمسا هي مراكب تجار لا مراكب قتال ،
فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استعداد عظيم والله الحمد .

وفي ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمر سيف الدين شرشي الذي كان إلى آخر وقت نائب
حلب محتاطا عليه بعد المشاء الآخرة إلى دار السمادة بدمشق ، فسير معزولا عن حلب إلى
طرابلس بطالا ، وبعث في سرجين محبة الأمير علاء الدين بن صبح .

وبلغنا وفاة الشيخ جمال الدين بن نباتة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمصرستان الملك
المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى . وفي ليلة ثامن هرب
أهل حبس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاية صبيحة يومئذ في أنزهم فمك كثير من
هرب فضر يوم أشد الضرب ، وردوم إلى شر المنقلب .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالبلدان أن لا يمايل الفرنج البنادقة والحبوبة والكيتلان
 واجتمعت في آخر هذا اليوم بالأمر زين الدين زباله نائب الغيبة النازل بدار الذهب فأخبرني أن

البريدى أخبره أن صاحب قبرص رأى في النجوم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا ، ونادى في بلاده أن من كتم مسلماً صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان من عزمه أن لا يبقى أحداً من الأسارى إلا أرسله .

وفي آخر نهار الأربعاء خامس عشره قدم من الديار المصرية قاضى القضاة جمال الدين المسلاى المالكي الذى كان قاضى المالكية فعمل في أواخر رمضان من العام الماضى ، فخرج ثم قصد الديار المصرية فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادعى عليه بعض الحجاب وحصل له ما يسوؤه ، ثم خرج إلى الشام فجاء فنزل في التربة السكاملية شمالى الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنته متمرضا ، والطلابات والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً ، فأحسن الله عاقبته .

وفي يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طيغاف الطويل من القدس الشريف إلى دمشق فنزل بالقصر الأبلق ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار المصرية ، وجاءت الاخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلى بقا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق وأنه حصل له من التشريف والتكريم والتشارييف بديار مصر شئ كثير ومال جزيل وخيول وأقشة ونحف يشق حصرها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين افشتمر عبد الفتى ، الذى كان حاجب الحجاب بمصر ، وعوض عنه في الحجوبية الأمير علاء الدين طيغاف أستاذ دار يلبغا وخلع على الثلاثة في يوم واحد .

وفي يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول اشتهر في البلد قضية الفرنج أيضاً بمدينة الاسكندرية وقدم بريدى من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلمنة وأخذت حواصلهم ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الاسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ الخبر إلى الأمير الكبير يلبغا أن مركبا من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن يسلموا هذه المركب فامتنعوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل في آثارهم ستة شوانى مشحونة بالمقاتلة ، فالتقواهم والفرنج في البحر فقتل من الفريقين خلق ولكن من الفرنج أكثر وهربوا فارين بما معهم من البضائع فجاء الأمير على الذى كان نائب دمشق أيضاً في جيش مبارك ومعه ولده ومماليكه في تجمل هائل ، فرجع الأمير على واستمر نائب السلطة حتى وقف على بيروت ونظر في أمرها ، وعاد سريعاً . وقد بلغنى أن الفرنج جاؤا طرابلس غزاة وأخذوا مركبا للمسلمين من المينا وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منهم ، وأن الفرنج كروا راجعين ، وقد أسروا

ثلاثة من المسلمين ، فانا لله وإنا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .

مقتل يلبغا الأمير الكبير

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق في ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الاخر مع أسيرين جاءا على البريد من الديار المصرية ، فأخبرا بقتله في يوم الاربعاء ثاني عشر هذا الشهر : تمالأ عليه مماليكه حتى قتلوه يومئذ ، وتغيرت الدرلة ومسك من أمراء الأتوف والطبلخانات جماعة كثيرة ، واختبطت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طيتمر النظامي وقوى جانب السلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت فأمر بدق البشائر ، وزينت البلد ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يهن ذلك على الناس .

وهذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم



فهرست الجزء الرابع عشر من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
١٧	٢
الشيخ جمال الدين أبو محمد	ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة
ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة	٤
النبوية	الشيخ نظام الدين
الشيخ حسن الكردي	المفسر الشيخ العالم الزاهد
الطواشي صفى الدين جوهر التفليسي	٥
الأمير عز الدين	الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم
الأمير جمال الدين آقوش الشريفي	بالقدس
ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة	التقي توبة الوزير
١٩	الأمير الكبير
أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله	السلطان الملك المظفر
٢٠	الملك الأوحده
خلافة المستكفي بالله	القاضي شهاب الدين يوسف
أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي	الصاحب نصر الدين أبو الغنائم
الأمير عز الدين	٦
الشيخ الإمام العالم شرف الدين	ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستمائة
أبو الحسن	وقعة قازان
الصدر ضياء الدين	١٣
الأمير الكبير المرابط المجاهد	القاضي حسام الدين أبو الفضائل
٢١	القاضي الإمام العالي
الأبرقوهي المسند المعمر المصري	المسند المعمر الرحلة
صاحب مكة	الخطيب الإمام العالم
	١٤
	الصدر شمس الدين

صحيفة

- ثم دخلت سنة إثنين وسبعمائة من الهجرة
- ٢٢ عجيبة من عجائب البحر
- ٢٣ أوائل وقعة شقحب
- صفة وقعة شقحب
- ٢٧ ابن دقيق العيد
- الشيخ برهان الدين الاسكندري
- الصدر جمال الدين بن العطار
- الملك العادل زين الدين كتبغا
- ٢٨ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة
- ٢٩ الشيخ القدوة العابد أبو إسحاق
- ٣٠ والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن عبد السلام
- الخطيب ضياء الدين
- الشيخ زين الدين الفادقي
- الأمير الكبير عز الدين أيبك الحموي
- ٣١ الوزير فتح الدين
- ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا التاريخ
- ٣٣ ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة
- الشيخ تاج الدين بن شمس الدين
- بن الرفاعي
- الصدر نجم الدين بن عمر

صحيفة

- ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة
- ٣٦ ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة
- اول المجالس الثلاثة لشيخ الاسلام ابن تيمية
- ٣٩ الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحي
- الملك الاوحد
- الصدر علاء الدين
- الخطيب شرف الدين أبو العباس
- ٤٠ شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الدمياطي
- ثم دخلت سنة ست وسبعمائة
- ٤٣ القاضي تاج الدين
- الشيخ ضياء الدين الطوسي
- الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي
- ٤٤ الشيخ الجليل سيف الدين الرجيحي
- الأمير فارس الدين الروادي
- الشيخ العابد خطيب دمشق شمس الدين
- الدين
- ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة
- ٤٧ الأمير ركن الدين بيبرس
- الشيخ صالح الأحدي الرفاعي

- الصاحب امين الدولة
 الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكي
 الفقيه عز الدين عبد الجليل
 ابن الرفعة
 ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة
 ٦٣ الشيخ الرئيم بدر الدين
 ٦٤ الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر
 الأربلي
 الشيخ ناصر الدين يحيى بن ابراهيم
 الشيخ الصالح الجليل القدوة
 ابن الوحيد الكاتب
 الأمير ناصر الدين
 التميمي الداري
 القاضي الامام العلامة الحافظ
 ٦٥ ثم دخلت سنة اثني عشرة وسبعمائة
 نيازة تنكز على الشام
 ٦٨ الملك المنصور صاحب ماردين
 الأمير سيف الدين قطلوبغا الشينخي
 الشيخ الصالح
 الأمير الكبير الملك المظفر
 قاضي القضاة
 ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة
 ٦٩ الشيخ الامام المحدث
 ٧٠ عز الدين محمد بن العدل
 الشيخ الكبير المقرئ

- ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة
 ٤٨ الشيخ الصالح عثمان الحلبي
 ٤٩ الشيخ الصالح
 السيد الشريف زين الدين
 الشيخ الجليل ظهير الدين
 ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة
 ٥١ صفة عود الملك الناصر
 محمد بن الملك المنصور قلاوون الى
 الملك وزاول دولة المظفر الجاشنكير
 بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه
 نصر المنبجي الاتحادي الحلبي
 ٥٥ مقتل الجاشنكير
 ٥٦ الخطيب ناصر الدين أبو الهدى
 قاضي الحنابلة بمصر
 ٥٧ الشيخ نجم الدين
 الأمير شمس الدين سنقر الأعسر
 المنصوري
 الأمير جمال الدين آقوش بن
 عبدالله
 التاج ابن سعيد الدولة
 الشيخ شهاب الدين
 ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة
 ٦٠ قاضي القضاة شمس الدين أبو
 العباس

صحيفة

- ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة
 ٧٢ سودي نائب حلب في رجب
 صاحب شرف الدين
 والشيخ رشيد أبو الفداء اسماعيل
 الشيخ سليمان التركماني
 الشیخة الصالحة العابدة الناسكة
 ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة
 ٧٣ فتح ملطية
 شرف الدين أبو عبدالله
 الشيخ صفی الدين الهندي
 ٧٠ القاضي المسند المعمر الرحلة
 الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري
 الحكيم الفاضل البارع
 ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة
 ٧٨ عز الدين المبشر، والشهاب الكاشغري
 شيخ الشيوخ، والبهاء العجمي
 مدرس النجيبية
 الشرف صالح بن محمد بن عربشاه
 ابن عرفه صاحب التذكرة الكندية
 الطواشي ظهير الدين مختار
 ٧٩ الأمير بدر الدين
 الشیخة الصالحة
 القاضي محب الدين

صحيفة

- الشیخة الصالحة
 الشيخ نجم الدين موسى بن علي
 بن محمد
 الشيخ تقي الدين الموصلی
 ٨٠ الشيخ الصالح الزاهد المقري
 الشيخ الصدر بن الوكيل
 الشيخ عماد الدين اسماعيل الفوعي
 ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة
 ٨٢ صفة خروج المهدي الضال بأرض
 جبلة
 الشيخ الصالح
 الشيخ شهاب الدين الرومي
 الشيخ الصالح العدل
 قاضي القضاة
 ٨٥ القاضي الصدر الرئيس
 الفقيه الامام العالم المناظر
 صاحب انيس الملوك
 ٨٦ الصدر الرئيس شرف الدين محمد
 ابن جمال الدين إبراهيم
 ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة
 ٨٩ الشيخ الصالح العابد الناسك
 ٩٠ الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر
 المجيد
 قاضي القضاة زين الدين

صحيحة

- ٩١ الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء
 الشيخ الامام العالم الزاهد
 الشيخ كمال الدين ابن الشريشي
 الشهاب المقرئ
 ٩٢ قاضي القضاة فخر الدين
 ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعماية
 ٩٤ الشيخ المقرئ شهاب الدين
 الشيخ الامام تاج الدين
 محيي الدين محمد بن مفضل بن فضل
 الله المصري
 الأمير الكبير غرلو بن عبدالله
 العادلي
 ٩٥ الأمير جمال الدين آقوش
 الخطيب صلاح الدين
 العلامة فخر الدين أبو عمرو
 الشيخ الصالح العابد
 الشيخ الصالح المعمر الرحلة
 ثم دخلت سنة عشرين وسبعماية
 ٩٨ الشيخ إبراهيم الدهستاني
 الشيخ محمد بن محمود بن علي
 الشيخ شمس الدين ابن الصائغ القوي
 ثم دخلت سنة إحدى وعشرين
 وسبعماية
 ١٠ الشيخ الصالح المقرئ

صحيحة

- الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبدالله
 ١٠١ الشيخ الإمام العالم علاء الدين
 الأمير حاجب الحجاب
 ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبعماية
 ١٠٣ القاضي شمس الدين بن العز الحنفي
 الشيخ الامام العالم أبو إسحاق
 شيخنا العلامة الزاهد ركن الدين
 ١٠٤ نصير الدين
 شمس الدين محمد بن المغربي
 الشيخ الجليل نجم الدين
 شمس الدين محمد بن الحسن
 الشيخ العابد جلال الدين
 الشيخ الامام قطب الدين
 ١٠٥ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعماية
 ١٠٦ الامام المؤرخ كال الدين القوطي
 قاضي القضاة نجم الدين بن مصري
 ١٠٧ علاء الدين علي بن محمد
 الشيخ ضياء الدين
 الشيخ الصالح المقرئ الفاضل
 شهاب الدين أحمد بن محمد
 القاضي الامام جمال الدين
 الشيخ المعمر المسن جمال الدين
 ١٠٨ الشيخ الامام المحدث صفى الدين
 الحانوت المصونة
 شيخنا الجليل المعمر الرحلة بهاء الدين

صحيفة

الوزير ثم الأمير نجم الدين
 ١٠٩ الأمير صارم الدين بن قراسنقر
 الجوكندار
 الشيخ أحمد الأعقف الحريري
 الشيخ المقرئ أبو عبدالله
 شيخنا الأصل شمس الدين
 ١١٠ الشيخ العابد أبو بكر
 الأمير علاء الدين بن شرف الدين
 الفقيه الناسك شرف الدين الحراني
 ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة
 ١١٤ بدر الدين بن ممدوح بن أحمد الحنفي
 الحجة الكبيرة خوندابنت مكية
 الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش
 الشيخ أيوب السعودي
 الشيخ الامام الزاهد نور الدين
 ١١٥ الشيخ محمد الباجر بقى
 شيخنا القاضي أبو زكريا
 الفقيه الكبير الصدر الامام العالم
 الخطيب بالجامع
 الكاتب المفيد قطب الدين
 ١١٦ الأمير الكبير ملك العرب
 الوزير الكبير علي شاه بن أبي
 بكر التبريزي
 الأمير سيف الدين بكتمر

صحيفة

شرف الدين أبو عبدالله
 الشيخ حسن الكردي الموله
 كريم الدين الذي كان وكيل
 السلطان
 ١١٧ الشيخ الامام العالم علاء الدين
 ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة
 ١١٩ الشيخ إبراهيم الصباح
 إبراهيم الموله
 الشيخ عفيف الدين
 الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك
 الشيخ الصالح الكبير المعمر
 ١٢٠ الشيخ الامام صدر الدين
 شيخنا عفيف الدين الأمدي
 البدر العوام
 الشهاب أحمد بن عثمان الامشاطي
 القاضي الامام العالم الزاهد
 ١٢١ أحمد بن صبيح المؤذن
 خطاب باني خان خطاب
 ركن الدين خطاب بن صاحب
 كمال الدين
 بدر الدين أبو عبدالله
 ١٢٢ القاضي محيي الدين
 ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة
 ١٢٥ ابن المطهر الشيعي جمال الدين
 الشمس الكاتب

العز حسن بن أحمد بن زفر
الشيخ الامام امين الدين سالم بن
أبي الدر

الشيخ حماد

١٢٦ الشيخ قطب الدين اليونيني

قاضي القضاة ابن مسلم

القاضي نجم الدين

ابن قاضي شهاب

١٢٧ الشرف يعقوب بن فارس الجعبري

الحاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة

١٢٩ الأمير أبو يحيى

١٣٠ الشيخ الصالح ضياء الدين

الشيخ علي المحارفي

الملك الكامل ناصر الدين

١٣١ الشيخ الأمام نجم الدين

الشيخ الصالح أبو القاسم

القاضي عز الدين

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني

١٣٢ الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع

الأموي

الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيجي

التونسي

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

١٣٥ وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي

الدين أحمد بن تيمية

١٤١ الشريف العالم عز الدين

الشمس محمد بن عيسى التكريدي

الشيخ أبو بكر الصالحالي

أبو الدواليبي البغدادي

١٤٢ قاضي القضاة شمس الدين ابن

الحريري

الشيخ الامام العالم المغربي

ابن العاقولي البغدادي

الشيخ الصالح شمس الدين السلامي

١٤٣ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

١٤٤ الامام العالم نجم الدين

١٤٥ الأمير سيف الدين قطلوبك

التشنكير الرومي

محدث اليمن

نجم الدين أبو الحسن

الأمير بكتمر الحاجب

الشيخ شرف الدين عيسى بن حمد

ابن قراجا بن سليمان

١٤٦ الشيخ الامام العالم الزاهد الورع

الصاحب شرف الدين يعقوب

ابن عبدالله

١٤٧ القاضي معين الدين

قاضي القضاة علاء الدين القونوي
الأمير حسام الدين لاجين المنصور
الحسامي

الصاحب عز الدين ابو يعلي
١٤٨ ثم دخلت سنة ثلاثون وسبع مائة
١٤٩ علاء الدين ابن الأثير

الوزير العالم أبو القاسم
١٥٠ شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع
بها درآص الأمير الكبير
الحجار ابن الشحنة

١٥١ الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم
ابن عبد الرحمن

الشيخ إبراهيم الهدمة
سنيته بنت الأمير سيف الدين
قاضي قضاة طراباس
الشيخ الصالح

الشيخ حسن بن علي
١٥٢ محيي الدين أبو الشفاء محمود
الشاب الرئيس

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
وسبع مائة

١٥٤ قاضي القضاة عز الدين المقدسي

١٥٥ الأمير سيف الدين قجليس
الأمير الكبير سيف الدين أرغون
القاضي ضياء الدين

أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربي
الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس
١٥٦ الصدر الكبير تاج الدين الكارمي
الإمام العلامة فخر الدين

تقي الدين عمر ابن الوزير شمس
الدين

جمال الدين أبو العباس
ثم دخلت سنة اثنتي وثلاثين وسبع مائة
١٥٨ الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد
ابن محمد

الملك المؤيد صاحب حماة
القاضي الإمام تاج الدين السعدي
١٥٩ الشيخ رضي الدين بن سليمان
الامام علاء الدين طيبغا
قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد
الشيخ ياقوت الحبشي
النقيب ناصح الدين

القاضي فخر الدين كاتب المماليك
الأمير سيف الدين الجاي
الدويدار الملكي الناصري

١٦٠ الطبيب الماهر الحاذق الفاضل

الشيخ الامام العالم المقري شيخ القراء
قاضي القضاة علم الدين
قطب الدين موسى

صحيفة

- ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة
 ١٦٢ الشيخ العالم تقي الدين محمود علي
 ١٦٣ الشيخ الامام العالم عز القضاة
 ابن جماعة قاضي القضاة
 الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين
 ١٦٤ تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب
 الشيخ فخر الدين أبو محمد
 الامام الفاضل مجموع الفضائل
 الشيخ الصالح الزاهد الناسك
 الأمير عز الدين إبراهيم بن
 عبد الرحمن
 ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة
 ١٦٥ قضية القاضي ابن جملة
 ١٦٦ الشيخ الأجل التاجر بدر الدين
 الصدر امين الدين
 الخطيب الأمام العالم
 الصدر شمس الدين
 جمال الدين قاضي القضاة الزوعي
 ١٦ الشيخ الأمام العالم الزاهد
 الأمير شهاب الدين
 الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر
 الاسعدي الموقت
 الامير سيف الدين بليات
 شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد
 ابن قاضي حران

صحيفة

- الشيخ الامام ذو الفنون
 الشيخ الصالح العابد الناسك ايمن
 ١٦٩ الشيخ نجم الدين القباني المحوي
 الشيخ فتح الدين بن سيد الناس
 القاضي مجد الدين بن حرمي
 ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
 ١٧١ الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين
 بجامع دمشق
 الكاتب المطبق المجود المحرر
 علاء الدين السنجاري
 العدل نجم الدين التاجر
 الشيخ الامام الحافظ قطب الدين
 ١٧٢ القاضي الامام زين الدين أبو محمد
 تاج الدين علي بن إبراهيم
 الشيخ الصالح عبد الكافي
 الشيخ محمد بن عبد الحق
 الأمير سلطان العرب
 ١٧٣ الشيخ الزاهد فضل العجلوني
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة
 ١٧٤ السلطان أبو سعيد ابن خربندا
 الشيخ البنديجي
 ١٧٥ قاضي قضاة بغداد
 الأمير صارم الدين
 الامير علاء الدين مغلطاي الخازن
 القاضي كمال الدين

صحيفة

الأمير ناصر الدين

علاء الدين

١٧٦ عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين

الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف

ابن أحمد الحمصي

الأمير شهاب الدين بن برق

الأمير فخر الدين ابن الشمس لؤلؤ

عماد الدين إسماعيل

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

١٧٨ الشيخ علاء الدين بن غانم

الشرف محمود الحريري

الشيخ الصالح العابد

الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفي

الشيخ عماد الدين

الشيخ الإمام العابد الناسك

١٧٩ المحدث البارع المحصل المفيد

المخرج المجيد

شيخنا الإمام العالم العابد

الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد

الأمير اسد الدين

الشيخ الصالح الفاضل

١٨٠ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

١٨١ الأمير الكبير بدر الدين محمد بن

فخر الدين عيسى ابن التركاني

صحيفة

قاضي القضاة شهاب الدين

الشيخ الإمام العالم بن المرحل

١٨٢ الشيخ قاضي القضاة جمال الدين

الصالحى

شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن

الباري

الشيخ الإمام العالم

١٨٣ القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب

السر

الشيخ الإمام العلامة ابن الكتاني

الشيخ الإمام العلامة ابن القويح

١٨٤ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

العلامة قاضي القضاة فخر الدين

قاضي القضاة جلال الدين محمد

ابن عبد الرحمن

الشيخ الإمام الحافظ ابن البرزالي

١٨٩ المؤرخ شمس الدين

ثم دخلت سنة أربعين وسبعمائة

١٨٧ سبب مسك تنكز

أمير المؤمنين المستكفي بالله

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

وسبعمائة

١٩٠ ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن

قلاوون

صحيحة

١٩١ ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وسبعمائة

ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله

وفاة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي

١٩٢ كاتنة غريبة جداً

١٩٤ كاتنة غريبة جداً

١٩٦ عجيبة من عجائب الدهر

٢٠١ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

٢٠٩ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمائة

٢١٢ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة

٢١٥ ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمائة

وفاة الملك الصالح إسماعيل

٢١٨ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبعمائة

٢٢١ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

٢٢٤ مقتل المظفر وتولية الناصر حسن

ابن الناصر

٢٢٥ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمائة

٢٢٩ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمائة

٢٣٠ مسك نائب السلطنة ارغون شاه

كاتنة عجيبة غريبة جداً

٢٣٢ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

٢٣٤ ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم

الجوزريه

٢٣٧ ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وسبعمائة

صحيحة

٢٣٩ كاتنة غريبة جداً

ملكة السلطان الملك الصالح

صلاح الدين بن الملك الناصر

محمد بن الملك المنصور قلاوون

الصالح

٢٤١ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

٢٤٢ بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها

على مدة أربعة آلاف سنة بل

يقارب الخمسة

٢٤٣ دخول يلبغا أروش إلى دمشق

٢٤٦ قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا

خروج السلطان من دمشق متوجهاً

إلى بلاد مصر

٢٤٧ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة

٢٤٨ ذكر أمر غريب جداً

٢٤٩ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمائة

٢٥٠ نادرة من الغرائب

٢٥١ عودة الملك الناصر حسن بن للك

الناصر محمد بن قلاوون

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمائة

٢٥٣ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمائة

٢٥٦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

٢٥٧ كاتنة غريبة جداً

صحيفة

٢٥٨ وفاة أرغون الكامي باني البيارستان

بجلب

وفاة الأمير شيخون

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمئة

٢٦١ دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

٢٦٢ مسك الأمير طرغتمش أتابك

الأمراء بالديار المصرية

إعادة القضاة

عزل منجك عن دمشق

٢٦٤ ثم دخلت سنة ستين وسبعمئة

٢٦٥ مسك الأمير على المارداني نائب الشام

كائنة وقعت بقرية حوران

فاوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا

الشهر الشريف

٢٦٦ دخول نائب السلطنة الأمير سيف

الدين استدمر البحناوي

٢٦٧ ثم دخلت سنة إحدى وستين

وسبعمئة

٢٦٨ مسك منجك وصفة الظهور عليه

وكان محتفياً بدمشق حوالي سنة

٢٦٩ الاحتياط على الكتبة والدواوين

٢٧٠ موت فياض بن مهنا

كائنة عجيبة جدا هي المعلم سنجر

بملوك بن هلال

صحيفة

٢٧٢ مسك نائب السلطنة استدمر البحناوي

٢٧٣ دخول نائب السلطنة الأمير سيف

الدين بيدمر إلى دمشق

٢٧٤ الأمر بالزام القلندرية بترك حلق

لحافهم وحواجبهم وشواربهم

وذلك بحرم بالأجماع حسب ما حكاه

ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء

بالكراهية

٢٧٥ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمئة

٢٧٨ سلطنة الملك المنصور صلاح الدين

محمد

٢٨٠ تنبيه على واقعة غربية واتفان عجيب

٢٨٣ خروج ملك الأمراء بيدمر من

دمشق إلى غزة

٢٨٥ وصول السلطان الملك المنصور إلى

المصطبة غربي عقبة سجورا

٢٨٦ سبب خروج بيدمر من القلعة

وصفة ذلك

دخول السلطان محمد بن الملك

أمير حاج بن الملك محمد ابن

الملك قلاوون

إلى دمشق في جيشه وأمرائه

٢٨٨ خروج السلطان من دمشق قاصدا

مصر

٢٩٠ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمئة

صحيفة

مائتي سنة

٣٠٨ تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق

منذ فتوح الشام

٣٠٩ ثم دخلت سنة ست وستين وسبعماية

٣١٠ قتل الرافضي الخبيث

٣١١ استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي

ولاية قاضي القضاة بهاء الدين

السبكي قضاء مصر بعد عزل

عز الدين بن جماعة نفسه

٣١٢ طرح مكس القطن المغزول البلدي

والمجلوب

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعماية

٣١٤ استيلاء الفرنج لعنهم الله على الاسكندرية

٣١٦ عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج

الدين السبكي

٣١٨ عودة قاضي القضاة السبكي الى دمشق

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية

٣١٩ مما يتعلق بأمر بغداد

وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد

العزيز بن حاتم الشافعي

٣٢١ درس التفسير بالجامع الأموي

سفر نائب السلطنة الى الديار المصرية

مقتل يلبغا الأمير الكبير

صحيفة

٢٩١ منام غريب جداً

٢٩٣ موت الخليفة المعتضد بالله

خلافة المتوكل على الله

٢٩٤ أعجوبة من العجائب

٢٩٥ عزل الأمير علي عن نيابة دمشق

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب

ابن السبكي الشافعي الى الديار المصرية

أعجوبة أخرى غريبة

٢٩٦ دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين احمد بن

تقي الدين عوضاً عن اخيه قاضي

القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب

٢٩٧ ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعماية

٢٩٩ بشارة عظيمة بوضع الشطر من

مكس الغنم

٣٠٠ غريبة من الغرائب وعجوبة من العجائب

٣٠٢ سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين

٣٠٣ وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن

جملة ومباشرة تاج الدين بعده

٣٠٤ دخول نائب السلطنة منكلي بغا

٣٠٥ ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعماية

٣٠٧ فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من

انتهى بعونه تعالى طبع الجزء الرابع عشر يوم الجمعة في الخامس عشر من
ايلول ١٩٦٧ م والموافق ١١ هادي الثاني ١٣٨٨ هـ

بسم الله

